



مطبوعات كتابي

الترجمة الكاملة الأمانة لشيوخ الكتب العالمية

李子
邱
薛
賀
貝
董

خفية الملائك

للمرواني الفريسي المعاصر
"موريس دي كوبر"



التي التي تصور حرب الجاسوسية بين
هنا حتى (فريسي) والصين الشعبية!

موريس ديكونبرا

سفينة الملذات



**LE BATEAU DES MILLE
CAresses
PAR
MAURICE DEKOBRA**

٢٠٠ صفحة - ١٠ قروش

مطبوعات

كتاب

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حامى مراد

مدير التحرير : محمد بدر الدين خليل

قمار الكتب



منهاج الفكر عند الإغريق

الكتاب الواحد والاربعون

سفينة الملذات

ترجمة : الدكتور نظمى لوقا

الإدارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦

مجموعه کتابی

(الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الآن سبعة وسبعون كتاباً ، يضاف إليها كتاب جديد أول كل شهر .. وتطلب من إدارة كتابي : ١٤ شوارع ٢٦ يوليو (فؤاد سايغا) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجرة البريد المسجل ، ماعدا العدد : العاشر وثمنه عشرون قرشا والاعداد ١٢ ، ١٦ ، ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا . اما الاعداد الستة الاولى والاعداد العشرون فقد نفدت ، والادارة مستعدة لشرائها . الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : في مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفي العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازي ١٤٠ قرشا مصريا وفي الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقهرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واستراليا وتركيا : قيمة الاشتراك : ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة اجر البريد المسجل ، وفي المانيا ١٦٠ قرشا بخلاف اجر البريد الجوي . ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : في مصر والسودان باذن بريد عادي ، وفي الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة أو تحويلات عليه . واذا تعذر فترسل كوبونات دولية فئة ١٠ مليما على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها في مصر ، علما بان الكوبونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما .

مطبوعات کتابی

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الأبيض ، الخالدون ، الخطنة ، حياة امرأة (جزاء) . الخطيئة الأولى ، أوديب ، مدام بوفاري ، (جزاء) ، عاشقات في الخريف ، قلوب صالة ، ديكاميون ، الظمالمحب ، جين إير (ثلاثة أجزاء) ، فانتات الرجال ، رجال ونساء ، النار للوطن ، فرنسا الجريحة على ضفاف النيل ، الابن الضال ، أسرار الجاسوسية ، بيللا دونا (ثلاثة أجزاء) بوشكين ، اعترافات جان جاك روسو (٥ أجزاء) ، قصص من الصين ، تراثي بازالك ، الإلياذة (٣ أجزاء) ، قصص من روما ، المسيحية (جزاء) وثمان النسخة . ١. فروش ، عبد الاعباد : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و

القصة .. مرآة الاحداث الدولية !

عزيزى القارىء :

من أقوى ما يستند اليه دعاة « الواقعية » فى الادب القصصى . ان القصة يجب ان تكون مرآة للاحداث الجارية التى تحيط بالكاتب . وقد كان المقتنعون بهذا الاتجاه يقتصرون - فى الغالب - على الاحداث التى تجرى فى الوسط الذى يعيش فيه الكاتب ، او - على الاكثر - فى بلده .

ولكن عصر السرعة ، وانتشار الطائرات والاسلحى ، قرب بين البلدان والبيئات ، بحيث اصبحت الاحداث الكبرى التى تجرى فى مكان ما من العالم - تدوى فى العالم بأسره ، وتهز نفوس أهله قاطبة .. وقد انعكس هذا التطور على القصة ، فأصبحت فى بعض المناسبات الكبرى - كما حدث فى الحرب العالمية الثانية - مرآة للاحداث العالمية ، لا المحلية ، ولا القومية وحدها !

والقصة التى اقدمها لك اليوم - « سفينة الملذات » - من هذا النوع . فان الحرب العالمية الثانية ، خلفت أحداثا دولية ميدانها الاكبر هو الشرق عامة .. الشرق الذى انتفض أخيرا لى يتخلص من أطماع الغرب الذى ظل يستعمره طويلا ويمنص دماءه . وقد قدر للموقف الراهن بين الصين الشعبية وحكومة « شانج كاي شيك » فى (فورموزا) أن يكون صورة صادقة لهذا الصراع بين الشرق والغرب .. الشرق الممثل فى الصين الشعبية التى نهضت لتحتل مكانها فى العالم ، كدولة كبرى ، قوية ، عاملة .. والغرب الممثل فى حكومة (فورموزا) ، التى

ارتضت لنفسها أن تكون مخطب القطر في يد أمريكا الطامعة في السيطرة والاستعمار !

ولقد انعكس هذا الصراع على خيال الروائي الفرنسي الكبير « مورييس ديكوبرا » الذي طاف - خ - لال العشرين عاماً الأخيرة - بمختلف بقاع الشرق ، وارتاد القارة الآسيوية ، وعاش في مختلف الأجواء التي تسيطر عليها : من الجو الشعري المشوب بروحانية الشرق القديم وتصفوه ، الى الجو العابت الذي نفت فيه الاستعمار الغربي - سياسته وأطماعه - فسادا وتهنكا ، الى الجو السياسي الذي يث فيه الغرب دسائسه ومؤامراته في سبيل الوصول الى غاياته الدنيئة ! في هذه الأجواء عاش « ديكوبرا » سنوات ، واستخلص منها هذه القصة الرائعة ، الحافلة بالمخاطرات ، والمفاجآت .. والمشحونة بالعواطف ، وأوان الهوى والشهوات !

ومن الطبيعي أن يحاول « ديكوبرا » أن يتحامل ويتحيز بعض الشيء - على الأقل - وأن يعرض ببعض مظاهر الحياة والسياسة في الشرق ، جريا على عادة الكتاب الغربيين ، رغم أنه كشف - دون أن يفتن - عن خسة الجاسوسية الغربية . في موضوع القصة ذاته ، وهو التوسل ببائعات الهوى للحصول على أسرار الصين الشعبية .. ولم يكن ثمة بد من أن تظهر القصة من بعض السموم التي دسست عن قصد بين السطور ، فخرجنا بها عن دائرة الادب الصرف ، الذي تلتزم « مطبوعات كتابي » ازاءه ، مبدأ « الترجمة الكاملة الامينة » .. وإن لم يمل هذا من روعة القصة وقوتها .. انها لون جديد من ألوان القصة ، يحلق بك الخيال فيه بين الهوى والدسائس .. فلا أدعك الآن تتعرف عليه !

سَفِينَةُ الْمَلذَّاتِ

للروائي الفرنسي الكبير: "موريس ديكوبرا"





الفصل الاول

ملاكان حارسان .. خير من ملاك واحد !

♦ كان الليل وضيئاً ، والامواج تعكس الاضواء المنبعثة من الزوارق التي ازدحمت في الميناء ، ومن مصابيح التحذير التي تحدد امكنة سفن البضائع .. ومن كشافات الزوارق البخارية ، ومن الوف المصاييح التي تزخر بها (هونج كونج) وترصع سفح اجبل طارق) الاسيوى .. وعلى رصيف الميناء - حيث يغدو ويروح بقية من العمال والمتعطلين المتسكعين ، من ذوى العيون المنحرفة - ظل « فرانسيس ارنولد » يمشى جيئة وذهاباً ، فقد ضربوا له موعداً للمقابلة عند مرسى السفينة القادمة من (كاولون) . وكان قد حضر في الساعة التاسعة تماماً ، تدفعه اللهفة ، بعد ان احيت الرسالة التي تلقاها موات آماله .

وظل فرانسيس يترقب الرجل الذي يقترب منه وفي يده اليمنى الخطاب الذي كان « فرانسيس » قد ارسله - منذ

عشرة أيام - الى الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير رقم ٢٤. بشارع (فيكتوريا) . . . وتساءل " فرانسيس " وهو يذرع الرصيف : لماذا استمعتك ادارة هذه الشركة للهفـالة ليلاً - بعد مواعيد العمل في المكتب - بدلا من استدعائه الى مقر المؤسسة الرسمي ، حيث تقضى العادة باستقبال رجل مثله يطلب عملا ؟ !

والواقع ان " فرانسيس ارنولد " كان قد اوشك على الافلاس . واخذ ينفق البقية الباقية من دولاراته . . . وكان قد اتجه الى قنصلية فرنسا . حيث استقبلوه بشيء من عبارات التشجيع ، وبالوعود بأن يحاولوا اخراجه من ازمته . . . ولكنه لم يظفر بطائل ! . . . فليس من اليسر ان يعثر قائد طائرة على اعمال ثانوية كتلك التي يجدها ساقى المقهى حين يتعطل عن عمله الثابت . ولقد فكر " فرانسيس " - تحت ضغط الظروف البغيضة - في ان يعرض خبرته الفنية على سلطات السنين الحمراء في (كانتون) . بيد ان هذا التفكير لم يدم الا برهة وجيزة ، لانه قدر ان ماضيه في خدمة ديموقراطيات الغرب المنحلة ، لن يكون معززا لطلبه . . . وحتى لو أنهم قدروا مزاياه المهنية . فليس من شك في أنهم سيفضلون عليه طيارا قضى خدمته السابقة في الجانب الآخر من الستار الحديدي ! . . . وسأل نفسه - وهو يقطع الرصيف رائحا غاديا - أينكتب عليه ان يلجأ بعد قليل الى مراحم " جيش الخلاص " كي يجد القوت ، أو ان يترك السلطات تعيده الى فرنسا ، باعتبارده مسافرا متسللا اختبا خلسة في الباخرة ؟ !

♦ وفجأة ظهر صينى يدين ، ربعة القامة . ذو بطن بارز ، ورأس عار اصلع كأنه بيضة في ملاسته ! . . . وعليه بذلة كاملة من صوف " الالباجا " ، كثيرة الغضن . ووقف الرجل

خلفه ، ثم استخرج من جيبه خلسة ذلك المظروف الذى اتفق على اعتباره آية لفرانسييس ، فأخرج فرانسييس من جيبه المظروف الآخر الذى كان يتضمن الرد . وافترق الصيني البدين عن ابتسامة عريضة كشفت عن لثته التى تعلو أسنانه المصفرة ، وأشرق بها محياه المستدير الذى ينبىء عن طيبة . ثم تمت باللغة الانجليزية ، ولكن فى لكنة اجنبية واضحة : «مستر أرنولد فيما أظن ؟»

— نعم . هو أنا .

— هل لك فى أن تتبعنى ، اذا تكرمت ؟

— طبعاً . . . الى من أتشرف بتوجيه الخطاب ؟

ورأقت هذه العبارة المهذبة للصينى البدين ، ففهم يديه أمام صدره ، وانحنى انحناء عميقة حتى لا يكون أقل تأدبا من الفرنسى . وقال : « أنا شولى لانج . مندوب الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير » .

— تشرفنا يا مسيو شولى لانج . . . واين سنذهب الآن ؟

— سأقودك الى السيد مدير الشركة .

— فى شارع فيكتوريا رقم ٣٤٠ ؟

فهز الصينى البدين رأسه بالنفى وقال : « بل فى داره ؟ »

فأظهر « فرانسييس » الدهشة . واستطرد المندوب الذى كان يخب الى جواره — بسبب قصر قامته وبدانته — قائلاً ببساطة : « انه يفضل أن تكون المقابلة فى البيت » .

— وهل يكون طفلاً منى ان أسألك عن اسم مديرك ؟

— ليس هذا سرا ، فان اسمهم موجود فى دليل تليفون

(هونج كونج) . . . انه يدعى « فان لونج »

وسار الرجلان بين العمائر الشاهقة ، والفنادق ، والمصارف والمكاتب والمتاجر الكبرى التى كانت تتلأأ بينها — هنا وهناك — لافتات « النيون » المتعددة الالوان . ولو لم يكن الشوارع مزدحماً بعربات « الركشة » والعمال الهنود والصينيين ، لاعتقد

المرء انه في حى من أحياء مدينة (لندن) الحافلة ، نقل بأعجوبة الى الاراضى الاسيوية !

وبعد ان مر بكثير من الحوانيت الفاخرة ، ومحلات الخياطين الانجليز ، ومتاجر التحف التى تباع للسائحين ، دخلا الى (هونج كونج) الصينية بمعنى الكلمة . . (هونج كونج) التى لا تذوق النوم ابدا . . (هونج كونج) التجار والفنانين والحوانيت الخشبية والرايات الملونة والاطعمة الغريبة التى تقدم فى الهواء الطلق ! . . وتسلا فى منعطف الى اليمين ، ثم الى اليسار ، بين تيه من بيوت غير متناسقة ، وبنيات من كل نوع . و « فيلات » كانت صبغتها العصرية تزداد كلما أوغلا الى الداخل . كما اخذت تزداد مظاهر الترف والرفاهية كلما صعدا ذلك الجزء المشيد من المدينة على تل صخرى !

وعرج السيد شو لى لانج على شارع عريض قليل الضوء ، يفضى الى القمة . . ثم وقف امام حديقة مترامية على سفح تلك الهضبة ، ظهرت فيها يد العناية والتنسيق بما اينع فيها من ازهار . وكانت « الفيلا » كبيرة ، مربعة ، بيضاء اللون كالبيوت الإيطالية ، تحيط بها اشجار الكافور من كل جانب . ودق السيد شو لى لانج الجرس . فظهر خادم صينى . . وافتيد « فرانسيس » الى الداخل ، دون ما كلام ، ثم رجاه المندوب أن يتفضل بالجلوس ، واختفى على الفور ، بعد أن قال له : « ان السيد فان لونج سيقابلك حالا ! »

ولم يكن الصالون مضاءا الا بمصباح واحد ، تظله طرفه من الحرير على شكل معبد صينى بلون « الكرز » . اما الارض فكانت مكسوة بفسيفساء متعددة الالوان ، فوقها أبسطة فاتحة اللون حريرية الملمس . . كما اسدلت على النوافذ ستر ثقيلة صفراء ، مطرزة . وكان الاثاث كله من خشب الصندل ، والمقاعد الوثيرة محلاة بفراء الثعالب الفضية . فما من شك فى

ان مدير الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير كان ينعم بلذوق رفيع ويهوى جمع القطع الفنية ، مما نمت عنه تلك المجموعة الفاخرة من التحف العاجية العتيقة ، التي ترجع الى عصر « منج » ، والتي كانت تبهر النظر خلف واجهة زجاجية ضخمة . مضادة من الداخل .

وكان فرانسيس يتأمل - من بعيد - تلك التحف التي جمعتها يد خبير ، حين سمع حفيف ثياب من خلفه . وإذا السيد « فان اونج » قد دخل في صمت ، متغلا بخفا بسويكاه ، وعليه ثوب صيني بديع الشكل ، أزرق حالك كالليل ، يشبه طيلسانا من قطعتين . فوقف « فرانسيس على الفور . . . وسأله الصيني : « السيد فرانسيس أرنولد ؟ »

- نعم يا سيدى هو أنا .

- حسن جدا . لقد كلفت مندوبى بان يأتى بك الى هنا لسببين : الاول هو انى لا أريد أن ادخل الى مكاتبى أشخاصا لا أدري بعد ما اذا كانوا سيعملون فيها أم لا . . . والثانى هو ان خطابك استرعى انتباهى من بين أربعين خطابا أخرى تلقيتها ردا على اعلانى .

وكان فرانسيس عارفا بأحوال الشرق الاقصى ، معرفة تكفيه كي يتحدث ان هذا الصينى الذى كان يتكلم الانجليزية بطلاقة ، انما كان - يقينا - من نتاج هجين . وليس من أهل (كانتون) أو (شانغهاى) . اذ كانت له قامة أهل منشوريا واكتافهم العريضة ، ولكن ملامحه الدقيقة كانت تشى بدم مختلط . ولعل امه كانت برتغالية وابوه صينيا !

وصفق الرجل بيده فقدم أحد غلمانه الشاى الاخضر ، ثم توأرى . ودعش « فرانسيس » - من جديد - لهذه المجاملة

الذى لم تجر بها العادة عند استقبال شخص منقندم لوظيفة امين للمخازن !

♦ وجلس فان لونج بالقرب من منضدة صغيرة ، ثم اخرج من صندوق من خشب الصندوق المزخرف - ذلك الخطاب الذى كان « فرانسيس » قد وجهه اليه . فبسطه امامه ليستعين به فى الحديث ، وقال :

- ارى يا سيد ارنولد . بناء على البيانات التى ارسلتها الينا ، انك مواطن فرنسى . . ولدت فى باريس سنة ١٩١٩ . وتلفتت بها دراسـتـك الثانوية . وكنت طيارا حرييا تحت التمرين - فبيل سنة ١٩٣٩ - ثم اصبحت طيارا فى سنوات الحرب ، وسقطت بك الطائرة مشتعلة فى (بلجيكا) ، ونلت وسام الجرحى ، وقضيت ثلاث سنوات اسيرا ، ثم هربت ، ووجدت الى الخدمة فى قوات فرنسا الحرة . . وحصلت على اوسمة الخ . . الخ . . عظيم ! . . هذا تاريخك العسكرى . . اما الذى يعنيننا نحن ، فهو نشاطك المدنى منذ وضعت الحرب اوزارها فى أوروبا . انك اصبحت طيارا فى خطوط شركة « أزور يو » ، ولكنك لا تشير هنا الى السبب الذى تركت من أجله تلك الشركة بعد اربع سنوات من الخدمة !

- لاسباب شخصية . . فقد نشب صدام عنيف بينى وبين المدير التجارى للشركة ، اذ انتزع منى صديقة عزيزة ! - ماذا تعنى بمصادمة عنيفة ؟

- لقد هشمت وجهه امام ثلاثمائة شخص فى محطة (أورلى) ، وهو عائد من (استانبول) ، فاكروهت على تقديم استقالتى .

- انك لعنيف يا سيد ارنولد !

- بل انى اقدر انسان على تمالك اعصابى ، بيد ان هناك

اهانات لا يمكن أن تغتفر !

— تذكر أن الثور الهائج يكسر قرنيه في نطاح الجدار ، اما الشعبان فيتسلل في سر خلال أضيق فجوة لا تكاد تبصرها العين . ولكن لندع الامثال والحكم الصينية الآن ، وان كانت ركازة الحكمة البشرية منذ ألوف السنين ! .. خبرنى ، كيف اتفق لك أن تكون متعطلا في (هونج كونج) ، مع استعدادك للقيام بأى شيء ، بدليل أنك تقدمت لمثل هـذـد الوظيفة المتواضعة ؟

— هذا امر غاية في البساطة . فانى — منذ تركى شركة « أزوريو » الجوية — التحقت بالعمل في شركة للنقل الجوى، فكنت بمثابة سائق « التاكسى » . وفدت طائرات من جميع الانواع ، لنقل شحنات ثقيلة .. وقادنى هذا الى الشرق الاقصى ، والى الهند الصينية ، ثم الى (هونج كونج) ، حيث استغنت الشركة عن خدماتى ، لانها — كما تستطيع أن تتحقق بنفسك — قد اعلنت افلاسها . وأصارحك باننى قد استنفدت مدخراتى كلها ، ولهذا قدمت الطلب الذى بين يديك !

وظل السيد فان لونج مصفيا لهذه التفاصيل باهتمام خاص، ثم سألـه : « كم عدد ساعات طيرانك باسيد أرنولد ؟ » . فأجاب : « ٦٥٤٠ ساعة .. وهاك بطاقتى ! »

— اعتقد أنك حظقت بأنواع مختلفة من الطائرات ؟

— لا أزعـم انى قدت جميع الانواع تماما ، وانما .. كلها تقريبا .. من أصغرها ، الى « الكونستاليشن » الضخمة . فقال السيد « فان لونج » : « عظيم ! » . واشعل سيجارة ، وأمعن النظر طويلا في « فرانسيس » من خلال الدخان ، وكأنه يزن — عن بعد — جليسه ، ويقدر طاقته واستعداداته البدنية وصفاته المعنوية . وكان « فرانسيس » في عجب من هذه الاسئلة ، لا سيما ان الامر كان يتعلق بوظيفة أمين مخزن فحسب . ولذا قطع جبل الصمت بقوله : « هل لى أن أسأل



عن نوع المبادلات والصفقات التى تقوم بها شركتكم ؟
 - انما نشتري من الاوروبيين ونبيع للصينيين .. والعكس
 بالعكس ، وسامعنا هى المصاييح الكهربائية ، وأجهزة الراديو ،
 وآلات التصوير ، والرادار ، والادوات الكهربائية ، والعقاقير
 .. الخ .

وغمغم فرانسيس : « فهمت ! » . بينما اصطجع « فان
 لونج » مسترخيا فى مقعده ، شأن الرجل الذى لم يكن ينوى
 أن يضع حدا سريعا للمقابلة . ثم وجه فجأة الى « فرانسيس »
 سؤالا لم يكن مرتقيا ، اذ قال :

- ما هى معتقداتك السياسية يا سيد ارنولد ؟

وكان فرانسيس يرى أن المعتقدات السياسية لا يمكن ان
 تكون ذات قيمة بالنسبة لشخص يطلب وظيفة أمين مخزن
 - فى (بدروم) مؤسسة للتصدير - ويتولى اعداد الطرود .
 فأجاب بحرارة وعن صدق : « لا شيء ! »

- أشعر بنفور واضح من الفاشيين أو الشيوعيين ؟

- اسمح لى أن أقول لك بأن العسكريين سواء فى نظرى من
 حيث عدم الاهمية .. فلا بد الانسان من أن يأكل أولا ، ثم
 يفكر فى السياسة بعد ذلك !

— ان صراحتك تعجبني . والان لنتكلم في الموضوع : لقد تلقينا — كما قلت لك — اربعين طلبا لآثقا ، ردا على اعلاننا . فلماذا ترانى وضعت طلبك أنت على حدة ؟ .. لانك تدخل في زمرة الرجال الذين نحن بحاجة اليهم . فلقد كان اعلاننا في صحيفة « هونج كونج هيرالد » غامضا ، لاننا غير ميالين الى اظهار نوع المعاوين الذين ننشدهم . فالمنافسة شيء لا بد من التحوط بوبه في (هونج كونج) أكثر مما في أى موضع في العالم ! وكونك طيارا قديما مجربا يعزز مركزك لدينا !

وتقبل « فرانسيس » ايضاح الصيد « فان لونج » ، اذ مندا الذى يدري ؟ .. قد تكون هذه سمة من سمات النفسية الاسيوية الحذرة المتتوية ، التى تنشر اعلانا عن طلب غواصين ، بينما تكون — فى الحقيقة — بحاجة الى بهلوانات فى السرك ! .. ولكنه تساءل مع ذلك : « ما اظن أن أمين المخازن الذى ننشدهونه ، يعمل كثيرا فى السحاب ؟ »

— بل هو يمارس عمله هناك بالذات !

فرفع فرانسيس حاجبيه ، واستطرد « فان لونج » قائلا : « ان نظامنا فى التسليم السريع — رعاية منا لبعض العملاء الذين يقطنون خارج (هونج كونج) — يلزمنا بالالتجاء الى خدمات طيار خاص ! »

وهنا بدأت المسألة تثير اهتمام فرانسيس ، فقال باسمه : « اذا كنت يا سيدى محتاجا الى سائق نقل طائر ، فاعتقد ان خبرتى تساعدنى على القيام بذلك العمل . ما نوع طائركم ؟ » — « البتروس » خفيفة .. بمحركين .

— اعرف هذا النوع ، فهو من صناعة « وست لاند » ، وسرعته ٦٥٠ كيلو مترا فى الساعة ، وحمولته الكاملة ثلاثة اطنان .. ويرتفع الى عشرة آلاف متر .

— بالضبط .. هل تستطيع ان تقوده ؟

— واصابعى فى انفى !

— عفوا ؟ !

— هذا تعبير شائع لدينا .. اردت أن أقول اننى أستطيع قيادة الطائرة دون أدنى صعوبة .

— عظيم . وهل تقبل يا سيد ارنولد العمل شهرا تحت الاختبار ، كطيار للشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير ، فى مقابل خمسمائة دولار أمريكى ؟

— أجل يا سيدى .

— أن لطائرنا طاقما من الميكانيكيين ، وملاحا .. وسنتولى تقديمهم اليك والطائرة فى محطة الطيران المدنى فى (فيرفيلد) . وستذهب غدا للتعرف عليها وعلى طاقمها .. وسأصدر الأوامر باستقبالك فى الحظيرة الخاصة بالطائرة ، ثم تقوم بتجربتها فى الجو ، وتقدم لى تقريراً عن ذلك فى مكاتب الشركة — بشارع (فيكتوريا) رقم ٣٤٠ — حوالى الساعة الخامسة ان أمكن ! ونهض فان لونج وقرع طبلا نحاسيا لاستدعاء مندوبه . ثم التفت نحو فرانسيس وقال له : « وعلى فكرة .. لا أظنك تستاء اذا دفعنا اليك غدا مائة دولار تحت الحساب ، خصما من مرتبك ؟ » . فاجاب فرانسيس : « بل اننى أكون ممتنا لك جدا يا سيد فان لونج » .

• وظهور « شو لى لانج » لدى الباب ، فامر « فان لونج » بأن يرافق السيد ارنولد . وانحنى فرانسيس ثم خرج ، فصحبه المندوب مخترقا الحارات المتعرجة المظلمة . وسأله بابتسامته التى كانت تفيض تفاؤلا : « وبعد يا سيد ارنولد . ما هى نتيجة مقابلتك للمدير ؟ »

— يا سيد شو لى لانج ، لقد عينت بوظيفة طيار !

— عظيم جدا . عظيم جدا ! .. من المؤسف حقا اننا لسنا

بعد في اليوم السابع من الشهر القمري السابع ، فان ذلك كان حريا بان يعد فالأ حسنا لك ! .. ولكنك كافر قادم من الغرب . ولا شك في أنك تسخر من معتقداتنا . ولكني او كنت مكانك لتقدمت بصلاة ليلية قصيرة ، في معبد « كوان ين » . آلهتنا التي تحمل السعادة والحظ الحسن الى البشر !

— طبعاً يا سيد شو لي لانج ، ولكن .. في مرة أخرى « فانا متعب للغاية ، ويجب أن أذهب غداً الى مطار (فيرفيلد) .

— عفوا يا سيد أرنولد .. سنتنظر آلهتنا ، « كوان ين » ضراعتك ، فلا تهمل امرها ، اذ انها تحمى من يخبونها .. ان لديكم — في عقيدة يسوع — ملائكة حارسة ، على ما اعتقد .. اليس كذلك ؟ اذن فلو انني كنت في مكانك ، لطلبت الى ملائكتكم الحارسة من جهة ، والى « كوان ين » من جهة أخرى ، ان تسهر على .. فان ملاكين حارسين أفضل من ملاك واحد ! — لقد اعتدت المخاطر يا سيد شو لي لانج ، اذ قضيت محققاً بين السحب أكثر من ستة آلاف ساعة !

فنظر المندوب الى « فرانسيس » من ركن عينيهِ ، ولم يعلق بشيء . ثم وقف عند ناصية شارع شديد الانحدار نحو المدينة المنخفضة ، وقال : « هل تعرف طريقك من هنا يا سيد أرنولد ؟ »

— نعم .. أشكرك يا سيد شو لي لانج ، وسأراك بالطبع غداً في مكاتب الشركة !

فحياه المندوب ، ثم دار على عقبيه واختفى في ظلام الليل . ولم يجد « فرانسيس » أدنى مشقة في العودة الى شارع (رادزال) ، حيث كان ينزل في فندق « الملك ادوارد » . وهو نزل صغير يؤمه ضباط البحرية ، وصف ضباط الحامية الانجليزية ، ونفر من صغار الموظفين في الإدارة المدنية لصاحبة الجلالة .

وما ان رقد في فراشه حتى انفسح له الوقت لاستعادة

خواطره . فان مقابلته الانفرادية مع « فان لونج » فتحت امامه ابواب الامل في تحسين الحال . اذ ان قيادة طائرة الشركة افضل كثيرا من اعداد الطرود أو احصاء المصاييح الكهربائية فريق الرفوف المتربة ! .. وبعد أن انقضت هزة السرور بالحصول على وظيفة مرتبها خمسمائة دولار ، راح فرانسيس يفكر في عبارات « فان لونج » ، فان الحديث المتبادل - في حجرة التدخين بدار مدير الشركة - لم يخل من أمور غريبة غير منتظرة .. ذلك أن فرانسيس دعى لهمل استندرج اليه دون أن يهتم بصلة الى نص الاعلان . كما أن الرجل الذي استقبله لم يكن يشبه في شيء تاجرا عاديا من تجار المصاييح، أو العقاقير، أو أقراص الحاكي .. وهناك ذلك السؤال الطارئ ، الخاص بمعتقداته السياسية . فما شأن السياسة بتسليم أنابيب الأسبرين والساعات الدقاقة ؟ ! .. ثم هناك مسألة تحسين الوقوف عندها ، وهي : لماذا تملك الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير طيارة خاصة ، لارسال السلع الى عملائها ، في حين أنه كان من الأسر استخدام السفن الساحلية التي تجوب المنطقة بالاجر ، أو استخدام الطائرات التي تملكها الشركات المدنية للطيران في الشرق الأقصى ؟ !

كل هذه الاسئلة بدت بغير جواب في الوقت الحاضر ، وظلت تدور في تلافيف مخ « فرانسيس » ، متوالية لاستتقر . وفجأة تذكر عودته مع المندوب ، والتلميح الخفى من الرجل الصينى الى كرامات الملائكة الحارسة والآلهة « كوان ين » ، وفضلها في حمايتها من المخاطر الخفية العارضة .. بل أن السيد « شو لى لانج » أضاف الى ذلك قوله بانجليزيتة المنقومة : « ملاكان حارسان خير من ملاك واحد ! »

أكان هذا تحذيرا ونذيرا ؟ .. أترأه كان تلميحا الى خطر

غامض لم يكن « فرانسيس » يدري عنه شئ شيئاً في الوقت
 الحاضر . ولكن المندوب المطلع كان يتوقعه ؟ ! .. اللهم الا أن
 يكون السيد « شو لى لانج » مصاباً بفزع عصبى من الطائرات ،
 الأمر الذى قد يبرر مخاوفه المنطوية على ود !
 وتنهد « فرانسيس » بارتياح الرجل الذى أدار الحظ
 وجهه اليه بعد طول ادبار . ثم ضرب بقبضة يده وسادته .
 ونام . . وفى تلك الليلة ، رأى فى أحلامه السماء تمطر دولارات
 أمريكية ، كأوراق الشجر حين تهب عليها رياح الخريف .
 ورأى نفسه يجمعها بخفة ، وجبور فى جوف قبعته !





الفصل الثانى .

بار اللوتس الاسود

♦ لم يكن بار « اللوتس الاسود » - القائم على رصيف الميناء أمام مرساة السفن التى تعمل بين (هونج كونج) و (ماكاو) - يشبه فى شيء مأوى القراصنة ، كما قد يوحي بهذا الظن اسمه . فليس بين زبائنه ورواده أحد من القراصنة الذين يضعون على عيونهم المفقوءة عصابات سوداء ، أو يغطى الوشم الفظيع صدورهم العريضة . وإنما هو مشرب وادع ، خاضع لرقابة الشرطة ، لا تقع فيه حوادث القتل ، بل تحتسى فيه المشروبات الروحية المختلفة ، وتلك البيرة التى يؤثرها ملاحو بوارج صاحبة الجلالة « البريطانية » ، عندما ترسو وحدات أسطول الشرق الأقصى فى ميناء (هونج كونج) .

ولقد كان يدير « اللوتس الاسود » صف ضابط سابق فى الجيش الهندى ، اسمه « جون ماك فرسن » . خدم عشرين عاما فى الفرق الجبلية المسماة « سيفورت هاى لاندز » ، عندما كانت تلك الفرق تضم الشيخ وأهل (مدراس)

و (لاهور) وغيرهم ، قبل تحرر الهند .. وقد كان « ماك فرسن » اسكتلنديا شاحب العينين ، ذا وجه شديد الحمرة ، وشعر غزير . وهو مخلص ودود ، يستقبل رواد حانته بترحاب ، ويقدم اليهم في المناسبات كأسا آخرى من « البراندى » حتى يشجعهم على العودة . وكان فخورا بمجموعته من السفن الشراعية الدقيقة الموضوعة في زجاجات بيضاء . ومن تماثيل « بوذا » المنحوتة في الصخر الصلد ، ومن المتحف الصغيرة الغريبة المضحكة التي جمعها اثناء عمله مع الحملة التي اوفدت الى (مصر) - في الحرب العالمية الثانية - لتحارب تحت راية الماريشال مونتجمري .

وكان « فرانسيس » كثير التردد عليه اثناء تعطله عن العمل ، ليطالع لديه الصحف الانجليزية القديمة ، والمجلات التي كان السائحون ينسونها ، وهو يحتسى قدحا من « بيرة ليدجر » . وكانت لهجة الاسكتلندي - المنبعثة من الحلق - تروق له ، كما كانت النوادر التي يرويها تسليه وتنسيه همومه !

وفي غداة مقابلته لفان لونج ، ذهب « فرانسيس » - بعد العشاء - الى « اللوتس الاسود » . وكان قد قضى يوما حافلا بنشاط غير عادي . اذ تعرف الى الطائرة ذات المحركين من طراز « البتروس » ، وحلق بها تحليقا تجريبيا فوق الخليج وفوق البحر . ثم عاد بعد ذلك الى مكاتب الشركة ، التي كانت تزخر بالموظفين الصينيين .. وادخلوه الى مكتب السيد « فان لونج » فكان لا يعرف في السيد الايق الذي استقبله - مرتديا بدلة آييفة من « السكروته » الهندية وقميصا أبيض يزينه رباط عنق فاخر - ذلك السيد الذي رآه من قبل في ثوب صيني !

وكانت أولى كلمات بادره بها السيد « فان لونج » : « والآن ! .. ما رأيك في هذا الطيران التجريبي الاول ؟ »
- انها طائرة ممتازة ، يا سيد « فان لونج » ! .. مرهفة ،

مستجيبة . سهلة القيادة ، يجد المرء لذة في قيادتها !
 - عظيم ! .. مر اذن بالخرينة وتسلم أول اذن مالى . ثم
 انتظر تعليماتى الجديدة اليك ، فى صباح الغد . فان المهمة
 الاولى ستكون فى انتظارك !

ودس « فرانسيس » الدولارات فى جيبه ، ثم قدم لنفسه
 وجبة فاخرة فى قاعة المائدة الفخمة فى فندق « كارلتون » .
 ولم يكن يعرف احدا فى (هونج كونج) تقريبا ، لان ضائقته
 المالية - التى استمرت شهورا - لم تيسر له الحصول على
 الويسكى الذى يسهل انشاء علاقات طيبة بالناس . ولما كان
 منلهفا غاية اللهفة على جمع معلومات عن مخدمه ، فقد خطر
 له ان صديقه « ماك فرسن » قد يستطيع ان يقدم اليه
 معلومات ذات قيمة عنه .

♦ واذا دخل « اللوتس الاسود » - فى نحو التاسعة مساء -
 سره ان وجد ان الرواد كانوا قلة . وكان هناك موظف بالجمرک ،
 يترنم فى أسى - امام مائدة البار - فصاح فرانسيس برب
 الحانة : « هاللو جاك ! .. انى ادعوك الى كأس من « الجن »
 المعتق تقبل ، فهذا دورى فى تقديم الشراب ! »
 وادهشت هذه اللهجة الطافحة بالسرور ، الرجل الاسكتلندى ،
 فجاء وجلس بجوار « فرانسيس » وقال له : « ماذا حدث
 لك ايها الفرنسى ؟ .. انك تبدو كمن عثرت يده على كنوز
 ملكة سيبا ! »

- اصبت التخمين يا صديقى ، فلقد حصلت على وظيفة !
 وتساءل صاحب المشرب مهازجا : « طباح ؟ » . فاجابه
 فرانسيس : « كلا ، بل طيار ! » .. فعاد الاول يتساءل :
 « اير فرانس ؟ » . فاجاب : « كلا ، عند فان اونج ! »
 - آه ! فان لونج ...

— قل لى ، ما رايك فى ذلك وأنت الذى تعرف (هونج كونج) بجميع دخائلها !

— هل أنت حقا فى خدمة فان لونج ؟

— مدير الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير .. اتعرفها ؟

— أعرفها .. أوه ! أن مركزها متسعين ، وأى مصرف فى

الشرق الأقصى يقبل توقيع « (فان لونج) » وهو مغمض العينين !

— هذا مما يطمئن . وهو مطابق لما قاله لى مدير فندق

« الملك ادوارد » . فهل له صفقات ضخمة مع أوروبا ؟

— نعم ! .. أتقول أنه استخدمك كطيار ؟

— .. لطائرة الشركة الخاصة .

— لم اسمع مطلقا من قبل عن مؤسسة التصدير والاستيراد

هنا ، تملك طائرة لحاجاتها الخاصة ، فان السفن تكفى لهذه

العمليات .

— ربما كان السبب أنهم أكثر تقدما من منافسيهم ؟

فجعل « ماك فرسن » يعبث بخده ، وشرب جرعة من

« الجن » ، ثم سألوه وهو يطوى جفنيه على عينيه الشاحبتين :

« أتعرف فان لونج هذا ؟ أتعرف من هو ؟ »

— اطلاقا ! .. أنه مخدومى الجديد ، وقد قابلته فى بيته

ذات مساء وهذا كل شيء !

— انه هجين من أم برتغالية وأب صينى . وقد عاش طويلا

فى جزيرة (فورموزا) قبل أن ينشئ بيته التجارى فى (هونج

كونج) فى سنة ١٩٤٧ .. وقد تعلم التجارة والاقتصاد عندما

كان سكرتيرا صغير الشأن فى حاشية « سونج » كبير وزراء

المالية وزوج اخت الماريشال « تشانج كاي شك »

وكان اسم « تشانج كاي شك » كافيا لى يرهف

« فرانسيس » أذنيه ، فإذا ماضى « فان لونج » يفتنون فى

ذهنه بسؤاله اياه عن معتقداته السياسية ، وعما اذا كان مع

الفاشية أو الشيوعية .. فلما دام مخلصه قد عاش فى (فورموزا)

وعمل تحت رئاسة « سونج » ، فمن المرجح أن يكون مخلصا للمارشال المنفى في جزيرته ! .. وقبل أن يفتح « فرانسيس » فمه ، أجاب « ماك فرسن » عن ذلك السؤال الذي كان على وشك توجيهه اليه : « ان الشائع بين الناس ان فان لونج اميل الى تشانج كاي شك منه الى ماوتسى تونج ! »

— أظن اذن أن معتقداته السياسية اذا تدخلت وأثرت في مصالحه التجارية ، فانها تدفعه الى المتاجرة مع (فورموزا) وليس مع (بكين) .

— لا وجه لهذا الظن ، فلعلك قد لاحظت يا صديقي ان الناس هنا يتاجرون في أى شيء ومع أى معسكر .. اذ ليس للنقود رائحة .. والذهب أثمن عندهم من الدم المراق ! — لقد فعلنا ذلك أيضا في أوروبا ، خلال حربين عالميتين . فكان المحايدون يتخمون بالمنافع والتجارة السرية مع المعسكرين المتحاربين ، وهم يلوحون بأقدس الشعارات وأنظفها ، فأثروا على أشلاء البلهاء الساكنين !

— ان (هونج كونج) تعتبر — بوجه الاجمال — سويسرا آسيا . فنحن محايدون بين الوطنيين في (تاييه) والحمري في (كانتون) . ونحن مرفأ التجارات ، وممكن المهجرين والجواسيس ، وملأ الراسماليين من اهل (شانغهاى) الذين اودعوا اموالهم وأقواتهم هنا في حى التاج البريطانى . وقد باركوا جميعا معاهدة (نانكن) التى قدمت الينا (هونج كونج) على صحيفة من الفضة ، في مقابل صحيفة ارز ! .. وكم كان الراسماليون في (شانغهاى) سعداء بالاحتفاء هنا عندما قبض الشيوعيون على زمام السلطة ! .. وكم من مليونير ممن يتقلب اليوم تحت شمس خليجنا ، كان من الممكن ان تبقر بطنه وتترك أحشائه طعاما للنسور !

— والسيد فان لونج ؟

— آه ! .. صاحبك الطيب فان لونج ! .. لقد لمحته يوما ،

رغم أنه لا يتردد كثيرا على « اللوتس الاسود » . كما سمعتهم يتحدثون عنه بما يكفى لتكوين فكرة عن هذا الانسان .. فهو تاجر حصيف بالطبع ، بيد ان غريزتى توحى الى بأنه اكثر من تاجر مصاييح كهربائية وبطاريات جيب ، ومكاو للشعر مما يستخدمه الصينيات الانقيات .. وما دمت فى خدمته الآن فسوف يتسنى لك ان تكون عنه فكرة فى وقت قريب !

♦ **والقدكان** «فرانسييسارنولد» فى الخامسة والثلاثين من عمره .. تزوج - بعد تحرير فرنسا - فتاة يقال انها من أسرة طيبة ، وقد استهوها زى الضابط الطيار وأوسمته .. وكان اسمها « ديانا » ، كاحدى بطلات الروائى « جورج اوبنيه » . أما اسم التذليل فكان « ديدى » .. وكانت الابنة المدللة لرجل من اثرياء رجال الصناعة ، ترمّل وظل - منذ بلغت ابنته الخامسة عشرة من عمرها - حريصا على تلبية رغباتها ونزواتها .. وقد أوتيت تلك الفتنة المترفعة ، التى تتمتع بها اوارثات من بنات كبار البرجوازيين . وكانت لها قبل الزواج علاقتان غراميتان بعشيقين سرعان ما أصبح امرهما فى حيز الماضى المفروغ منه . ولكن فترات غياب « فرانسييس » الطويلة - فى أسفاره - لم ترق لديدى ، التى لم تكن تعترف بنظام العمل ولا بمواعيد الطيران والرحلات .. فبعد سنتين من زواج كانت تتخلله مشاحنات متكررة ضاق بها صدر فرانسييس ، وبعد انذارات نهائية تتلخص فى تخبيره بين عجلة القيادة وبين « ديدى » ، أصبح الطلاق امرا لا مئاض منه .. وسرحت ديدى زوجها العزيز ليذهب الى سحبه وتطبيقاته ! .. ولما وجد فرانسييس نفسه أعزب مرة اخرى ، خاض عددا من المغامرات الفرامية ، عملا بما هو مأثور عن الملاحين من ان للواحد منهم زوجة فى كل مرفأ .. وراح يقتل

الوقت مع راقصات نحيلات من الهند الصينية ، وطالبات من الملايو في (سنغافورة) . وعرف سسكرتيرات من هاويات المغامرات الشاعرية ، ومطلقات مستهترات ! .. علاقات بنت يومها ، فليس لها غد ، ولكنها كانت ترضى شهواته ، وتترك قلبه جائعا !

وفيما كان نهبا للضييق في آسيا - منذ أربعة اشهر - عشر على شقيقة الروح . او على الاقل على رفيقة لطيفة تواسيه في آلامه .. اسمها « نينا وونج » . وكان والدها - الذي توفي من عهد قريب - من المنشورين المثقفين .. اما والدتها فكانت روسية مهاجرة ، رائعة الجمال ، كما كان يبدو من صورة فوتوغرافية تحملها « نينا » في قلادة ذهبية . وقد أنتج هذا المزيج العجيب من الدماء الاسيوية والاسلافية ، ذلك النموذج البديع للأنوثة . فقد كانت « نينا » طويلة مثل أبيها ، سوداء الشعر مثل أمها .. وكانت عيناها زرقاوين ، كأنهما جوهرتان من اللآلئ تحت حاجبين مقوسين يزيدان من الطابع الشرقي في سمعتها . وهى رشيقة ملفوفة القوام ، دقيقة المعصمين ، بديعة اليدين .. فلم يكن عجيبا ان يهيم بها فرانسييس حبا حينما التقى بها في محاسلات الاخلاص الكبرى - « جران مجازان سنسير » - وهى في (هونج كونج) بمثابة محلات « البون مارشيه » في باريس ، حيث كانت تعمل كخبيرة ترشد السيدات الصينيات في خبائر الثياب الأوروبية والملابس الداخلية ونوافل الزينة !

ولقد ولدت « نينا » في (موكدن) ، وتتمت في سن الرابعة والعشرين ، ففادرت (بكين) - حيث تلقت علومها - لتستقر في الجنوب .. في (كانتون) ، لا سيما وانها تعلمت لغة كانتون من أمها التى يرجع أصلها الى (كوانجتونج) ! .. حتى اذا الفت نفسها بغير عائل ولا مال ، عاشت - في البداية - عيشة شريفة ، وان كانت فقيرة ، اذ عملت كرفيقة بالأجر

للاقصين في احد المراقص . وكانت كبرياؤها تمنعها دائما من الانزلاق في المغامرات الوضيعة مع الغرباء من اوروبيين . واسيويين ، وهجناء الجنسيين السلافي او الاوروبي والصيني . . .
قد ورثت عن أبيها الراحل قوة الإرادة والصلابة ، كما ورثت عن أمها الروسية رقة العاطفة والخيال !

وكم من ثرى بدين قبيح الخلقة حاول اغراءها لتكون خليلته الخاصة ، عارضا عليها ان يعولها ، فكانت ترفض تلك العروض باحتقار . وتقول أنها لن تمنح نفسها الا للرجل الذي تحبه . . . وسواء لديها أن يكون هذا الرجل أمرا او متسولا . . .
وقد عرض لها هذا الرجل في شخص « فرانسييس » ، الذي لم يكن أمرا ولا متسولا ، بيد أنه لم يكن يعتبر الرجل المثالي لامرأة تكسب قوتها بعناء وضيق . وكان قد دعاها للعشاء . . . وفيما كانا يتناولان الحلوى ، قالت له بعد كل ماصارحته به : « لست أقبل أن اشارك رجلا - لا يروقني جسديا وخلقا - فراشا ، ولو في مقابل مليون تايل . . . فاني افضل فاقتى على بحبوحة العيش والرفاهية مع ثرى بدين أصفر اللون، ولو أغرقني بالجواهر النادرة والاحجار الكريمة ! »
وكان فرانسييس قد استهوانها منذ الساعة الاولى ، فقالت له في صراحة اخاذة : « أنك تمجيني أيها العزيز ! . . وأنا لا ازال محتفظة بعذريتي . . . وعلى استعداد لأن أقدمها إليك ! »
وبصراحة لا تقل عن صراحتها اجابها فرانسييس : « ان لاقتراحك هذا اعمق الاثر في نفسي أيتها العزيزة ، ولكني لا اصلح لفتاة تنشد الزواج . . . فانا حطام فاشل قذفته المقادير على صخرة (هونج كونج) ، في حين أنك اهل - في الواقع - لما هو أفضل من التضحية بما أوتيت من نعم ، في سبيل الحياة مع مخلوق فقير من طرازي . . . انه يسىء إليك اذ يقدم لك خاتم الزواج ! »

وبلطف شديد قالت « نينا » وهي تربت على يد

فرانسييس : « ومنذا الذى حدثك فى شأن خاتم الزواج ؟ »

• **ودامت** علاقتهما اربعة اشهر من غير ارتباط قهرى او وعود خادعة . وكانت « نينا » تعيش فى بيت ارملة صينية تأويها وتقوم برعايتها فى امومة .. وفى غداة مقابلة « فرانسييس » لفان لونج ، اتصل الشاب تليفونيا بنينا ، وقال لها فى حبور : « عزيزتى ، لقد حدثت معجزة كبرى ! .. لم أعد مهددا بخبز الصدقة او بالحساء الشعبى ، فقد حصل على عمل ! .. تعالى لمقابلتى هذا المساء فى فندق « الملك ادوارد » فى الساعة العاشرة ، وساقص عليك كل شيء ! »

وكان سرور « نينا » عظيما بهذا النبأ السار . وفى الساعة العاشرة طرقت باب حجرة « فرانسييس » طرقا خفيفا . وكان قد عاد لتوه من بار « اللوتس الاسود » . وارتمت فى اندفاع ساحر بين ذراعيه ، وهى تصيح : « ماذا وقع لك يا فرانسييس ؟ احك لى بسرعة ! » .. فليخصلها « فرانسييس » وقائع اليوم السابق ، فكان عجبها شديدا . وقالت :

— خمسمائة دولار لشهرك الاول ! .. ان هذا هو ينبوع الثراء ! يجب ان تحرق أعواد البخور أمام مذبح « بوذا » فى



معبد الرحمة الأكبر !

— ولستوف تذهبين أنت منذ الغد الى محل « وينج أون »
لتشتري ذلك الثوب الذى اعجبك وانت مارة به ذاك المساء !
— كم انت لطيف ! انى اعبذك يا فرانسيس !

— والآن ، انتظارا لارتدائك هذا الثوب ، اخلى الثوب الذى
عليك ، فان الحر الليلة شديد !

وبغير تردد اطاعت « نينا » .. وكانت نافذة فرانسيس
مفتوحة ، وواقعة مباشرة تحت ضوء احر صادر من احد
اعلاذات « آلنيون » . فبدت « نينا » وهى عارية فتنة لناظرى
« فرانسيس » ، فاخذ يتأمل ثدييها اللذيعين اللذين لاحا
كفتين صغيرتين من الرمر آوردى . اما طرفاهما فقد ذكراه بذلك
الكرز الذى يرصع به السقاة كؤوس الكوكبيل !

ولم يسعد فرانسيس يوما بحضور « نينا » ، كما سعد فى
تلك الليلة ، لان اقبال الحظ طرد شبح الفاقة — الذى ظل
جائما منذ اسابيع — عند فراشه ! .. واخذ العاشقان
المتعانقان — فى الفراش — يتهامسان بالنجوى . فان نينا كانت
مشوقة الى معرفة المزيد عن هذا العمل الجديد . واجتهد
فرانسيس فى ان يشفى فضولها . وما لبث ان قال : « اسمعت
يا عزيزتى شيئا عن « فان لونج » مدير الشركة الاسيوية
للاستيراد والتصدير ؟ »

— اجل . انها مؤسسة كبيرة ، ومحترمة جدا !
— الجميع يقولون لى ذلك . وليس مركزها المالى هو الذى
يهمنى — فانا واثق من استطاعتهم دفع الخمسمائة دولار فى
نهاية الشهر — ولكن الذى يحيرنى هو « فان لونج » نفسه ..
المدير !

— لم اره فى حياتى !

— اجتهدى لكى تعرفى شيئا عنه .

— وما الذى يقلقك من ناحيته ؟

— انها الطريقة الخارقة للعادة التى استقبل بها مخلوقا
مسكينا مثلى ، قدم اليه طلبا للحصول على وظيفة لا أهمية
لها اطلاقا !

• ونام فرانسيس الى الضحى ، بعد أن غادرته « نينا »
فى منتصف الليل . وفى الساعة العاشرة صباحا انقظه رنين
التليفون مذكورا . واذا عاملة تليفون الشركة الاسيوية للاستيراد
والتصدير تدعوه للحضور فورا لمقابلة السيد « فان لونج » .
فارتدى ثيابه بسرعة ، وتوجه الى شارع (فيكتوريا) ..
واستقبله مندوب المدير بابتسامته الازلية ، وأدخله الى مكتب
المدير . فاشهر « فان لونج » الى فرانسيس أن يجلس ،
ثم قال له :

— ياسيد أرنولد . اننا بحاجة الى خدماتك اليوم بالذات
.. هل تعرف (ماكاو) ؟
— طبعا أعرفها .

— ستتفادى مطار (فيرفيلد) فى الظهر ، وتهبط فى
(ماكاو) ، فى مطار (سان جوان) ، وسيرشدك اليه « جامبوا »
.. ملاح طائرتك ، فقد أصدرت اليه تعليماتى . وسيعرفك
بوكيلنا هناك السيد « هو » . ومكتبه قريب من الميناء —
ويسلمه رسالة تتعلق بك . وهاك خمسة وعشرين دولارا
صينية ، كي تتمكن من المقامرة فى لعبة « القاننان » .

— وهل المطلوب منى أن أفلس بهذه البنك ؟

— كلا . وسيمشرح لك السيد « هو » كل شيء . ومتى
انتهيت من مهمتك فعليك أن تركب طائرتك من (سان جوان)
— ولو فى بهمة الليل — وتعود الى (هونج كونج) ، فتفضى الى
بنتيجة رحلتك أيا كانت ساعة وصولك . وبما أنك لم تألف
بعد جيدا طريق دارى ، فعليك أن تحضر الى هنا حيث تجد

ياورى فى انتظارك كى يقودك الى بيتى . هل فهمت مرادى ؟
— الامر واضح غاية الوضوح .

وكان الامر واضحا جدا حقا ، وغريبا جدا .. ايضا .
واخذ فرانسيس يسائل نفسه — وحق له أن يتساءل — كيف
تستلزم أعمال الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير طيرانا
عاجلا كهذا الى (ماكاو) ، واشترانا فى لعبة (الغانتان) ،
وعودة عاجلة الى (هونج كونج) ؟ ! .. ومن المدهش حقا ان
يختار عميل للمؤسسة ملهى ليعقد فيه اتفاقا على صسفة
ثلاجات كهربائية او أسلاك . ولكنه لم يوجه أى سؤال بهذا
الخصوص الى « فان لونج » ، واكتفى بأن ساله :
— أعتقد أننى لن اواجه أية صعوبة لدى سلطات (فيرفيلد) .
سواء فى الرحيل أو فى العودة ؟

— اطلاقا يا سيد ارنولد ، فقد نسيت أن اذكر لك أن
علاقتى الشخصية مع مطار (فيرفيلد) المدنى ، علاقات ودية
لغاية . والمدير البرتغالى اطار (سان جوان) صديق لى ايضا .
وبالتالى ليس لديك ما تخشاه من هذه الناحية !

فأخنى « فرانسيس » رأسه وخرج ، فركب سيارة النقل
التابعة للشركة الى (فيرفيلد) ، حيث وجد فى انتظاره
« جامبوا » .. ملاح الطائرة وعامل اللاسلكى بهما فى الوقت
نفسه . وكان « فرانسيس » قد تعرف من قبل بهذا البرتغالى
.. وهو شاب جميل الشكل ، نحيف ، رشيق ، كانه راقص
محترف . وقد وقع اختيار « فان لونج » عليه لانه كان يعرف
آسيا جيدا : من (سيجون) الى (شانغهاى) . وقدم اليه
فرانسيس كاسا من الويسكى ليحمله على الكلام قبل الرحيل .
ولكن « جامبوا » كان قد التحق بالعمل منذ شهر واحد ، ولم
يكن كثير الاستطلاع . وكان جوابه على أسئلة « فرانسيس »
بلهجة الارتياح التام : « أوه ! الشركة الاسيوية للاستيراد
والتصدير ؟ ! .. ان كنت فى شك من جهة شيكاتها ، فاطمن !

« حساباتها لا حد لها ! » .. وهكذا وثق « فرانسيس » على الأقل ، من أنه لا يعمل لحساب مؤسسة وهمية .
وعند الظهر تماما ، أقلع بالطائرة متجها الى (ماكاو) ، وبعد سبع عشرة دقيقة ، هبط مطار (سان جوان) ، فإذا به مطار بدائي . وبمجرد نزولهما من جوف الطائرة ، التقى فرانسيس وجامبوا برجل صيني حيا الشاب البرتغالي أولا ، فقال الملاح يعرف كلا منهما بالآخر : « السيد أرنولد .. السيد هو ! » وبعد التحيات المألوفة ، صعد « أرنولد » الى سيارة « فورد » عتيقة ، تولى السيد « هو » قيادتها قيادة أبعد ما تكون عن الحلق والمهارة . فكان يغير السرعة بضوضاء شديدة ، ويترنج بالسيارة كامراة مكبرى .. وتوقف قبل أن يصل الى الميناء أمام نوافذ محصنة بقضبان من الحديد ، تعلوها لافتة « الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير » . وعندئذ استأذن « جامبوا » من السيد « هو » قائلا : « سأعود في نحو الساعة العاشرة مساء » . فقال الرجل : « وهو كذلك يا سيد جامبوا » . ولما اختفى البرتغالي عن ناظريهما ، أوضح « هو » الامر لفرانسيس ، قائلا : « ان هذا الشاب ينتهز فرصة حضوره الى (ماكاو) ليزور الصينيات اللاتي يشغف بصحبتهن ! » .. واستطرد السيد « هو » يهمس وراء كفه المعقوفة :

— انه ديك كبير يجب التمسك الى افغاص الدجاجات الصينية ! .. وهو يغيرهن دائما ، ويزعم ان النساء مثل سلة الكرز ، لا تستطيع أن تظل باستمرار تأكل كرزة واحدة ، بل يجب أن تلفظ النواة وتتناول ثمرة أخرى طازجة وهكذا !
وأجاب فرانسيس هامسا أيضا — على سبيل المجاملة ! — من وراء كفه ، مذكرا السيد هو بمهمته الاصلية التي خضر من اجلها ، فقال الرجل : « اليك هي ! .. يجب أن أفلك الليلة — في الساعة الثامنة — الى امام ملهى « الخيزران الخالد » .. وهو من ملاهى (ماكاو) المخصصة للمقامرة . وسوف

تدخل الى هناك بمفردك . وأظنك تعرف لعبة الفانتان » .
فقال فرانسيس : « طبعاً ! »

— وابتداء من الساعة الثامنة وثلاثين دقيقة تماماً ، ستبدأ اللعب من الطابق الاعلى . فهناك ذهليز يطل على مائدة اللعب في الطابق الاسفل . وتأكد من الوقت بالضبط : الثامنة وثلاثون دقيقة . وتذكر المبالغ التي ستلقى بها على الرقعة الخضراء : دولاراً ، ثم دولارين ، ثم ثلاثة ، ثم أربعة : ثم خمسة دولارات . ثم تعيد الكرة .. واحداً ، فائتين . ثم ثلاثة ، ثم أربعة ، ثم خمسة دولارات .. ولا تهتم بربحك أو خسارتك .. وعندئذ سوف يتقدم اليك خلسة رجل صيني ، ويقول لك بالانجليزية : « هل لك أن تلعب لى بهذا الدولار ؟ » .. وعليك أن تجيبه بالقبول ، واذا ذلك يدس ورقة ذات دولار واحد في يدك . فأياك أن تراهن بها ، بل دسها في جيبتك واخرج دولاراً من دولاراتك لتراهن له به . هل فهمت ؟

— نعم

— وعليك أن تستمر في اللعب ولا تهتم بالرجل الذي سينصرف على الفور . وبعد قليل أخرج أنت وتمش على افريز الميناء ، لتتأكد من ان احدا لا يتبعك ، ثم تعال الى هنا في مكتبي ، وستجدني في انتظارك . أما الدولار الذي أعطاك الرجل أياه فاستبقه في جيبتك ، لانك ستحملة الى (هونج كونج) لتسلمه الى السيد فان لونج .. وهذا كل شيء .

— مسألة سهلة !

— اليس كذلك ؟ ومن الآن الى الساعة الثامنة انت حر ، وعليك أن تقتل وقتك كيفما شئت .. زر الميناء مثلاً .. اللهم الا اذا كنت تفضل الذهاب لزيارة مدام وانج ، ففي وسعها ان تقدم اليك احدى هاتيك المخلوقات اللطيفات اللواتي تكون منهن سلة الكرز الاثيرة لدى « جامبوا » !
فقهقه فرانسيس ضاحكاً وقال : « شكراً لك يا سيد

« هو » ! .. لست اجد قابلية اليوم « لقرقرة » الكرز ! »
 - اذن ، في هذه الحالة ، أنصحك بالتوجه الى بار « النجم
 الابيض » ، فهناك تستطيع ان تستريح وتشرب الويسكى
 الاسكتلندى الجيد المستورد من بلاده مباشرة . . .
 وانفسحت الفرصة طوال بعد ظهر ذلك اليوم امام
 « فرانسيس » ، ليتذوق الويسكى الجيد في بار « النجم الابيض » .
 وكانت حيرة « فرانسيس » تزداد من ساعة الى ساعة .
 فان المهمة التي كلفه بها السيد « فان لونج » اليوم ، فتحت
 عينيه . ولكنه لم يحصر حتى الآن على استنباط نتائج منطقية
 معينة من هذه العملية الغريبة . الا انه صار من المقطوع به
 لديه ان هذا المستورد التجارى له علاقات غير عادية !
 واخذ فرانسيس يقيم موازنات عقلية مضحكة . فتخيل
 بيتا تجاريا مماثلا للشركة الاسيوية ، في (باريس) مثلا .
 وتخيل هذه المؤسسة الباريسية ترسل طائرتها تحمل موظفا
 الى (مونت كارلو) كى يلعب الروليت او البكاراء ، وكى يتلقى
 ورقة مالية صغيرة - من شخص مجهول يخف به الغموض -
 في قاعات الكازينو ، على ان يحتفظ الموظف بهذه الورقة المالية
 في جيبه ، كى يحملها بكل عناية ورعاية الى مخدمه !
 ان هذا يتجاوز حقا حدود الخيال والجنون ، اللهم الا اذا . . .
 وقفزت كلمة « الجاسوسية » الى ذهن فرانسيس . فان
 الامور خليقة بان تتضح - دون شك - اذا تبين ان فان لونج
 يعمل لحساب المخابرات السرية لدولة ما . . فعندئذ فقط ،
 تبدو جميع الاحتمالات التي لحا اليها مدير الشركة مفهومة ،
 بل ومنطقية تماما ! .. واذا كانت هذه هي الحقيقة ، فلحساب
 من اذن يعمل « فان لونج » ؟ الأمريكيين ؟ أم الانجليز ؟ أم
 الروس ؟ أم للصينيين البيض ؟ أم للصينيين الحمر ؟
 أحاج والغاز ومعميات ، لا بد ان يحمل المستقبل القريب
 حلها الشافى !



الفصل الثالث

لعبة « الغانتان »

♦ وفي الساعة السابعة وثلاثين دقيقة مساءً ، جلس « فرانسيس » في بار « النجم الأبيض » ، وطلب قطعة من السندويتش وقدحا من البيرة . وجاء جلوسه في أحد الاركان ، بالقرب من رجلين يحتسيان « البورتو » . . وكانا من اهل البرتغال ، ولعلهما من طائفة التجار ، وقد بكرا بغاي « كنبهما . ومهما يكن من أمر ، فقد وجد « فرانسيس » الفرصة مواتية كي يستعلم عن « ملهى الخيزران الخالد » فسألهما : « اتكلمان الفرنسية أيها السيدان ؟ »

قاوما الرجلان براسيهما في بشاشة . وقال أحدهما : - اننا نتكلم هنا عددا كبيرا من اللغات : الانجليزية والصينية والفرنسية والاسبانية . . فهل من خدمة تؤديها لك ؟
فقدم لهما فرانسيس السجائر ، واقترب من مائدتهما قائلا : « سأقضي في (ماكاو) أربعاً وعشرين ساعة سائحا ، وقد اثنوا لى كثيرا على بعض الملاهي ، ومن بينها ملهى

يسمونه « الخيزران الخالد » - فهل تعرفانه ؟
 فنفض أكبر البرتغاليين سنا رماد سيجاره الطويل وقال :
 - « الخيزران الخالد » ؟ طبعا نعرفه ! .. وهو - بينى
 وبينك - ملهى سيى السمعة . فاذا كنت تبحث عن وسط
 راق . فانى انصحك بأن تذهب وتلعب لدى « سن فو » فى
 ملهه المسمى « الحظ العظيم » ! ولكنى انبهك الى أن الناس
 يخسرون فيه - رغم اسمه الخداع - كما يخسرون فى سواه .
 ولكن الوسط ارقى !

- فهمت مرادك يا سيدى ! واذا كان الامر يتعلق بالملهى
 الراقية ، ففي بلادى الكثير منها : فى (دوفيل) و (كان)
 و (بيارترز) .. ولكنى انشد هنا « اللون المحلى » .
 - اذهب اذن الى « الخيزران الخالد » . فهو مكتف ، ذو
 رائحة منتنة !

- واين هذا الملهى بالضبط ؟
 - متى خرجت من هذا البار ، فاتجه يسارا فى شارع
 الميناء مسافة مائتى متر ، وستجد شارعا عموديا على رصيف
 الميناء ، فسر فيه وسترى على اليمين لافتة زرقاء عليها اسم
 الملهى باللغة الصينية .. ولن تستطيع قراءتها ، ولكنها اللافتة
 الوحيدة الزرقاء فى هذا الجزء من المدينة ، ولهذا فلن تضل
 الطريق ! .. وانى انصحك - على كل حال - بأن تمر - من باب
 العلم بالشيء ، بملهى « الحظ العظيم » ، فان الوسط هناك راق
 حقا ، ويرتاده البيض من سكان (ماكاو) ، بل وتستطيع ان
 تشرب فيه الشمبانيا . واذا خسرت أكثر من خمسين دولارا
 امريكيا ، قدم لك المدير عشاء صينيا فاخرا يعده طاهيه
 الخاص .

- شكرا لك يا سنيور .. وسأقيد ما وسعنى من نصائحك !
 ونظر فرانسيس فى ساعته ، فوجدها الثامنة مساء ، فخرج
 من البار الى أن وقف امام اللافتة الزرقاء المكتوب عليها

بالصينية « الخيزران الخالد » . فاذا بناء مرتفع ذو ثلاث طبقات ، قدر المنظر . فدخل بهوا مطليا بالجص ، خاليا من الزينة ، وقد تجمع فيه عدد من الصينيين يتناقشون في حظوظهم الماضية والمستقبلية . وكانت الضجة العالية تدل على ان ادوار لعبة « الفانتان » قد بدأت !

• ودخل فرانسيس قاعة مستطيلة الشكل ، جلس فيها المولكون باللعب الى مائدة كبيرة منخفضة مغطاة بمفرش مقسم الى مربعات ، مرقومة من صفر الى اربعة . وكان العامل جالسا امام كومة من « الفيشات الصغيرة » ، ومتى وضعت المراهنات وانطلق النذير بالكف عن تقديم المبالغ ، فصل بجاروفه بعض « الفيشات » - من تلك الكومة الكبيرة - وراح بعدها اربعة اربعة ، فيتبقى ختما عدد يتراوح بين سبفر واربعة ، يرمز الى الرقم الرابع . . ولكل من وضع مبلغا على الرقم الرابع من المفرش ، الحق في ان يتقاضى ثلاثة اضعافه ونصف ضعف . . ربعا صافيا !

وكان امام فرانسيس ربع ساعة يقضيه في مراقبة اللعبة واللاعبين ، قبل ان يحل الموعد الذي حدده له السيد « هو » . ثم جعل يتمشى في الطابق الارضى بين الرواد فوجدهم خليطا من الهجناء ، والصينيين ، والصينيات ذوات الزياب الحريرية المتعددة الالوان . وكان الجميع مشغوفين بتلك اللعبة . وفي اعقاب كل دور ترتفع منهم صيحات الاسى أو السرور والتنهيدات والفاظ السباب !

واقترب من فرانسيس رجل صيني نحيف ، بارز العظام ، في ثياب صينية سوداء ، بدا أنه من ملاحظى الملهى ، وهمس في اذنه فلم يفهم « فرانسيس » كلامه . وأشار اليه الرجل ان يتبعه ، وقاده الى دهليز ، ثم ازاح الستار عن قبو خافت

الضوء ، فشاهد فرانسيس رجلين مضطجعين فوق اريكتين
يدخان الافيون . وهمس المرشد بانجليزية ركيكة : « غليون
.. هل تريد ؟ قبل الغائتان ؟ »

فساله فرانسيس على سبيل الاستطلاع : « بكم ؟ » .
فاجاب المرشد مشجعا : « مجانا .. بدون مقابل ! » . وكان
جواب فرانسيس : « كلا ، وشكرا » .

وعاد « فرانسيس » الى القاعة الكبرى ، وكانت الساعة
الثامنة ، ثلاثين دقيقة تماما . فصعد الى الطابق الاعلى حيث
شرفة من الخشب تطل على مائدة اللعب في الطابق الارضى .
واتكأ على السياج . وكانت اللعبة توشك ان تبدأ ، فأرسل
اول رهان - وقيمته دولار واحد - وضعها الموظف المخصص
في سلة دلاها الى المائدة بخيط ، وهو يعلن الرقم المطلوب .
وكان من حول « فرانسيس » نحو ثلاثين لاعبا ولاعبة . وخسر
دولاره على الرقم اثنين . واعلن مراهنته بدولارين على الرقم
ثلاثة فربح .. ثم وضع ثلاثة دولارات على خانة الصفر
وخسرها . ثم راهن بأربعة دولارات على الرقم واحد فربح .
وكان وهو يلعب يرقب خلسة من حوله ، فلم يجد أحدا
ملقيا باله اليه . اذ كان كل واحد منهمكا في اللعب متجهبا
بكليته الى مدير اللعبة الجالس في الطابق الاسفل أمام كومة
« الفيشات » . ولعب فرانسيس بخمسة دولارات ، ثم بدا
من جديد يلعب من واحد الى خمسة ، واذا بشاب صينى
يقرب منه ، ويقف بجواره ويروح ينظر الى اسفل بعدم
مبالاة . وعندما اعلن فرانسيس مراهنته بثلاثة دولارات على
الرقم اربعة ، وقد دلى السلة الصغيرة ، اذا بالرجل يقول
- من فضلك يا سيدى . خذ هذا الدولار ايضا على الرقم
اربعة !

فتناول « فرانسيس » الورقة ذات الدولار ، ووضعها
في جيبه ، ثم وضع بدلا منها دولارا من دولاراته ودلى السلة .

وفي هذه المرة لم يربح رقم أربعة شيئا . وابتعد الشاب الصيني على مهل من غير أن ينطق ببنت شفة ، واختفى . واستمر فرانسيس يلعب بعض الوقت . ثم خرج كذلك ، وقد بلغ ربحه في جملته ثلاثة وعشرين دولارا ، وضعها في الجيب الأيسر من سترته . أما الدولار الذي أعطاه إياها الشاب المجهول ، فكان في جيبه الأيمن . وما أن غادر « ملهى الخيزران الخالد » حتى وضع الدولار في حافظته حتى لا يختلط بالدولارات الأخرى . وهكذا تمت الخطوة الأولى من العملية التي رسمها السيد « هو » من غير عائق !

وتذكر « فرانسيس » الوصية الثانية ، وهي التحقق من أن احدا لا يتبعه . فمشى على طول رصيف الميناء الذي تضيئه مصابيح متناثرة قليلة العدد ، وقد احتفظ في ذاكرته بصورة المنطقة ، بحيث لا يشق عليه تحديد مكان دار السيد « هو » . ومر به عدد قليل من الناس ، لم يكن بينهم من يبدو عليه الاهتمام بشأنه . فاجتاز حارة متعامدة مع رصيف الميناء ، وإذا به يجد نفسه محصورا بين رجلين صينيين برزا من ظلام الحارة ، ووقفوا عن يمينه وشماله . فثبت فرانسيس في مكانه . وقال له الذي عن يمينه بالانجليزية .

— بوليس الامن في (ماكاو) !

— وبعد ؟

— أن صاحب ملهى « الخيزران الخالد » اتصل بنا تليفونيا ، وأبلغنا بوجود دولارات مزورة بين مرأهناات « الفانتان » . وقد خرجت أنت الآن من هناك ، فاتبعنا الى مركز البوليس !

وارتبك فرانسيس بضع ثوان ، ثم فكر في أن الفرار بسرعة قد يعرضه لرصاصة تصيب ظهره من الشرطيين اللذين سيبرران فعلتهما — فيما بعد — بأنه هاجمهما . فمن الخير التفاهم شخصيا مع رئيس البوليس المحلي .

ومشى نحو عشر دقائق بين حارسيه ، فادخله بيتا معتما خافت الضوء ، في ركن شارع مواز لرصيف الميناء . وهناك اجتازا به دهليزا وادخلاه حجرة صغيرة ليس بها شيء من مظاهر الإدارة . وجلس احد الرجلين الى منضدة ، اما الآخر فوقف امام الباب . وسأله الجالس :

— ما جنسيتك ؟

— فرنسى . . وهذا جواز سفرى . وانى احتج على هذا الاعتقال الذى ليس له ما يبرره .

— انك متهم باللعب بنقود زائفة فى ملهى « الخيزران الخالد » !

— هذا اولا اتهام سخيف ، لان معى اوراق نقد من (هونج كونج) ، لا محل للشك فى امرها . ثم اننى اريد ان اتصل بـ تليفونيا على الفور بقنصل فرنسا فى (ماكاو) . فابن جهاز التليفون ؟

— الخط مقطوع !

— وهل مكتب بوليسكم بدون تليفون ؟

— بلى !

— فابن الخط ؟

— ارنى الجهاز .

— فى حجرة اخرى

— انه تحت الاصلاح !

وادرك فرانسيس ان الرجلين محتالان وليسا من رجال البوليس ، وان هذا المنزل ليس قسم البوليس . وانه اذا تأخر فيه طويلا مع هذين الرجلين ، فان موقفه سسييزداد خطورة فى كل دقيقة . . اذ لا شك فى انهما كانا يعلمان — وبوذا وحده يعرف كيف علما — انه تسلم رسالة سرية ينتظرها السيد « هو » ، وكانتاهما مصلحة كبرى فى الحصول عليها . وما لم يبادر فرانسيس الى التحرف فورا ، فانهما لن يلبثا ان يقيداه ويفتشاه ، وهذا ما كان ينبغى ان يتحاشاه باى ثمن ! ولما كان لا يحمل مسدسا ، فقد كان لزاما عليه

ان يعتمد على مهارته وسرعة حركته وعضلاته ودرايته
بالملاكمة التي كان يمارسها فيما مضى ..
وفي بضعة ثوان قدر الموقف .. كان هذان الصينيان خطيرين ،
ولا بد انهما كانا يخفيان أسلحة قاتلة .. فيجب عليه ان يعتمد
على المباغتة .. ولم يكن امامه الا بضعة لحظات كي ينجح أو
يفشل !

وتصنع فجأة الترنج ، كمن اصيب بدوار ، وجعل يجفف
جبهته بيد مرتعشة . ثم استدار فجأة نحو الرجل الذي كان



يرقب الباب .. ويعنف لا يقاوم . سدد اليه اكمتين جبارتين ،
اصابته الاولى في بطنه ، والثانية في فكه ، فتكوى الرجل على
الارض . ودار فرانسيس في الحال الى الخلف . ورفع المنضدة
ليقلبها فوق الرجل الجالس ، في الوقت الذي جسرد الرجل
خنجرًا من تحت ثوبه .. واستطاع فرانسيس ان يفلت من
الباب ، ويخترق الدهليز ، ثم يختفى في ظلام الشانغ ! ..
وظل يعدو باقصى سرعته في تيه من الشوارع المتداخلة ، كي
يضلل من عساهم يكونون في آثاره . وبعد قليل اتجه الى
دار السيد « هو » ، وهو يلهث . ولم يلبث ان دخل عليه
مكتبه بعد ان تحقق من أن احدا لم يكن يتعقبه !

♦ **وجلس** فرانسيس ، وقد ظهرت على السيد « هو »
 الدهشة . . فروى له مغامرته القاسية . وكان أول سؤال
 القاد عليه الصينى هو : « أوافق أنت من ان احدا لم يتبعك
 وانت قادم الى هنا ؟ » . فقال : « كل الثقة . فقد درت في
 منعطفات كثيرة ، وكنت حريا بأن أرى أى متعقب لخطواتى ! »
 . . وتذكر السيد « هو » الدولار ، فسأله : « وذلك الدولار
 الذى تسلمته فى الخيزران الخالد ؟ »

— هالك هو . . لا تقلق . فانى لم أفقده فى المشاجرة !
 فظهر الاطمئنان على وجه السيد هو . ووضع فرانسيس
 يده فى جيبه الداخلى واستخرج الدولار . وكانت هذه أول
 مرة يتطلع فيها الى ذلك الدولار فى الضوء ، فدهش دهشة
 عظيمة حين تبين أن له وجهين . ومعنى ذلك انه كان عبارة
 عن دولارين متلاصقين ! . . وبينهما شعر فرانسيس — تحت
 انامله — بوجود ورقة سدسوسة ، رقيقة جسيما ، لا شك فى
 انها كانت تحوى على رسالة ذات أهمية كبيرة ! ومهما يكن
 من شيء فان الوقت لم يتسع امام فرانسيس ليطيل فحص
 ذلك الدولار الغريب ، لان السيد « هو » مديده فتناوله
 قائلا :

— عفوا . ان الاوامر التى لدى تقضى بوضعه داخل ظرف
 مقفل ، ستحملة انت بالذات الى السيد « فان لونيچ » شخصيا .
 ووضع الصينى الدولار فى ظرف أصفر سميك ، ثم أقفله
 بعناية ، وختمه من الخارج . وحاول « فرانسيس » ان
 يسأله ، ولكن السيد « هو » كان يروغ من الاجابة ، ولم يزد
 على ان قال : « اننى أنصحك — يا سيد ارنولد — بأن تقص
 على السيد فان لونيچ تفاصيل الحادث الذى أوشكت أن تكون
 ضحيته الليلة ، فان ذلك امر هام . . بل عظيم الاهمية ! »
 — لا تخف يا سيد « هو » ، فسيعلم السيد فان لونيچ كل
 شيء ! والآن ، أرجو أن تسمع بذهابنا الى مطار (سان جوان) !

— كم الساعة الآن ؟

— التاسعة وثلاثون دقيقة . وارجو ان يكون السيد جامبوا قد فرغ من غزواته الغرامية لفتيات الميناء .
وركبا السيارة العتيقة التى أيقظت الجيران بضجيجها قبل ان تقوم . وجلس السيد « هو » الى عجلة القيادة ، وجعل يستعمل البوق — بغير انقطاع — فى الحارة المقفرة . الى ان وقف امام مطار (سان جوان) ، فاستعمل الفسارمل بعنف جعل فرانسيس يرتطم بالزجاج الامامى . ولكن السيد « جامبوا » لم يكن قد وصل بعد ، فأخذ الميكانيكى يعتذر عنه قائلا :

— ان لدى السيد « جامبوا » مهمما كثيرة هذه المرة ! ..
ثلاث فتيات ! ولا شك ان المسكين سيتداعى فى النهاية . لان
الرحوم « كازانوفيا » كان ناسكا .. اذا قيس به !
وشرع « فرانسيس » يعد طائرته للرحيل ، فامر الميكانيكى
بادارة المحركين .. واخيرا ظهر « جامبوا » ، فاستقبله السيد
« هو » بعاصفة من المعابشات اشترك فيها الميكانيكى . وسأله
فرانسيس عما اذا كان يتمتع بذهن صاح صاف يمكنه من
ارشاده الى مطار (هونج كونج) . فاحتج جامبوا قائلا : « لا
خطر على الاطلاق يا عزيزى ، وسأروى لك — أثناء الرحلة —
كيف قضيت الوقت مع الانسة « جوانا كونج » .. انها
مخلوقة رائعة ! .. تصور انها كانت تدخن السجائر عن طريق
موضع ما فى جسمها ! .. وفى الظلام كان لذلك المنظر من
الوقع ما لهدير الصواعق ! »

• وفى الساعة الحادية عشرة مساء ، كان فرانسيس قد
اودع طائرته مخزنها . وألقى تحية المساء على جامبوا — الذى
كاد يسقط اعياء لفرط النعاس والنعب — تم انجه الى مقر

الشركة . فوجد السيد « شو لى لانج » - ياور المدير - نائما في المكتب الرئيسى ، في انتظار وصوله . واتجه نحو « الفيللا » القنمة في (سيمور رود) . وكان متلهفا على هذا اللقاء بمخدمه . فوجده منتظرا في الصالون . وكانت أول عبارة له : « لم أكن انتظر عودتك بهذه السرعة ! »

- بل كان من المحتمل ألا ترانى اطلاقا !

- هل حدث للطائرة عطب ؟

- كلا . . سأروى لك كل شيء . وهاك أولا المفلسوف الذى أعطانيه السيد « هو » كى أسلمه اليك .

وفض فان لونج المظروف واخرج الدولار ذا الوجهين ، ثم نهض وقال : « اسمح لى ببضع دقائق ! » . فقال فرانسيس : « تفضل يا سيدى » .

وخرج فان لونج مسرعا . . وكان متلهفا - بالطبع - على مطالعة محتويات هذين الدولارين المتلاصقين . . وطال انتظار فرانسيس ثلاثة أرباع الساعة ، فلم يدهشه أن يطول هذا الغياب . إذ لم يكن ثمة ريب في أن الرسالة كانت مكتوبة بالشفرة ، وأن حل رموزها كان يحتاج إلى وقت !

وأخيرا ، ظهر فان لونج وقد زال التوتر عن وجهه . وتلطف فقدم كأسا من البراندى الى طياره ، ثم قال : « والآن يا سيد ارنولد ، قل لى : ما الذى وقع لك ؟ »

فروى له « فرانسيس » مغامرته والقبض عليه بوساطة ذاك الشرطيين المزيفين . وكان لهذا كله وقع شديد جدا على فان لونج . . وأخيرا ، ختم فرانسيس روايته قائلا : « انت تدرك طبعا ان شكوى مدير « الخيزران الخالد » من وجود دولارات مزيفة قد أخرجنى . وقد كنت مستعدا لاي تفتيش قانونى . ولكن الدولار الذى أعطانيه الشاب المجهول كان حريا بأن يقع في ايد غير التى يجب أن يصل اليها ، فاستخدمت شجاعتى وقبضة يدي وساقى كى أحمى لك دولارك . واظن

انك كنت ستستاء كثيرا لو أن هذين الشخصين استوليا عليه ! »

— هذا صحيح يا سيد ارنولد . انك في الواقع احسنت التخلص ببراعة من هذين المحتالين .

— عظيم . وبما أن الصراحة يجب ان تكون متبادلة . . . وبما اننى كنت اليوم في (ماكاو) لحسابك ، فاني اعتقد اننا نستطيع ان نتحدث الآن واوراقنا مكشوفة على المائدة . انك يا سيد « فان لونج » قد نشرت في الصحف اعلانا تطلب امين مخازن ، في حين انك كنت تبحث عن طيار . وقد ادمجت هذا الطيار في شبكة جاسوسيتك . ومع انى تم أكد افحص ذلك الدولار تماما ، ألا انه كان يحتوى اوراقا رفيقة سرية ، لا شك في انك حلت الآن رموزها ! . . واستخلص من هذا انى انا فرانسيس ارنولد — الطيار البسيط لطائرة الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير — قد أصبحت شريكك في الجاسوسية بغير علمى . وارجو ان تلاحظ انى لست مستاء ، فانك تدفع نى اجرا عن اعمالى . ولكن ، اذا كنت حريصا على ان اهتم بعملى ، وان ابدل كل عنايتى في التعاون معكم ، فيجب ان تثق بى ، وتصارحنى !

فأشعل فان لونج سنجارة . . وللمرة الاولى ، قدم سنجارة اخرى الى فرانسيس ، ثم نهض وأخذ يذرع الصالون — في صمت — فترة من الزمن . وكان واضحا انه متردد في كشف النقاب عن لعبته . وأخيرا جلس وصب كأسا أخرى من البراندى لفرانسيس ، وقال : « من الواضح الآن انك قد تبينت حقيقة الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير ، وانها ليست سوى مؤسسة تجارية مخصصة لاختفاء منظمة سرية ، لها هدف أهم كثيرا من البيع بالجملة لتجارات الدبايس و « البريمات » وما الى ذلك . وانت تذكر انى سألتك في أول مقابلة لنا عما اذا كانت معتقداتك السياسية تبيل الى الفاشية

او الشيوعية ! »

— وقد اجبتك بأن السياسة امر ثانوى فى نظرى ، فهى لا تهمنى فى بلادى . . فما بالك فى آسيا !

— لديكم فى الغرب تقام شبكات للجاسوسية لا يعرف افرادها بعضهم بعضا . أما هنا فان منظمنا مختلفة قليلا . هل تعرف شيئا عن الوضع الحالى فى الصين ؟ . . ان (بكين) قلقة من أعمال (فورموزا) . . وبمعنى آخر ، فان « ماوتسى تونج » و « شو ان لاي » و « ليوسكاوشى » — نائب رئيس المكتب السياسى — لا يمكن أن يسمحوا لفورموزا بأن تفقدو — بمساعدة امريكا — رأس جسر لجيش وطنى يقفز منها ، بقيادة الماريشال ، كى يغزو الصين من جديد ، ويقضى على الجيوش الشعبية التى يقودها الجنرال « شوته » . اذ ان هذا الجنرال الاخير ، ينوى تصفية القوات التى يسميها هو عصابات « تشانج كاي شيك » . ونحن هنا فى (هونج كونج) ، على حدود ولاية (كوان تونج) . وجميع هذه الولايات البحرية من (هاينان) الى (فوكين) ، الى (تشيكيانج) ، تعتبر تهديدا مباشرا لجزيرة (فورموزا) . ولهذا يقضى الامر بتنظيم شبكة للجاسوسية لا غنى عنها لخدمة مخابرات قوات الماريشال . وانا المسئول عن قطاع (كوان تونج) ، ومن حظى أن اقيم فى (هونج كونج) الانجليزية ، التى تعتبر بمثابة (جنيف) الاسيوية . وبالقرب منا (ماكاو) البرتغالية ، وهى ميزة ينبغي أن نستفيد منها .

— فهمت ! . . واستخلص من هذا انك استخدمتنى فى عمل لا يوصف بأنه مريح مأمون تمام الامن والراحة . وقد سحبت لى تجربة خطورته هذا المساء فى (ماكاو) !

— طعا ، ولهذا فأنت عيئت تحت الاختبار لمدة شهر بمرتب خمسمائة دولار .

— اذن فالمطلب منى ان اخاطر بحياتى — انا الرجل الابيض —

وان اتدخل في مشكلة أنا بمنأى عنها نأبى عن حرب بين أهل المريح ، وان أخوض تلك المخاطر نظير خمسمائة دولار في الشهر ؟!

— أترى أن هذا العمل يساوى أكثر من ذلك ؟

— نعم . فاطلب من حلفائك الأمريكيين أن يزيدوا المبلغ !

— يمكننا أن نعثر بسهولة على طيارين صينيين يقبلون

العمل ذاته بنصف هذا الأجر .

— ربما . ولكنك لن تكون مطمئنا الى عدم خيانتهم لك .

اما أنا فليس عندي أى تفضيل مذهبى لأجد المعسكرين ، ولهذا فمن المضمون مائة في المائة اننى لن ألعب على الحبلين !

— حجتك وجهية يا سيد ارنولد ، ولكنك تعلم أيضا — كما

اعلم أنا — ان الجواسيس كانوا يعملون — اثناء الحرب العالمية —

باجور زهيدة جدا . وحتى عندما كانوا يوعدون بجزاء مسيل

للعب ، فانهم كانوا يتقاضون نقودا زائفة . ذلك لان المخابرات

السرية ضئيلة بالمال جدا ، وهى تشتري حياة عملائها من

ارخص الاسواق ! ومع ذلك ، فانا اعتقد انك الرجل الذى

سنحتاج اليه في مهمات معينة في القريب . ولما كنا نعلم

بالتجربة ان الجواسيس الخونة هم الذين يتقاضون مرتبات

ضئيلة ، فانى مستعد لان أبقيك في خدمتنا — بعد مغامرة

اليوم — بمرتب قدره ألف دولار في الشهر . أى مائة وخمسون

ألف فرنك فرنسى بالسعر الرسمى ! ففكر فى الامر اربعا

وعشرين ساعة ، ثم خبرنى بما اذا كان بروق لك ام لا . ودعنى

اندرك مقدما بأنك — فى حالة الافتضاح — لن تستطيع ان تعتمد

على مساعدة (فورموزا) التى تجهل وجودك رسميا . . ولا على

مساعدة (واشنطن) التى تجهل وجودك كذلك . . ولا على

وزارة الخارجية الفرنسية التى لن تحرك اصبعها لحمايتك ،

بل ستقول : « ما الذى ورتط هذا الاحمق فى هذه المشكلات ؟ » .

فلن يكون فى عونك يا سيد ارنولد الا ذكائك ومهارتك فى الطيران

وفطنتك وقبضة يدك وعناية السماء .. اذا كانت السماء ستتنازل وتهتم بشخصك المتواضع ! .. وأضيف الى ذلك طبعاً كتمانك ، اذ يجب أن تقدر أنك ما لم تضع على لسانك قفلاً ، فيما يتعلق بعملك الحقيقي في الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير - حتى مع الاشخاص المقربين اليك جداً - فانك ستكون معرضاً للموت العاجل ، لان خصومنا لن يفلتوك ! - يا سيد فان لونج .. اننى لست متزوجاً ، وليس لى اطفال . وما كانت المغامرات لتفزعنى .. ولست بحاجة الى الاربع والعشرين ساعة لكى اعطيك جوابى ! - اهو نعم او لا ؟ - انه نعم !

♦ وفي اليوم التالى ، قدم فرانسيس الى نينا عشاء فاخراً في مطعم « منج » - وهو أشهر وأفضل مطعم صينى - في (هونج كونج) ، تخصص في أطباق فذة أهمها السمك بالصلصة مع السكر والخل ! .. وارجل الدجاج باليخنى . وكان فرانسيس يبدو مسروراً . فسأله نينا : « ما الذى حدث لك يا عزيزى ؟ » . فأجابها : « بعد شهر سيزيد مرتبى » - منذ الآن ؟

- أجل . سيصير الف دولار في الشهر !
- هذا رائع !

- نعم يا عزيزتى الصغيرة اللذيذة ! .. ألف دولار ! وطبعاً في الشهر القادم سأستبدل قلادتك المصنوعة من اللؤلؤ الزائف ، بقلادة حقيقية من الزبرجد الاخضر !
- فرانسيس ! فرانسيس !

واشرق وجه « نينا » سروراً . وكيف كان لها ان تعلم ان سخاء مخدم عشيقتها انما كان تعويضاً متواضعاً عن المجازفات الخطرة التى سيقترضه اياها عمله !



الفصل الرابع

أحسنيت يا سيد « هو » !

• امسى فرانسيس على معرفة تامة بموقع « الفيلا » التي كان « فان لونج » يسكنها ، ولم يكن قد شاهدها من قبل في ضوء النهار ، حتى استدعوه ذلك الصباح الى هناك على عجل في الساعة التاسعة . فتيين ان شرفتها تطل على منظر رائع ممتد من تلال (كوفلن) الى منحدرات حدود اكوانتون . . ولما كان قد حضر قبل مواعده بقليل ، فقد اخذ يتمشى في الحديقة الكبيرة . فلاحظ ان البستانيين كانوا يخفون مسدسات من طراز « براونينج » تحت اقمصتهم القطنية الزرقاء . بل ان واحدا منهم راح يراقب « فرانسيس » بعداء ، الى ان تلقى من رئيسهم اشارة مطمئنة . وكان هذا الرئيس مسلحا بمدفع رشاش صغير تحت معطفه . . فكان من الجلي آذن ، ان السيد « فان لونج » كان تحت حراسة دقيقة . . اذ كان متحوطا ضد القنلة المخترقين الذين ماكانوا يترددون في الهجوم عليه وهو في عقر داره !

وفي الساعة التاسعة تمسما ، ادخل فرانسيس لدى
مخدومه ، الذي قال له بغير مقدمات : « يا سيد أرنولد .
لقد أحتك بك في (ماكاو) شخصان ، في ذلك المساء . وهذه
أول مرة يتعرض فيها أحد عملائنا الموكلين بالاتصالات ، الى
المطاردة في المستعمرة البرتغالية . وقد قررنا أن نضع حدا
حاسما لهذا النوع من التدخل ، ولهذا يجب التحقق من
شخصية هذين الشخصين . فهل أقيت اليهما بالك جيدا
أثناء التحامك بهما ؟ .. سأريك الآن مجموعة من الصور
الفوتوغرافية ، وستخبرني بما اذا كانت بينها صورتا هذين
الشخصين ! »

وفتح « فان لونج » خزانة للاوراق ، أخرج منها مجموعات
من الصور الفوتوغرافية المتباينة الاحجام ، ونشرها على
المنضدة . وبعد أن فحص فرانسيس عددا منها : أشار
بأصبعه الى أحد الوجوه قائلا : « هذا هو الشخص الذي كان
يستجوبني .. اننى واثق من التعرف عليه ! »

فقرأ فان لونج الكتابة التي كانت على ظهر الصورة ، وبدأ
عليه الارتياح . ثم قال : « حسن جدا .. ليس من المهم أن
تعثر على زميله في الصور الأخرى ، لأننا نستطيع الاهتداء
اليه ، متى وضعنا أيدينا على هذا .. وسوف أتولى إبلاغ
السيد « هو » - بلغتنا المتفق عليها - كي ينتظر ظهور اليوم
في مطار (سان جوان) بماكاو . وعندئذ تسلمه الرسالة التي
سأحررها الآن ، ليعرف ماذا ينبغي عليك أن تفعل ! »

وجلس فان لونج الى مكتب صغير ، وتناول ريشة رفيعة،
غمسها في الحبر الصيني ، وكتب على ورقة بيضاء سطورا
راسية بالحروف الصينية . ثم أغلق المظروف - بعد أن
وضع فيه صورة الشخص الصيني المشتبه في أمره - وأعطاه
لفرانسيس ، وهو يقول : « أنصحك ألا تظهر في المدينة برفقة
السيد « هو » كثيرا ، ما لم يطلب هو إليك هذا بصراحة !

ولا تفارق - بدون أمر منه - مخزن طائرتك ، التي يجب أن تكون - باستمرار - على أهبة الرحيل بغير تأخير ، فقد تعود الليلة ، أو غدا ، أو بعد غد .. فهذا يتوقف على السيد (هو) . وعلى كل حال ، ستكون لديه تعليماتي مفصلة ، عليك أن تنفذها بحذافيرها .. وهذا كل شيء ! »

ووقف فان لونج ، وشد على يد فرانسيس .. وفي الساعة الحادية عشرة ، غادر فرانسيس مطار (فيرفيلد) . وكان جامبوا معه ، فقد كانت لعامل اللاسلكي صلات غرامية في (مكاو) ، تجعله حريصا على انتهاء جميع الفرص للتوجه الى هناك . وأثناء الطيران جعل جامبوا يقضي بأسراره الى فرانسيس . فقد شعر بميل صادق نحوه . وكان حديثه خليطا من لغات شتى ، تحت تأثير حماسه ، حتى غدت عباراته أشبه بـ « اليخنى ! »

- انك يا سيد أرنولد جدير بأن تفعل ما افعله انا ، فان فتيات (مكاو) من الطراز الاول بين الفتيات ، حتى انه ليتعذر عليك أن تشعر بالملل معهن ! .. ان الوقت متسع ، فتعال أقدمك الى الأنسة « هيلين ينج » .. أتعرف جلد « الشاموا » ؟ .. انه ناعم جدا . أتعرف زغب صفار البجع ؟ .. انه ناعم جدا ! ومع ذلك فان جلود هذه الكائنات خشنة اذا قورنت بجلد الأنسة ينج ! .. وهل تفضل الصدور الجميلة ؟ اذن ، أزكى لديك « سينوريتا » من جزيرة (بالي) القريبة من بورما ! .. والدها العزيز - قدس الله روحه - كان مندوبا لشركة هاريسون في (سنغافورة) . فلا البرتقال ولا « الجريبفروت » - الذي تنتجه كاليفورنيا - يعد شيئا مذكورا الى جانب صدر هذه الحسناء من بنات (بالي) !

ورأقت كلمات عامل اللاسلكي لفرانسيس فصاح : « اذن فانت - يا عزيزي جامبوا - تهتم بهذه الاشياء أكثر من اهتمامك بكل ما في الحياة ! .. اليس كذلك ؟ »

— بلى . بلى ! ولماذا نحن موجودون على وجه الارض ان لم يكن لهذه السررات المتباينة المذاق ؟ .. كل ما عدا هذا هباء في هباء . لماذا اكسب مالا يا صديقي ؟ أليس لاشترى ملذات حلوة المذاق ؟

— ولكن المخلوقات اللاتى تتردد عليهن ، لسن مخلصات في عواطفهن ، وانما هن يحبين حافظة نقودك قبل كل شيء !
— وماذا في ذلك ؟ .. أفيغنيك كثيرا — حين تتنسم عبير زهرة شذية — ان تكون هذه الزهرة مخلصه أو غير مخلصه في اشاعة أريجها ؟ .. وهل يعنى الزهرة أى شيء أن تكون رشيقة الانف ، أو أفطس العرنيين !
— هذه مهزلة .. ومجون !

— واذا كان هذا المجنون شهيا لذيذا ، فماذا يهمنى ؟ أليس البط المشوى لذيذا في الاكل ؟ .. ومع أن البطه تكون ميتة ، وزوحها تحلق في فردوس الطيور ، ألا أن هذا لا يصدنى عن أكلها . كذلك الفتيات الجميلات .. اتفن كالبط الميت ، التهمهن دون أن أسالهن عما اذا كان شكلى يروق لهن أو لا يروق !

وسكت جامبوا ، ثم لبس قبعته الخاصة ، بالاستماع والاتصال اللاسلكى ، وطلب برج المراقبة في مطار (سان جوان) ليعرف ما اذا كان الهبوط ممكنا في الساحة رغم « ب » .

• وكان السيد « هو » موجودا وعلى وجهه ابتسامته الواسعة ، وعلى راسه « كاسسكت » من النوع الذى كان ركاب الدراجات يستخدمونه ، في سنة ١٩٠٠ . وأوما اليه فرانسيس أن يدخل اليه في المخزن ، بعيدا عن انظار المتطفلين . وهناك أسلمه مظروف « فان لونج » ، فطالع السيد « هو » الرسالة الصينية ، وتطلع الى صورة الرجل وسأله : « أهو

هذا الشخص ؟ » . وأجاب فرانسيس : « أجل »
 - حسنا يا سيد ارنولد . تحسن صنعنا بالبقاء في . سنان
 جوان) ، فلا تظهر في المدينة قبل أن أخبرك بنفسى أو بواسطة
 جامبوا . نم في الطائرة ، أو اجلس في مقصف المطار ، ولكن
 لا تخرج الى المدينة !

- وهو كذلك . يا سيد « هو » .
 وأشار « هو » الى جامبوا ان يتبعه ، فركب الاثنان اسيارة
 « الفورد » العتيقة : التي اختفت عن الانظار بعد زوبعتها
 المعتادة . وما لبث السيد « هو » ان أوقفها أمام مكتبه . .
 وبعد ان دخل وجامبوا ، أوصد الباب ، وشرح له بالصينية
 أوامر « فان لونج » . التي كانت محددة حاسمة : العثور باى
 ثمن على ذلك الشخص ! فرفع جامبوا ذراعيه الى السقف
 وقال : « ما اشبه هذا بمحاولة العنور على رأس دبوس في
 حمولة عربية من الارز ! »
 - كلا ، فانه أعرف مكانا نستطيع أن نحصل فيه على
 معلومات مفيدة .

- اين ؟
 - في ملهى ومشرب شاي اسمه « الجميزات الثلاث » .
 - أعرفه ، فهناك فتاة جميلة قضيت معها بضعة ليال
 ممتعة !

- أمن فتيات كانتون هي ؟
 - كلا . بل هي من انام . واسمها الآنسة « منه باد » .
 وكانت حظية لدى ضابط مهندس ايرلندى تخلى عنها
 في (ماكاو) ، ورحل .

- سنذهب الى هناك بعد الظهر .
 - وفي أية ساعة ستكون بحاجة الى ؟
 - في الساعة الرابعة . . لماذا ؟
 - سأنتهز هذه لفرصة لأزور « هيلين ينج » ، إذ اشترت

لها جوارب من (هونج كونج) ، وستشكرنى عليها شكرا عيشيا ! .. وبعد ان انتهى من تقبل شكرها ، ساحمل زجاجة عطر من صناعة باريس الى « مرسيديه » ، وهى فتاة أندلسية ستشكرنى ايضا شكرا حارا !
 — لا تبدد كل قوتك فى جمع هذا الشكر با جامبوا ، حتى لا تعود منهوكا ، لاننى قد احتاج الى عضلاتك !
 — لا تشغل بالك من اجل عضلاتى يا سيد « هو » !

• وفى الساعة الرابعة ، دخل جامبوا مكتب السيد « هو » ، بادى السرور ، وكأنه قطعة فرغت لتوها من التهام فارين سمينين ! .. فاركبه السيد « هو » سيارته العتيقة ، وانطلقا بها حتى وقفا امام ملهى « الجميزات الثلاث » . وهو بناء جميل من الخشب ، على الطراز اليابانى ، كان قد شيده فيما مضى مهرب كويى الاصل . ودخل السيد « هو » وجامبوا ، بعد ان خلعا نعليهما حتى لا تتسخ تلك الحصر المصنوعة من الخيزران ، والتى صفت حواها موائد صغيرة من خشب « اللق » الاحمر . وامامها وسائل وثيرة للجلوس . ونادى جامبوا الانسة « منه باه » ، فاقبلت تيمس بقدها الرشيق ، فى غلاتنها الطويلة المصنوعة من الحرير الاسود . وطلب السيد « هو » شاي بالياسمين — وهو أجود انواع الشاي الصينى — بينما انصرف جامبوا الى مغازلة الانامية الحسنة ، التى جلست تحتسى الشاي على احدى الوسائل ، بين الرجلين .. وتقبلت بسرور سيجارة أمريكية . وبعد تمهيدات ومجاملات ، طرق السيد « هو » موضوع الزيارة ، فأخرج الصورة ، وسألها ببساطة : « اننى حائر يا آنسة منه باه . تصورى اننى أبحت فى (ماكاو) عن قريب لى من اصل كانتونى . انه ابن عم زوجتى الاولى ، ولم أره منذ عيد

المصاييح في عام ابن آوى . ولكنى علمت انه هذا . وهو يجهل وجودى في ماكاو ، ولذلك لم يستطع أن يبلغنى أخبار عائلتنا التى أنتظرها بفروغ الصبر . فعسى أن تعرفيه ؟ .. أنظرى الى صورته ! »

فتأملت منه باه الصورة في شئ من التردد ثم قالت :
« اننى لم أر قريبك هذا من قبل » .
— لا هنا ولا في أى مكان آخر ؟ .. أنظرى جيدا .
— كلا .

— ظننت انه كان يتردد أحيانا على ملهى «الجميزات الثلاث» .
— سائدى المدام ، فربما كانت لديها معلومات !
وانصرفت منه باه ، ثم عادت ومعها امرأة عجوز بدينة من ولاية (هاينان) ، ترتدى ثوبا أزرق بلون ريش الطاووس . وبعد التحيات المعتادة ، قص عليها السيد « هو » القصة ذاتها ، ثم أطلعها على الصورة فقالت : « أنك عائر الحظ يا سيد هو لانه كان هنا أمس » .. واذا أظهرت منه باد الدهشة ، قالت المرأة : « كانت منه باه قد انصرفت . وقد تناول الشاي مع رجل آخر . ولما عرضت عليهما تمضية الوقت مع الأنسة زمردة الخريف ، رفضا وانصرفا »
— الا تعلمين اين يسكن في ماكاو ؟

— كلا . فلم تكن لدى الرجلين رغبة في تبادل الحديث مع أحد ، فتركتهما وحدهما . وهذا كل ما أستطيع ان أقوله عنهما
— شكرا لك يا مدام لى .

وبعد ربع ساعة خرج السيد هو وجامبوا : « بوفقا في الشارع . وعندئذ قال السيد هو : « اننا لم نضع وقتنا هباء ، فالشبان موجودان في (ماكاو) حتى الآن ، بناء على هذه المعلومات .. وسنذهب الآن لزيارة الملهى الأخرى ومشارب الشاي «حيثما اتفق ، لعل وعسى .. ! »

وعلى هذا ، فقد ارتادا خمسة بيوت الشاى ، بدون جدوى .
وفى الساعة السادسة ، عاد السيد « هو » الى مكتبه ، وقال
للملاح : « لدى فكرة يا سيد جامبوا » .

— ان مخك الجبار لا تدور به الا الافكار الجبارة .
— لا ادرى ، ولكنها خطة لا ضرر من تجربتها . واحب
ان اعرف رايك . ان هذين الحاسوسين قد فشلا فى عمليتهما
مع السيد ارنولد . ولكنهما كانا واثقين من انهما فى الاتجاه
الصائب ، فلماذا لاتستخدم السيد ارنولد طعاما لاصطيادهما ؟
— ماذا تعنى بهذا يا سيد « هو » ؟

— بدلا من ترك صديقنا مختفيا فى سان جوان ، لماذا لا
نذهب فنحضره ، ونتنزه معه على أرصفة الميناء ، على مرأى
ومسمع من الجميع ؟ فاذا اسعفنا الحظ ، ياتبه هذان
الشخصان الى وجوده فى احد الملاهى الليلية . فسيتعرفان
عليه . . . وعندئذ تمنح لنا فرصة العمل !

— فلنجرب يا سيد « هو » . وماذا عسانا ان نخسر ؟
واستقل الاثنان السيارة العتيقة ولحقسا بفرانسييس فى
المطار ، فوجداه نائما فى قمرة الطائرة . ودهش كثيرا لعودتهما ،
فصعد السيد « هو » الى الطائرة مع جامبوا ، واطلع فرانسييس
على الخطة التى رسمها . وكان الملل قد استولى على فرانسييس .
فقبل — على الفور — القيام بدور كبش الفداء ، الذى يستخدم
لاستدراج الوحش . وأوضح له السيد « هو » التدبيرات
اللازمة ، فوجد ارنولد انها لا تخلو من حصافة . وركب معهما
السيارة العتيقة . . . وكانت الساعة بعد السابعة ، وقد بقيت
من ضوء النهار بقية . . . والناس يروحون ويجيئون على طول
أرصفة الميناء ، مترددين على الجوانيت . . . وأخذ فرانسييس
يسير وحده ، وكأنه يتسكع ، والسيد « هو » وجامبوا على
مسافة خمسين مترا خلفه . وطال تجواله على هذا النحو
ساعة بغير نتيجة ، الى ان خيم الظلام على البحر الهادى .

وكانت ثمة سفينة شحن واقفة في الميناء ، والآلات الرافعة تنقل اليها البضائع ، والضجيج يصل الى السماء الصافية الاديم .

ولحق به السيد هو وجامبوا ، وقال له وهما يمران بجواره قدما : « اتبعنا ، فسنتوقف بالملهى الليلية : ونبدأ بمطهى الحظ العظيم »

♦ وكلن هذا الملهى افخر ملاهى المدينة ، وهو الذى سمع فرانسيس عنه فى بار « النجم الابيض » ، ورواده من طبقة مختارة .. ودخل السيد « هو » وجامبوا الى جميع القاعات وراء فرانسيس . وبعد نصف ساعة افهماه بالاشارة ان لا فائدة من تبديد الوقت هناك ، فانتقلوا الى ملهى آخر اسمه « الدورادو » .. ولم يكن حظهم بأحسن من سابقه ! .. ووقفوا فى طريقهم امام ملهى من الخشب ، يلعب فيه الناس - خلسة - لعبة الحيرانات الستة وثلاثين .. وهى لعبة تشغف بها المرأة الصينية . ويختار اللاعب الحيوان الذى يراهن عليه - كالفأر ، أو الثور : أو الارنب ، أو الثعبان - اعتمادا على ما يكون قد شاهده فى الاحلام فى الليلة السابقة . فمن رأى فى حلمه شجرة - مثلا - فعليه ان يختار القرد ، ومن رأى فى حلمه رجلا فى ثياب مخططة اختار النمر .. ومنظمو هذه اللعبة المحتالون يسعون الى بيوت العملاء بثلثوا مراهنتهم . وكان الحظوظون - وهم قلة نادرة - يتقاضون بعد عمليتى السحب اللتين تجريان يوميا ، قدر قيمة مراهنتهم ثمانى وعشرين مرة . والواقع ان الحيوان الذى يدر الريح ، كان يختار فى مكتب المدير .. وهو دائما الحيوان الذى لم يراهن عليه غير القلة .

ووقف فرانسيس يرقب زبائن ذلك الملهى ، ثم لم يلبث ان

انصرف ، ودخل بعد ذلك ملهى « السعادة غير المنتظرة » . . وكانت لعبة « الفانتان » على أشدها ، والزحام شديدا حول المائدة الرئيسية . وفجأة ضغط السيد « هو » على ذراع فرانسيس وهمس في أذنه : « انظر الى الطابق العلوى . . هناك ، فى الشرفة من جهة اليسار ! »

ولم يجد فرانسيس عناء فى معرفة الشخصين اللذين اعتديا عليه ، فقام بالناورة المتفق عليها . . وتسلسل السيد « هو » وجامبوا وسط الزحام ، الى أن وقفا عند باب الخروج .

وكانت المناورة تتمثل فى صعود فرانسيس الى الطابق الأعلى ، حيث أطل من الشرفة ليراهن كما فعل فى المرة السابقة . . بدولار ، ثم اثنين . ثم ثلاثة ، ثم أربعة ، ثم خمسة ! . .

وكان يعتمد عند كل مراهنه أن ينظر بالحاح الى جهة السلم ، كمن ينتظر وصول شخص بفارغ الصبر ، وهو يعام تهما أن الجاسوسين كانا يراقبانه ، إذ اتهما اختفيا عند ظهوره وراء المراهنين الآخرين . . وبعد أن خسر بضعة دولارات دار على

عقبه ، واتجه نحو السلم . ولمح فى مرآة ان الشخصين تبعاه . فخرج من ملهى « السعادة غير المنتظرة » ، ليرى السيد « هو » وجامبوا جالسين فى السيارة « الفورد » ، تحت اشجار قريبة ، وآلة السيارة دائرة . فأسرع فرانسيس فى اتجاه مكتب الجمرک . . وتأكد من ان الجاسوسين كانا يتعقبانه !

وحسب تعليمات السيد « هو » ، عرج فرانسيس بفتحة على شارع معتم ، فأسرع الصينيان الى الاقتراب منه . ولما لم يعد يفصلهما عنه أكثر من عشرين مترا ، وصلت السيارة ، ووقفت فجأة بجوارهما . وقفز السيد « هو » برشاقة غير متوقعة منه وكذلك فعل جامبوا الذى كان ممسكا بمسدسه فى يده مثله . . وسددا ضربة عنيفة الى مؤخرتى راسى



الصينيين . فتهالكا على الارض . وعاد فرانسيس لكى يكون في مؤازرة صديقيه . فأمره السيد « هو » أن يساعدهما في نقل الجاسوسين الى السيارة بأقصى سرعة .

واودع الجاسوسان ارض السيارة - بين المتعدين - ثم غطاهما السيد « هو » بغطاء السيارة العتيق فأخفاهما تماما . وما لبث ان اسرع يقود سيارته الى مطار سان جوان . فلم يقف بها الا عند مخزن الطائرة . فنقل ثلاثتهم الصينيين بسرعة الى داخل الطائرة . واخفوهما تحت اكراس كانت موجودة هناك . وما أن انتهوا من اخفاء الجنتين حتى ارتفع صوت من الخارج : « يا سيد هو ! »

فتصيب فرانسيس عرقا باردا . واطل رأس أحد موظفي جمرك (ماكاو) خلال الباب ، فالتفت اليه السيد « هو » وصاح بابتسامته العريضة ، اللطيفة : « مساء الخير يا سيد فارجاس ! »

— هل سترحل الطائرة في هذه الساعة المتأخرة ؟
— نعم ، فلا بد لى من السفر الآن الى هونج كونج . . هل لك في سيجار « هافانا » يا سيد فارجاس ؟

— شكرا لك يا سيد « هو » . ومع السلامة !
واختفى موظف الجمرك ، فالتفت السيد « هو » نحو
فرانسيس وقال في بساطة : « انه صديق قديم ! »

• وبعد نصف ساعة ، تلقى فرانسيس الاذن بالطيران ،
فانطلقت الطائرة . وما إن ارتفعت في الجو . حتى التفت
فرانسيس الى جامبوا قائلا : « كأنهما خطاب ينقل بالبريد
الى مقصده ! » . فقال جامبوا : « أتعرف لماذا قدر لهما
هذا المصير ؟ .. لانهما تصيدا لك في ملهى .. السعادة غير
المنتظرة ! »

واذ أصبحت الطائرة فوق عرض البحر — بعيدا عن
الشاطئ — متجهة الى هونج كونج ، التفت فرانسيس ،
فراى السيد « هو » جالسا فى المؤخرة . ثم احس بتيسار
هوائى شديد ، يندفع الى جوف الطائرة ، فدهش ونظر
خلفه ، واذا السيد « هو » قد فتح باب الانقاذ — الذى يقفز
منه الركاب عند الخطر — فسأل جامبوا ، الذى كان يتأمل
المنظر باسم مستمعا : « ماذا خطر له ؟ »

— انه يرى اننا مثقلون اكثر مما ينبغى !

وعندئذ ، رأى فرانسيس السيد « هو » يرفع الاكياس
عن الصينيين الفاقدين الوعى ، ثم يرفع احدهما من قدميه ،
فيطوح به فى الفضاء . وبعد دقيقة طوح بزميله . ثم اغلق
الباب بعناية وهدوء تام ، وجلس وكان شيئا لم يحدث ! ..
وشعر الطيار بما طرا على الطائرة من خفة ، اذ قفزت فى
الجو ، ثم استأنفت طيرانها المعتاد .. وذهل فرانسيس ،
ونظر الى جامبوا ، الذى كان يغالب الضحك أمام جهاز
اللاسلكى .. وقال له : « ما الذى يضحكك يا جامبوا ؟ »

— انى تصور سمك القرش وهو يستمتع بوليمته فى هذه اللحظة !

• وكانت مقابلة فرانسيس والسيد « هو » لفان لونج فى داره فى هونج كونج حرية بأن تطيب كثيرا لهواة المفارقات الساخرة ، فان أولى عبارات فان لونج كانت : « انجحتما ام فشلتما ؟ » .. فقال السيد « هو » بكل ثبات وقد شبك يديه فوق بطنه : « بل نجحنا » . ثم روى الوقائع كلها للسيد « فان لونج » ، الذى راح يستمتع بتلك التفاصيل ، ثم قال : « كان الحظ فى جانبكما اذ عثرتما على هذين النسناسين فى ملهى « السعادة غير المنتظرة » .. كان هذا حظا عظيما حقا ! » — لقد قلت لك يا سيد فان لونج اننا حملنا هذين الوغدين فى سيارتى الى سان جوان .

— وهل ساءلت نفسك عما تفعل بها ؟

— طبعاً . فلو اننى قتلتهما بالرصاص ، لكان ذلك حماقة كبيرة ، اذ ان السلطات كانت خليقة بأن تدس انفها فى الموضوع . ومن ثم لم يكن هذا الحل موضوع بحث .. ولكننى نقلتهما سوهما فى اغمائهما — بمساعدة السيدان ارنولد و جامبوا ، الى الطائرة . ثم اقلعنا على الفور .

— وهما معكم ؟

— اجل يا سيدى . وما زالا فى اغماء .. وعندئذ ، ظهرت مشكلة جديدة تحدث ذكائى المتواضع ، فقلت لنفسى : انسا لن نستطيع ان نذهب بهما الى مطار فيرفيلد ، والا تعرضنا لاسئلة محرجة من السلطات الانجليزية . فماذا نصنع ؟ .. واشارت على عقليتى المتواضعة بحل بارع .. وفى اثناء تحليلتنا فوق البحر فى الظلام الدامس ، فتحت باب الطائرة ، واقيت بصاحبينا فى الفضاء !

— وكأنا مغشية عليهما حتى ذلك الحين ؟

— نعم يا سيد فان لونج . . وقد اختفى الاثنان الى الابد في المياه المالحة من ارتفاع . . كم مترا يا سيد ارنولد ؟

— ألفى مترا يا سيد « هو » .

— ألفى مترا يا سيد فان لونج . سيد هشنى كثيرا أن يرد الهواء الطلق صوابهما ، فيعودان الى (ماكاو) سباحة !

— أحسنت يا سيد هو !

وابتسم فان لونج ابتسامة هينة ، فرسم السيد « هو » على وجهه ابتسامة أخرى مهذبة . وسرت العسكوى الى فرانسيس ، فابتسم أيضا حتى لا يكون أقل تهديبا من السيدين . . وكان هذا هو التأبين الذى حظى به الجاسوسان ! وفى اليوم التالى ، تناول فرانسيس العشاء مع حبيبته « نينا » . واحتراما لفروض الصمت والكتمان ، اكتفى بأن قال لها انه قام برحلة ثانية الى (ماكاو) ، لحساب الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير . . وجلس الحبيبان السعيدان الى المائدة ، فقدم اليهما كبير الخدم قائمة الطعام . واختارت « نينا » طبقا روسيا . أما فرانسيس فقد احتسار في أمر طعامه ، فاقترح عليه كبير الخدم أن يأكل سمكا صادوه حديثا . . وقال : « أنه طازج جدا يا سيدى ! »

وتذكر فرانسيس على الفور الصينيين الذين القيا في ظلام الليل الى لجة البحر ، فرفض بحرارة ذلك الاقتراح ، قائلا : « كلا . شكرا لك . . الا السمك ! أعطنى طبقا روسيا كالذى طلبته الأنسة ! »



الفصل الخامس

جنازة حارة !

♦ كانت المهام التي تقام بها فرانسيس حتى الآن ، مهما لا ضرر منها نسبيا . فقد ظل فان لونج - طوال ثلاثة أسابيع - يبعث به حاملا رسائل عاجلة الى (ماكاو) ، أو يكلفه باحضار وثائق سرية من (تايبه) عاصمة (فورموزا) ، التي لا تبعد عن هونج كونج الا بمسافة تقطعها الطائرة في ساعة وربع . وذات مساء ، انعقد في « فيلا » فان لونج مؤتمر ضم اثنين من كبار الصينيين ، مندوبين عن هيئة اركان حرب الجيش الوطنى في (فورموزا) . وظل البستانيون المسلحون ساهرين في اركان الحديقة الاربعة . .

وقال أحد الصينيين - وهو الكولونيل «هان يو» المستشار المقرب الى المارشال شانج كاي تشك - مخاطب فان لونج ، الذى كان يصفى باهتمام : « لقد دنت ساعة العمل ، ولم نعد نستطيع مزيدا من الانتظار ونحن في حالة الجمود هذه ، التي

تعنى شلل الدولة . وقد صدق فيلسوفنا « شينج يون فاي » فيما قاله أخيراً من أنه « ليس للشعوب أن تصاب بالرومازم ولا تيبس المفصل » ! وقد تعرضنا للنقد الشديد في الخارج ، ومن بين الناقدين « ك . س . وو » ، الذي قال : « إذا كان رجال فورموزا عازمين على إعادة غزو الصين الكبرى ، فيجب أن يلقي نظام الماريشال تأييداً كلياً من جميع الدول الديموقراطية الأجنبية . ولكن نظام الماريشال جدير بأن يفقد احترام تلك الدول وتقديرها ، ما دام هناك قوميسسيرون سياسيون - على النوال الشيوعي - يقوضون روح فرق الجيش المعنوية ، وما دام بوليس الماريشال السياسي السرى يستخدم التهديد والتعذيب ! » .. أنتى اسرد عليك حملات « وو » للتذكرة ، اذ يجب أن نفتح عيوننا جيداً ونستيقظ .

أنا الآن نستعد للانتقام بمعونة الولايات المتحدة ، ولذا يجب أن نهمد الأرض أمامنا للعمل . وانت يا فان لونج مكلف بقطاع (كوان تونج) ، والماريشال يثق بك ، والقيادة العليا تنتظر منك شيئين : معلومات محددة عن تشكيلات الجيش الجنوبي ، وأعمال تخريب منظمة ومجدة النشاط كي تنهار روح جنود الجبهة المعنوية . وقد أحيط الماريشال علماً بعمليات انزال العملاء بالمظلات ، التى قمت بها فى الخريف الماضى .. وهذه العمليات يجب أن تتجدد وتكرر ، ولا بد من أن تضرب ضربة قوية مدوية ، لا سيما فى قطاع كانتون .. ! »

وانحنى فان لونج وقال : « أمر الماريشال مطاع ، ونعليماته سننفذ ! » .. وما لبث الرجال الثلاثة أن عكفوا على خريطة دقيقة لقطاع كوان تونج ، وأخذ فان لونج يدون الملاحظات . وفى هذه الليلة عينها ، أعادت طائرة حربية الكبرين الصينيين الى قاعدة (تايبه) . ومنذ الصباح الباكر ساد النشاط مكاتب الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير ، فتلقى الموظفون فى مكاتبهم أوامر متفرقة لاجتياز الحدود - أصدرها اليهم

فان لونج - لكى يحلوا محل الجواسيس الذين قبض عليهم
الحمر أو اعدوهم فى كوان تونج . فالاحياء دائماً يحلون محل
الموتى !

وذات مساء ، استدعى فان لونج « فرانسيس » . وقال
له : « انك حلقت حتى الآن فوق اراض صديفة او محايدة .
أما الآن ، فانى سأعهد اليك بمهمة أصعب من ذلك . ولا بد
ان خدماتك العسكرية اثناء الحرب جعلتك تألف هذا النوع
من الطيران الليلي ، ولذلك فلست أخالك تجهل شيئاً من
(تكتيك) الهبوط بالمظلات فى أرض معادية ؟ »

- انى اعرف هذا القليل من العمليات .

- حسن جداً . . تعال معى ندرس هذه الخريطة ، التى
تمثل منطقة (كانتون) - بمقياس واحد من عشرين الفا - من
المسافة الحقيقية !

وبسط فان لونج خريطة كبيرة ، ثم أشار الى نقطة على
مسافة ثمانين كيلو متراً الى الشمال الشرقى من عاصمة
(كوان تونج) . وقال : « انظر الى هذا الصليب الاحمر ! انه
نقطة الوسط فى سهل ، تطلوqe التلال وتنتشر فيه حقول
الارز . وهو الموضع المحدد الذى يجب ان تلقى فيه بالبراشوت
ستة طرود خفيفة ، مغلفة جيداً . يزن كل منها نحو ثلاثين
كيلو جراماً » .

- من الديناميت ؟

- كلا . بل هى مفجرات ذات توقيت ، مجهزة بساعات .

- اهى مخصصة لتفجير القنابل ؟

- بالضبط . . وقد أعد هذه القنابل ثوارنا ، ولا ينقصهم
الا هذه المفجرات . وسيكون من نصيبك ان تحملوها اليهم فى
ليلة ١٤ - ١٥ ، فى الساعة ٢٢ وثلاثين دقيقة بالضبط !

- وما هى العلامات المتفق عليها ؟

- أربعة نيران على شكل معين ، ستوقد هناك فى الساعة

٢٣ و ٢٥ دقيقة بالضبط . ويجب ان يكون سقوط الطرود الستة مضبوطا بحيث تستقر على الأرض في وسط الشكل المعين ! . ثم اليك هذه التوجيهات التي سستتيح لك الحد الأقصى من الأمان : فان المدفعية المضادة للطائرات نشطة جدا حول (كانتون) . وانصحك عند القيام من (فيرفيلد) ان توجه الطائرة نحو ماكاو ، كأنك ذاهب في رحلة من رحلاتك المعتادة . . حتى اذا صرت فوق ماكاو ، فخلق على ارتفاع ستة آلاف متر ، واتجه الى الشمال الغربى . وبعد ان تقطع في هذا الاتجاه مائة كيلو متر حول الدفة نحو الشمال الشرقى . ثم اقدف بالمظلات هذه الطرود ، على ارتفاع مائة متر . ومتى تم القاءها ، اتجه على الفور نحو ماكاو . عن طريق نهر اللواؤ ، الذى يجب ان تطير فوقه بأقصى سرعتك ، تحاشيا للمدفعية المضادة التي ستحاول ان تتصيدك في الطريق . وامامك فرصة توازى تسعين في المائة للنجاة .

— حسنا .

— ومتى صرت فوق ماكاو ، اتجه نحو البحر ، الى اتجاه جنوبى غربى . وعليك ان تطير على ثلاثين مترا من سطح الأمواج ، اذا ما وجدت طائرات الميج الصينية في دوراتها فوق المياه الإقليمية المقاطعة كوان تونج . . ثم اهبط . — أخيرا — في فيرفيلد !

— مفهوم يا سيد فان لونج .

— وسيتلقى جامبوا تعليمات محددة ، كي يقوم بمساعدتك على خير وجه ، فهو يعرف المنطقة جيدا . ويمكنك ان تعتمد عليه .

• وفي تلك الليلة ، كانت النجوم تتلألا في سماء صافية الاديم . وكان فرانسيس جالسا بجوار جامبوا ، امام مخزن

طائرت « الالباتروس » . وكان قد حسب بدقة الوقت اللازم لاتمام العملية ، فاذا به لا يزيد على خمس عشرة دقيقة .. ومن ثم فقد كان امامهما نصف ساعة قبل التحليق ، فجلسا على العشب يدخنان . وقال فرانسيس لجامبوا : « هالذرحلة تغاير ما تعودته من غزواتك الغرامية في ماكاو ! » .. فاطلق جامبوا زفرة طويلة ، ثم قال : « يا للخسارة ! .. مما يرثى له ان لا نستطيع الهبوط بالبراشوت فوق سفن الزهور الراقية في شاطيء (شامين) ! »

وسأله فرانسيس : « أتعرفها ؟ » . فزفر جامبوا مسرة اخرى ، وقال : « أعرفها ؟ ! .. لقد بدأت تاريخي الفسرامي الحافل هناك ، وكان عمري وقتذاك أربعة عشر عاما ونصف عام ! » . فقهقه فرانسيس ضاحكا وقال : « ياعزيزي جامبوا ، انك تحدد معالم الكرة الأرضية بمغامراتك .. فلو ان أحدا حدثك عن الاكروبول ، لقلت له : « ان هذا يذكرني بيونانية حسناء لها عينان كشمار اللوز » ! .. واذا سألك أحد عن رايك في حمامات الامبراطور كركلا الساخنة ، لقلت : « آه . أنه المكان الذي قرصت فيه ردف امرأة رومانية سمراء ، فاحمة الشعر كالليل ، غيورا كالنمرة ! » .. هكذا أنت حقا ! »

— اليس هذا طبيعيا رغم كل شيء ؟ .. لقد كان أبى من اجمل رجال البرتغال في زمنه . وقد اورثنى اعجابه بالجنس الضعيف ، ونظرته الى الكرة الأرضية من خلال جمال المرأة .. لان الله خلق النساء للترفيه عن الملاحين .. وهذه هى نظرة الرجل الحكيم !

— انها حكمة ستفقدك الى المقعد ذى العجلات ، حين تبلغ الخمسين من عمرك !

— ربما ! .. ولكنى اكون قد افدت من الحياة حتى تلك السن .. فالاحمق هو الذى يتطرف في العفة ، ولست أحب لنفسي ان يكون تابوتى فيما بعد خزانة للفرص الجميلة الضائعة !

وكانت عينا جامبوا تلمعان لذكرى مغامراته الفرامية .
 واستخرج لنفسه سيجارة - من العلبة اننى قدمها اليه
 فرانسيس - واستطرد قائلا : « فلنعد الى الحديث عن سفن
 الزهور . . اننى أتذكر قواذة عجوزا من الصينيات ، كانت
 تقدم - لمن يدفع الثمن الاعلى - صبية جميلة - من حسان
 (كانتون) - فى الخامسة عشرة من عمرها . . وهى سن
 « جوليت » ! اما جسدها فكانه تمثال من العاج . . ولها عجز
 متماسك مثل كرات الجولف . وكانت فضلا عن هذا لعوبا ،
 جريئة تلعب بالرجال كأنهم كرات من الصوف تلهو بها قطة !
 . . وكان مجموع عمرى وعمرها لا يكاد يبلغ الثلاثين . وظننت
 العجوز التى كانت تقدمها اننى لست بادئا ، حديث عهد
 بالمغامرات ، بل ظلمتنى خيرا بفنون الهوى . فلم يخطر بباليها
 ان هذه القطعة الكانتونية هى التى كان مقدرا ان ترينى الدنيا ! »
 ووضع جامبوا اصابع يده اليمنى مجتمعة امام سفتيه ،
 كمن يرسل قبلة ، وصاح : « آه يا فرانسيس ! متعة جديرة
 بالآلهة ! ومائدة جديرة بالملوك ! وفى الساعة الثالثة صباحا ،
 أغمى على من الارهاق ، فقامت العجوز بردى الى الصواب
 بضربات فاسية من خرقة مبللة بالماء القذر الذى يجرى بين
 ضفتى نهر اللؤلؤ ! . . فلما عدت الى اليابسة كانت قد سلبتنى
 دولاراى العشرة ! »

- ألم ترها بعد ذلك مطلقا . . هذه القطعة الفاتنة ؟
 - كلا للأسف ! . . بل علمت بعد ذلك بثلاث سنوات ان
 كولونيل صينيا خنقها !
 - يا للمسكينة ! ولماذا ؟

- كان هذا الكولونيل لا يحب ان يشاركه أحد اياها !
 وبدرت عن جامبوا اشارة غامضة ، ونفخ دخان سيجارته
 نحو النجوم ، وهو يقول : « انها الآن فى جنة الهريرات الصغيرة
 . . ضحايها قسوة الصفر الجبابرة ، الانانيين ! » . . ونظر

فرانسييس الى ساعته . فاذا الوقت قد آن كي ينسبنا حديث المغامرات . فقال آمرا : « يا جامبوا . الى الطيران ! »
 واقلعت الطائرة . . وبعد قليل وصلت فوق ذلك المكان المصين الذي حدده السيد لونج . وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والعشرين واربعاً وعشرين دقيقة . فاشمار جامبوا يرتعد جاره الى اربع نيران مشتعلة على الارض . . وشرع فرانسييس يحوم في الجو ، ثم هبط الى ارتفاع مائتي متر . وقام جامبوا بالقاء الطرود الستة . . ووفقا لتعليمات فان لونج ، انقض فرانسييس مقتربا من الارض . ثم طار باقصى سرعة فوق مياه نهر اللؤلؤ . التي بدت كشريط من الفضة . . وتمت العودة دون ما ضرر او عقبة . وقبل منتصف الليل بعشر دقائق ، كانت الطائرة تحلق فوق البحر - على ارتفاع عشرين مترا من سطح الامواج - ثم هبطت في مطار فيرفيلد . وقدم فرانسييس تقريرا عن مهمته الى « فان لونج » ، الذي سر للنتيجة وقال له : « لسوف تعرف - بعد قليل - نتائج طيرانك الليلي ! » -

♦ وكان من عادة فرانسييس و « نينسا » ان يشاما الى الضحي . في ايام الاحد . وفي ذلك اليوم كانا متعاقبين فوق وسادة واحدة ، وانف فرانسييس بين غدائر شعر نينا البني اللون . . وكان يجب ان يحس فوق جسده بذلك الجسد الجميل المشوق الحار . الذي كان يعلم انه له وحده . ولم يكن فرانسييس متميها يوما - كما كان في ذلك الوقت - بتلك الحشمة الروسية المشمورية ، التي جمعت في توفد عواطفها بين عزيمة انيها ورشاقة امها وسحرها !
 ونهضت نينا بخفة : فالتقطت - من فوق البساط - صحيفة « هونج كونج جازيت » ، وراحت تتصفحها . وفجأة استلقت نظرها مقال عنوانه : « جنازة حارة ! »



وأخذت تطالع المقال . ثم عجزت عن أن تقاوم الرغبة في تنبيه صاحبها ، فقالت له : « أرايت هذه القصة يا حبيبي ؟ . . انها غريبة للغاية ! » . فتساءل : « وما هي ؟ » . فقالت : « جنازة حارة للسيد تشن » . وقال فرانسيس : « لا ، لم أرها . لمأذا ؟ » . فقالت : « اذن أسمع هذا ! »

وشرعت نينا تقرا بصوت مرتفع : « روى صيني من أهالي (كوان تونج) ، جاء الى ماكاو - منذ أيام - لاجئا ، مأساة غريبة من مآسي الحرب الخفية التي تدور بين دولتي الصين . ولم تشر الى هذه المأساة الصحف التي تصدر باللغة الصينية في (بي بنج) ، لان رقابة حكومة الجمهورية الشعبية لم تسمح بكشف النقاب عنها . واليكم الوقائع : في ليلة ١٤ - ١٥ من أكتوبر ، كمن في مزارع الارز أربعة فلاحين من اتشاوتشونوا ، واوقدوا اربع شعلات من النيران عند اركان الحقل الاربعة . وكانت هذه هي الاشارة المتفق عليها كي يتلقى عندها هؤلاء الاربعة من رجال « تشانج كاي تشيك » ، المواد اللازمة لصنع القنابل المتفجرة ، بواسطة المظلات التي تسقطها عليهم طائرة قادمة من فورموزا . . وبعد ان التقط هؤلاء الفلاحون ما سقط عليهم من السماء ، ليستكملوا بها صنع قنابلهم ،

وضعوها في معبد مهجور مكرس لبوذا ، رب الرجاء ،
 « والى هنا والعملية عادية تشبه كثيرا غيرها ، اذ ان اعمال
 التخريب كانت منذ الازل عنصرا من عناصر الحرب الباردة
 بين الاشقاء المتحاربين . بيد ان عملية هذه المرة ، كان مكتوبا
 لها ان تتخذ اتجاهها غير منتظر . فان فلاحا كهلا يدعى
 « تشن » . مات بعد عيد منتصف الخريف في (كوانج لين) .
 وكانت اسرة هذا الفلاح من ضحايا النظام الجديد ، اذ ان ابنها
 المبكر اعدم بسبب آرائه المعادية . فكانت الاسرة على استعداد
 لانتهاز اول فرصة للانتقام . وقد ذهب مندوب المقاومة
 للسرية - في ذلك القطاع من كوان تونج - الى امرأة الفلاح
 الكهل وابناء اخيه ، وعرض عليهم الخطة الماكرة التي دبرها
 الثوار ..

« فمن المعروف ان الجنازة الصينية لا تشيع الا بعد ان يحدد
 ساحر القرية اليوم والساعة المناسبين ، كما يمين الموقع الذي
 يجب ان يستريح فيه الفقيد في الارض ، كي تقبله الارواح
 - في العالم الآخر - قبولا حسنا ! .. وكان من المقرر ان
 يسلك موكب جنازة السيد « تشن » طريقا محاذيا لسكة
 حديد كانتون الداهية الى (شيوشاو) . فرؤى ان لا توضع
 جثة الفقيد في تابوته الفخم - كما تقضى التقاليد - وانما في
 تابوت متواضع من الخشب الابيض ، يخبأ في مكان ما من
 بيت الفلاح . فاذا كان يوم الجنازة الرسمية ، حمل التابوت
 الضخم الثقيل على اعناق عشرة من المتطوعين - وهو خال -
 الى جبل الياسمين ..

« وطريق شيوشاو يمر - في بقعة معينة منه - قريبا
 من مخزن للبنزين ، يخفيه جيش الثورة الشعبية . وهذا
 المخزن هو الذي يمد أسراب الطيران - في جيش الجنوب -
 بالوقود ، ويتسع لنحو أربعمائة طن من البنزين .. وكانت
 تسبق موكب الجنازة - الذي سار وراء التسابوت الضخم

الخالى من جثة الفقيـد - جوة من الموسيقين والنائحـات ،
 وفقا للتقاليد ، ومعهم حملة القرايين والصدقات . ومن وراء
 هؤلاء أفراد الاسرة . . . وعند ما صدرت اشيرة معينة من
 مندوب المقاومة السرية ، وقف حملة التابوت فجأة ، واطهروا
 فرعا مباغتـا . فدهش أفراد الاسرة وتساءلوا عن سبب هذا
 الفرع ، فاعلن حملة التابوت انهم سمعوا من داخله طرقات
 صماء . . . فلعل السيد تشن لم يمـت حقيقة ، وانه افلق من
 غشبة وقتية ، فكان يحاول الاستغاثة . وفرغ الجميع
 وبادروا الى الفرار - بناء على اشارة متفق عليها من مندوب
 المقاومة - وهم يصرخون رعبا ، لان الارواح الشريرة توشك
 ان تنقض عليهم عقابا لهم على اقدامهم على دفن هذا الميت
 قبل اوانه . . .

« وما ان وضع التابوت على ارض الطريق ، وتوارى جميع
 المشيعين وراء ربوة هناك ، حتى ملأ الجو انفجار مروع ، تلاه
 آخر ، ثم ثالث ، ثم رابع . . . وشيئا فشيئا ، وصلت النار
 الى الاربعمائة الف لتر من البنزين ، فاشتعلت وهلات السماء
 بسحب من الدخان الاسود ! . . . ولقد كان نجاح هذه الخطة
 - التى رسمها المتمردون - تاما ، بفضل القنابل التى كانت
 مخبأة فى تابوت السيد « تشن » . فاصبحت وفاته وسيلة
 جبارة للانتقام لابنه الذى اعدمه الجلاد لعذائه للنظام
 الشيوعى .

« وقد اضاف اللاجئ - الذى حمل الينا القصة من كوان
 تونج - ان اسرة السيد تشن انضمت الى المقاومة السرية ،
 كى تنجو من الاضطهاد الذى كان ينتظرها ! »

* * *

• وبعد ان فرغت نينا من القراءة ، وضعت الجريدة فوق
 ركبتيها . وكان فرانسيس قد اصفى لذلك المقال باهتمام

بالغ ، الا انه تصنع عدم المبالاة ، كأي رجل خبر مآسى الحرب العالمية الثانية ، واكتفى بأن قال معقبا ببساطة : « ليس السيد تشن هذا أن يشكر من أن جنازته لم تكن حارة ! »

وركت نيدا فوق الفراش ، وحملت في وجه فرانسيس وقالت وقد عقدت ذراعيها في حياء فوق ثدييها : « اتصدقني يا فرانسيس لو أنني اعترفت لك بأنى كنت أؤثر أن أكون بين أعضاء أسرة السيد تشن ، كي أشهد جنازته التي انتهت تلك النهاية النارية ؟ »

— ما كنت اظنك — يا يمامتى الصغيرة — حقودة الى هذا الحد .

— انك لم تعرفني بعد ...

— بل اعرفك تماما ! .. من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب !

— كلا ايها الحبيب .. وارجوك ان تدع التعرف الى معالم قسرتي ، وتكف عند تلمس نصفى الجنوبى ! .. انما كنت جادة في حديثي ، ولا تنس ان والدتى العزيزة — رحمها الله — كانت روسية ومن بنات المهاجرين . لقد ضحيما بأسرتنا كلها على ملذات الثورة الروسية ، فقتل جميع افرادها رميا بالرصاص او شنقا .. فهل من عجب أن أسر حين أرى رجال المقاومة من اتباع فورموزا يوجهون هذه الضربات السريية الى حلفاء السوفييت من الصينيين ؟ .. ان هذا امر طبعى بعد كل شيء .. ولو أن والدتى قضيا بين الديمقراطية الغربية مثلا ، لو جدتني أول رغبة في ابناء الغرب سرا .. اتحب ان ابوح لك بسر ؟ اعلم اذن أنه لو واثقنى الفرصة ، لما ترددت في عرض خدماتي على رجال المقاومة من أعوان شانج كاي شيك ! — على رسلك ! .. دعى المتخاصمين يسوون خلافاتهم فيما بينهم ، واكتفى انت بسرد محاسن المخمل والحريير واللينو لعمليات محلات الاخلاص !

وبحركة حادة من رأسها ، ألقت نينا غدائر شعرها الاسود الى الخلف . وكانت قد تهطلت فوق جبينها . وضربت بقبضتيها الصغيرتين صدر حبيبتها : وصاحت بين الضحك والممازحة : « اننى لم أخلق لحبك الصوف ، ولا طهو الارز ، وانما خلقت للقتال ! »

فانفجر فرانسيس ضاحكا ، وقبض على ذراعى عشيقته فسلحركاتها . ثم جذبها اليه برفق وهو يغمغم : « احبك يا نينا .. وكم احبك حينما يستولى عليك الغضب هكذا . كأنك تهمين بتعطيم كل شيء ! »



• كانت سفن الزهور فوق نهر اللؤلؤ بكانتسون : من اهم الطرائف التى يزورها السائحون الفرييون : يوم كان مسموحا لهم بدخول الجمهورية الصينية . ولا تزال هذه المؤسسات الجميلة - التى لا توجد الا فى الصين الجنوبية - احدى عجائب المنطقة . وهى عبارة عن قوارب راسية بين ضفتى النهر : لتكون مواخير عائمة للحب الجنى . يؤمها الماجنون والعسكريون فى ساعات الانطلاق .. وفى الليل - فى ضوء القمر - يطوف الرواد مستعرضين سفن الزهور : فى زوارق صغيرة . فيجدون هذه العوامات مضاءة بمصابيح « الاسيتيلين » ، وقد احتشدت فيها نماذج من الجمال الصينى .. وتسمع بين الحين والحين تعليقات مرحة ، وعبارات غزل : واصوات تتغنى بالاناشيد الشعبية التى كانت رائجة منذ ثلاثين عاما .

وكانت السيدة « ينج نينج » تقطن فى الحى الفرنسى القديم بمدينة (شامين) ، فى بيت من الخشب ، يقع فى مواجهة رصيف الميناء ، بحيث تستطيع هذه السيدة من نافذتها ان ترقب - من بعيد - اسطول السفن .. وكان لها فى ذلك

مأرب ، لانها كانت من اهم موردرات نبات الهوى والحب
 الماجور .. فعندما تفقد « سفينة التأوهات » او « سفينة
 الجمال الغالى » احدى غاياتها . لان احدا الهواة استأثر لنفسه
 بمستخدمه حسناء ، تقوم السيدة ينج نينج بتوريد بديلة لها
 على الفور : او بديلتين يختار صاحب السفينة منهما من
 تروقه ! .. فما كانت هذه السائمة البشرية المعطرة تنقص
 تلك السيدة ، لانها كانت تملك من المال ما يمكنها من شراء
 نبات الفلاحين الفقراء بأرخص الاسعار . وبصد ان تدريبهن
 أحسن تدريب بخبرتها الواسعة تدفع بهن الى المستنقل
 العريض ، على تلك السفن ، فوق نهر اللؤلؤ .. حيث تشهد
 النجوم الساطعة فى الليالى الصافية غزواتهن الغرامية المشبوبة!
 وكانت مدام ينج نينج فى الخامسة والخمسين من العمر ،
 قصيرة القامة ، ذات وجه مفضل كشمرة القراسية الناضجة
 .. وحول شمعها الاشيب شريط من المخمل الاسود ،
 مزركش بأزهار حمراء وصفراء . وكان لباسها - فى الغالب -
 توبا جميلا سماوى اللون . يكاد يعصر جسمها الذى ظل على
 نحافته الاولى .. وكانت أرملة ، قضت معظم وقتها فى حجرة
 نومها ، حيث تسبر بخطى غير مسموعة : فى نعلين سميكين ،
 فوق بساط يمتد بين نافذتين تظللهما ستائر من الكشمير ..
 وبالقرب من فراشها - المصنوع من خشب اللق الاحمر -
 قفص صغير من الخيزران الذهبى مستدير الشكل . بداخله
 عصفورها الحبيب اليها ، يحلم بحريته الضائعة ! . وكانت
 السيدة ينج نينج تحصل على ابراد ضخمة من تجارتها البشرية
 .. ومن جراء حبها الشديد للمال ، استطاعت مضاعفة ثروتها
 وايرادها الشهري ، اذ أصبحت عينا من عيون فان لونج فى
 (شامين) !

وفى تلك الليلة ، كان الجو حارا . واجتاز صينى متشمع
 بالسواد - كانه شبح - تلك القنطرة الصغيرة التى تربط

(شامين) بكانتون ، وطرق الباب بحسب ثلاث مرات ، ثم مرتين ، ثم مرة واحدة ، ففتحت له الامة المعجوز وادخلته . وبعد التحيات المألوفة وتناول آشاي ، جفف السيد « شياو » وجهه بمنشفة منداة بالماء الحار ، وجلس امام مغسيفته . . . وكان السيد « شياو » لا يزال شابا . . . كان من أبناء كانتون ، قصر القامة ، متوقد العينين ، يبدو عليه الحزم . . . وكان من الجهة الرسمية - صانعا فنيا ، بنحت التماثيل من الحجارة الصلدة ، في حانوته بشارع اليافوت . اما من حيث الواقع ، فقد كان من اعضاء الجهاز الثوري ، الذي يقوم بنقل الاسراة بين كانتون وهونج كونج . . . وكان يجتاز الحدود اسبوعيا - تحت ستار تسليم سلعه في كون لون - مخترقا دروبا يعرفها وحده دون سواه ، ليسلم الى يد « فان لونج » الرسائل التي ينتظرها رئيسه على مضض !

وبعد ان اسدلت السيدة ينج نينج جميع الستائر ، قالت بصوت منخفض : « لقد سطرت على هذه الاوراق تقريراً دقيقاً جدا الى السيد فان لونج . وانا واثقة من انه سيهتم بما فيه » . فسألها شياو : « وهل هناك جديد ؟ » . فكان جوابها : « أجل . . فالامر يختص باحدى سفن الازهار »

- أهى تلك السفينة التي في نهاية الصف من جهة الشاطئ الشمالي للنهر ؟

- بالضبط ، وهى ترسو على بعد نحو خمسين متراً من السفن الأخرى .

- تذكرتها ، فهى سفينة منعزلة ، لا يرى الحيران من يترددون عليها . . . وقد ذهبت مرة الى هناك منذ سنة ، فقصيت وقتاً لطيفاً مع الأنسة « زهرة الربيع » . انتظري . . انها تسمى « سفينة اللذات » !

- هذا هو اسمها فعلاً .

- وانت التي تزودينها بالفتيات الرافعات المفضيات ؟

فاجابت : « نعم ! » . وسالها : « وماذا حدث ؟ » ، فقالت :
 - لم يحدث شيء بعد ، ولكن ينبغي ان يعلم السيد فان
 لونج ان شيئا سيحدث قريبا . واعذرني يا سيد « شياو »
 اذا لم اقل لك اكثر من هذا !

- بل انا الذى يسالك الصفيح عن فضولى !
 - انى اطلب من السيد فان لونج فى هذه الرسالة التى
 اسلمها اليك ان يبلغنى تعليماته بخصوص فرصة غير عادية ،
 يحسن بنا ألا ندعها تفوتنا !

- ستكون رسالتك فى يد السيد فان لونج فى مدى ثمان
 واربعين ساعة . واعتقد انى ساحضر اليك رده بنفسى !
 - فلتحرسك الارواح الطيبة طول طريق رحلتك يا سيد
 شياو !

- واذا آمنى لك يا سيده ينج نينج عشرة آلاف سنة
 سعيدة !

ونهض السيد شياو : وسلم . واختفى فى عتمة . ولشدة
 حذره دار حول (شامين) قبل ان يعبر القنطرة الصغيرة
 - مرة اخرى - ويختفى فى جوف الليل .





الفصل السادس

السيدة رقم ٢ الجنرال كيانج تاو

• عندما حمل السيد شياو الانباء السرية الى السيد فان لونج ، لم يرتكب أى تسرع . . فلم يذهب الى مكتب السرية الاسيوية ، ولا الى « فيلا » مديرها . . فقد كان هناك مندوب اسبوعى - مجدد مقبدا - فى مكان معين . مع مندوب الشركة « شو لى لانج » . . اذ كان الرجلان يتقابلان فى امكنة مختلفة متفيرة . فيرتطم أحدهما بالآخر فى الطريق ، وكان ذلك حدث عفوا ، ثم يتبادلان الاعتذار والمجاملة . ويستنهز السيد شياو هذه الفرصة فيدس فى يد المندوب الرسالة المهدودة ، ثم يستأنف طريقه !

وبعد ثمان وأربعين ساعة من اللقاء الذى تم بين شياو والسيدة بنج نينج . كان قد سلم الظروف : فحمله المندوب فى المساء الى المدير الذى أطلع عليه . وكانت فحواه كما يلى : « ان سفن الازهار - كما سبق ان اخبرن سعادتك - مصدر للمعلومات لم نستغله بعد استغلالا كافيا . فبعض

هذه السفن يتردد عليها ضباط حامية كانتون ، وبينهم ضباط الفرقة الثالثة والعشرين . . وان عقد السنهم لتنحل بتأثير الشراب ، وقد تأكدت أنه من المفيد لنا الا نضيع على أنفسنا بعض المعلومات النافعة التي يمكن تصيدها هناك .

« ولقد سنحت فرصة فذة ستكون على تمام الاهبة قبل الشهر القمري السابع . وهذه الفرصة ستقدرون سيادتكم قيمتها . وهى كما يلى : **فبين السفن الراسية عند الضفة اليسرى للنهر ، سفينة تسمى « سفينة الملذات » ، يمتلكها السيد تشانج فاي ، الذى يعتبر من اخلص عملائى ، اذ انى امده - منذ اكثر من عشرين سنة - بالانسان اللواتى قامت على جمالهن شهرة سفينته ! . .** وبناء على المعلومات غير المباشرة التى وصلت الى ، تأكدت من أن كبار الضباط فى المدينة يترددون على سفينته كثيرا . وسعادتكم تدركون بلا شك مغزى ذلك . وقد سنحت فرصة نادرة لنا بانتواء السيد تشانج فاي بيع سفينته ، اذ أثقلت السنون كاهل الشيخ الجليل فرغب فى التقاعد فى مسقط رأسه ناننج ، بمقاطعة كوانج سى . ولقد ساومت السيد تشانج فاي طويلا ، وانتهى الامر باستعداده للنزول من « سفينة الملذات » لى شخصيا ، مقابل ثمانية آلاف دولار نقدا .

« فاذا توفر لديكم المبلغ اللازم لهذه الصفقة ، اسنطعت أن انجز العملية ، وأعهد بادارة السفينة الى شخصية موثوق بها ، تقومون باختيارها . وساعين فى السفينة حسناوين أو ثلاثا، من بينهن الحسباء « شوشاو » التى ستجتذب السادة اركان حرب القيادة الى السفينة . فتصبح مركزا للمعلومات الثمينة لنا ! . . وانا فى انتظار أوامر سعادتكم ، وارجو أن يتمكن السيد شياو من تسليمى المبلغ - فى رحلته القادمة - كى اتمكن من انهاء الصفقة مع السيد تشانج فاي »

ووضع فان كونج الرسالة فوق المكتب ، وراح يفكر طويلا

في اقتراح السيدة ينج نينج ، اذ بدا لعينيه براقا بالآمال .
وفي صباح اليوم التالي ، استدعى فرانسيس الى مكتبه ،
وسلمه رسالة مكتوبة بالشفرة ، وموجهة الى رئيس المخابرات
السرية في الجيش الوطنى بتاييه عاصمة فورموزا . فاقطع
فرانسيس على الفور الى فورموزا ، وعاد في الليلة ذاتها بالرد
.. وكان هذا الرد يتضمن تفويضا للسيد فان لونج لاجراء
اللازم بغير تأخير . فقد اتفقت كلمة اركان الحرب هناك على
وجوب انتهاز هذه الفرصة النادرة !

★ ★ ★

♦ وبعد عشرين يوما ، وصل الكولونيل « هان لو » الى
هونج كونج ، واجتمع بفان لونج طويلا - في « الفلا » القائمة
في شارع (سيمور) - وأبلغه وجهة نظر رئيس المخابرات
السرية . فكانت أولى عباراته : « ما هي آخر خطواتك مع
قوادة شامين ؟ »

- سيتم توقيع عقد التنازل عن السفينة بعد بضعة أيام .
وفي وسعنا أن نقرر ابتداء ادارة « سفينة الملذات » - تحت
اشرافنا التام - قبل العاشر من الشهر القادم .
- ولكي نحصل على كل فائدة نطمح فيها من وراء امتلاك
هذه السفينة ، قررنا - بعد تفكير طويل - وجوب العناية
الشديدة باختيار النساء المخصصات لاجتذاب الزوار اليها .
- في وسعنا يا كولونيل أن نثق بالسيدة ينج نينج ، التي
تنوى تعيين حسناء من اقليم (سوتشواو) ، بضرب بسحرها
المثل ، وستكون فتنتها بعيدة الاثر في كانتون .
- ولكننا نرغب فيما هو اكثر من هذا . فنحن لا نعلم أن
كانت هذه الفتاة الحسنة ستعرب في العمل لحسابنا ام لا .
وفي حالة رغبتها ، فنحن لا نعلم هل لديها الذكاء الكافي
لاستخراج الاسرار النافعة لقضيتنا .. ولهذا قرر رئيس

مخابراتنا السرية انتهاج خطة اعتقد انها عبقرية .. نعم انها خطة عبقرية يا سيد فان لونج . فهل تذكر الجنرال كيانج تاو ، من قواد الجيش الجمهورى ؟

— نعم اذكره . فقد كان يقود الكتيبة السابعة عشرة المصفحة .

— بالضبط . وقد قتل اثناء الحرب الكورية .

— اذكر هذا ايضا . فقد وصلت الينا انباء ذلك منذ سنين

على الاقل !

— لقد خطرت لرئيس مخابراتنا السرية فكرة الاستعلام

بدقة عن الحياة الخاصة للجنرال كيانج تاو ، فاتضح انه

فضلا عن زوجته الشرعية — التى دخلت الدير بعد وفاته

— كان يقتنى ثلاث محظيات .. المحظية الاولى منشورية ،

والثانية من زسوان ، والثالثة من هانج تشاو . فكانت السيدة

المنشورية تعتبر المرأة « رقم ٢ » فى حياته . وقد اعتكفت

فى منشوكو على اثر وفاة سيدها ومولاها . اما المرأة « رقم

٢ » ، فماتت بالكليرا فى شنج تو .. والمرأة « رقم ١ » تزوجت

موظفا صديرا فى تسنج تاو ، بمقاطعة شانتونج . والان استمع

يا سيد فان لونج لما ساقوله جيدا ! . لقد فكرنا فى اننا لو

استطعنا ان نضع فى « سفينة الملذات » هذه ، امرأة يظن

الجميع انها المرأة « رقم ٢ » سابقا فى حياة المرحوم الجنرال

كيانج تاو ، لاستطاعت هذه النسخة الزائفة من المحظية

الاصلية ، ان تستدر الاسرار من ضباط كانتون ، بما لها من

ماض ومكانة يجعلانها شخصية عظيمة جديدة باكتساب

مودتهم وثقتهم .. فتكون لنا جاسوسة من نوع ممتاز !

— الفكرة فى الواقع بارعة . ولكن ...

— انتظر ! .. لقد احضرنا صورة فوتوغرافية للسيدة

« رقم ٢ » هذه . وكانت تسمى الانسة « عطر السماء » .

وقد حمايتها اليك .. ها هي !

ووضع الكولونيل هان يو على المكتب صورة فى حجم بطاقة

البريد . وشرع الرجلان يدرسان معا ملامح المحظية . وكانت سمراء ، جميلة ، رشيقة جدا ، وأنيقة جدا في بوبيا الحريري ذى الياقة العالية ، المفتوح جانبه الايمن حتى الركبة . والمطرز بعناية وفن . . وكان في اذنيها قرطان طويلان من الذهب . يمثلان معبدا صينيا مرصعا بالجواهر الكريمة . . وحول معصمها الايسر ساعة مستطيلة الشكل من الذهب . ذات سوار على شكل حلقات بيضاوية . . وهز اذن لونج رأسه - أخيرا - وقال : « لقد كانت مخلوقة جميلة حقا يا كولونيل ! »

- وواجهك الآن أن تبحث - بغير تلكؤ - عن امرأة تشبه الأنسة «عطر السماء» الى اقصى حد ممكن . وتذكر ان المرحوم الجنرال كوانج تاو لم يعتقد أن يظهر زملاءه في الجيش على محظياته اللاتي كان يقتنيهن في بيته . فقد بلغنا انه كان مريعا بالنساء ، عارم الشهوة . . وكان يفضل - حين يلهو مع أصحابه - صحبة القيان المحترفات . . على انه يحسن - من باب الاحتياط - أن تكون المرأة التي ستقوم بدور الأنسة «عطر السماء» شبيهة بها !

- سأشرع في البحث عن هذه الشبيهة ياسيدي الكوانيل . - ومتى عثرت عليها وتحققت من امكان الاعتماد عليها في المهمة الدقيقة التي ستناط بها ، فأرسلها الى اتيه . . وهناك سنعهد بها الى خبراء قلم المخابرات ، الذين سيعلمونها الف باء المهنة ، وخصوصا دقائق حياة الفقيد الخاصة ، اذ يجب أن تعرفها جيدا ، لانه لا يجوز أن تفاجأ الأنسة «عطر السماء» المزعومة بمقابلة فائد يسألها عن علاقتها بزميله . ثم يكتشف وقوعها في اخطاء فاضحة . . واني اطمئنك الى ان هذه المرأة ستدرب احسن تدريب ، ولن تجهل كبيرة اوسفرة من حياة الرجل الذي كان مفروضا انها ملأت فراغ حياته بالمتعة والسحر !

وما أن انصرف الكولونيل يان هو ، حتى شرع فان لونج في البحث عن هذا الطائر النادر . وكان اول ما فعله في هذا الصدد ، انه استدعى ياوره وسلمه الصور الفوتوغرافية التي تمثل الأنسة « عطر السماء » . فوعده تشو لى لانج بأن يجتهد في البحث . . . وقضى بضعة ايام يجوب انحاء هونج كونج وكون لون أملا في العثور على شبيهة معقولة ، ان أعجزه العثور على شبيهة مطابقة لها مطابقة التوام . . وتصادف ان كان - ذات يوم - في حانوت للعطارة الصينية ، بين عقاقير الثعابين المجففة ، وأرجل الضفادع ، والاعشاب التي توصف لعلاج العقم ، ودهن الثور الذي يشفى الروماتزم ، والاقراص المقوية للباد . . وإذا به يلتقى بشابة في العشرين من عمرها ، فاتصل بينه وبينها الحديث ، لانه انس فيها ذكاء . وكانت تشبه الى حد كبير الأنسة « عطر السماء » . . وعلم منها أنها كانت طالبة ، وأن والدها كان جنديا في جيش الجنرال المسيحي فونج يوسيان . وكانت أديانة المسيحية التي اعتنقها والدها نذير شؤم عليه ، لانه خنق بعد عامين بأيدي جنود شانج كاي شيك . وأرهف الياور أذنيه جيدا لهذه التفاصيل ، اذ أدرك منها على الفور ان هذه الطالبة لا يمكن ان تقبل العمل سرا لنصرة الرجل الذي قتل جنوده والدها . . وتخلي مكرها عن هذه المرشحة !

وبعد اسبوع من البحث العقيم ، بدأ السيد تشو لى لانج يشعر ببوارد اليأس ، وكان العثور على شبيهة للأنسة « عطر السماء » من قبيل البحث عن كائن خرافي . . الى ان قادته المصادفة - في مساء يوم السبت - الى دار « اللوس الاسود » . وكان بالمكان خلق كثيرون ، فوقف تشو لى لانج يثرثر مع كاتب الحسابات الصيني الذي انتحى به ركنا . وإذا به يلمح فرانسيس - في اقصى القاعة - يحثى الويسكى مع نينا . وحملق الياور مشدوها . . حقا أنها ضربة من ضربات التوفيق

لم يكن يحلم بها ، فقد كانت صاحبة الطيار تشبه الأنسة «عطر السماء» شبهها مذهلا ، حتى أن شولى لانج تسهر في مكانه مشدوها ، أذ كان قد نقب في كل ركن وتحت كل جحر في الاقليم ، مع أن ضالته المنشودة كانت صاحبة السيد ارنولد ! واقترب من المائدة ، وحيا فرانسيس ، الذى قدمه بكل ترحيب الى الأنسة نينا . ثم استاذن في الانصراف . وركب « ركشه » الى « فيلا » فان لونج وطلب مقابلته على الفور . وأفضى اليه باكتشافه الثمين في بار « اللوتس الاسود » فقال هذا : « لقد كنت أعرف بالطبع أن للسيد ارنولد علاقة بشابة من منشوريا ، ولكنى لم أكن قد رأيتها من قبل . ولم يخطر ببالي أنها من طراز المرأة التى نبحت عنها ! »

— يا سيدى . اننى أسمح لنفسي بأن اقترح على سيادتكم التحدث اليها لتحكموا شخصا ..

— قيل لى أن الأنسة نينا موظفة بمحلات الاخلاص . في قسم ملابس السيدات .

— نعم يا سيدى . فيماذا تأمرون ؟

— أستخدم اسم احسن عمليات ذلك المحل . واتصل يوم الاثنين بمديرته ، وقل لها أن السيدة ترجوها أن ترسل الأنسة نينا وونج في الساعة الخامسة بعد الظهر ، لتتباحث معها في اختيار الثياب التى تنوى شراءها .. تم ترقب وصول الأنسة نينا الى مكاتبنا ، واذكر لها أن العميلة المشار اليها تنتظرها في شارع (سيمور) ، ثم اتنى بها لاتولى أنا باقى المسألة !

— حسنا يا سيدى .. تستطيع أن تعتمد على في ذلك ! وفى الساعة الخامسة والنصف ، كانت « نينا » تنتظر في صالون « الفيلا » وصول العميلة المثيرة التى استدعتها . وكم كانت دهشتها عندما رأت فان لونج داخلا . فحياتها ، وقدم اليها مقعدا . فقالت له : « سيدى ، ان مديرتنا رسلتنى

للقابلة السيدة سن . فافتتر فم فان لونج عن ابتسامه ساخرة وقال : « كان لا بد من استخدام الحيلة . كي نحصل من مديرتك على تصريح لك بالخروج . واني أقدم لك نفسي : أنا فان لونج ، مدير الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير » ولم تستطع نينا اخفاء دهولها . فان لونج ؟ ! . الرجل الذى يستخدم فرانسيس لقيادة طائرته ؟ ما معنى هذا التصرف ؟ وما الذى يثير اهتمام مدير هذه الشركة - التى لا علاقة لها بتجارة الثياب والازياء - حتى يستدعى لمقابلته نينا البائعة المتواضعة فى محلات الاخلاص ؟

وطلب فان لونج الشاى كى يدخل شيئا من الطمانينة على زائرته . وبدأ يحدثها بعد ذلك بلطف وكياسة : « انك - ما لم تخنى الذاكرة - صديقة للسيد فرانسيس ارنولد ؟ » فقالت : « اجل يا سيدى »

- انه طيار بارع ، أقدر له خدماته تقديرا عظيما .
- اعتقد يا سيدى انه سعيد جدا بالعمل فى مؤسستكم .
- اذن يا آنسة فسأتيح لنفسى - ما دمتا لم نعد غريبين تماما - بنوجيه بضعة أسئلة تمهيدية ، ارجو ان تصفحى عما فيها من فضول . وسوف تتركين فيما بعد الباعث عليها . . من انت بالضبط ؟

فحدثته نينا عن اجدادها وعن اسرتها . وكان فان لونج يصفى لما تقوله ، لا سيما حين توسم فى ماغيبها بؤادر الخير لموضوعه . . ولما أشبعت فضوله ، نفذ الى الموضوع مباشرة : « والآن يا آنسة وونج ، وقد عرفت الى أى العسكريين المتقاتلين يميل قلبك ، اسمحى لى بأن أسالك سؤالا : ترى لو أتيت لك الفرصة لايداء من يحق لك أن تعتبرهم أعداء ، فهل تقدمين على انتهازها ؟ »

- بلا تردد يا سيدى !
- ولو كانت فى ذلك مجازفة ؟

- ما كان هذا ليفزعنى !
- سزايد اقتراحى تحديدا : هل انت مستعدة للتخلى عن وظيفتك المتواضعة ، التى تشغلينها فى الوقت الحاضر ، كى تنتظمى فى شبكة جاسوسينتنا ، لصالح قوات فورموزا الوطنية ؟ .. مما لا شك فيه أن مرتبك سيتضاعف خمس مرات . سندفع لك اربعمائة دولار شهريا ، اذا اتضح لنا اقتدارك على القيام بالدور الذى سنكله اليك !
- سأجتهدى يا سيدى فى ان اكون جديرة بذلك .
- حسنا يا آنسة وونج .. وما قولك فى عمل سيتيح لك الحصول بصورة طبيعية جدا — بل وبصورة حتمية — على اسرار هامة جدا من افواه ضباط جيوش الاعداء ؟
- وكيف ؟
- بأن تتقدمى ، بفضل الصدفة المواتية ، شخصية الصديقة السابقة لواحد من جنرالات الجيش الصينى ، قتل منذ ثلاث سنوات .
- زدنى ايضا من فضلك !
- فقدم فان لونج الى نينا صورة الآنسة « عطر السماء » وسالها : « ما رأيك فى هذه المرأة ؟ » . واجابت وهى فى



دهشة : « انها تشبهنى بصورة مذهلة » . فقال : « انها الانسة عطر السماء ، التى حدثتك عنها .. وقد اختفت هذه المنشورية الشابة منذ وفاة مولاها ، وفى نيتنا أن نحيتها فى شخصك الموقر ! » . فتساءلت : « أين ؟ »

— فى كانتون . فوق متن « سفينة الملذات » ، حيث ستقومين بمهمة « المضيغة » . وستكون تحت امرك امرأتان سنتولى نحن اختيارهما للقيام بالترفيه عن هؤلاء السادة الضباط . أما مهمتك فتقتصر على استقبالهم وتقديم الشاى والخمر أليهم ، ومناذمتهم منادمة ربة الدار الباشة الهاشة .. سيسكرون ، وستغريهم بالخمر ، وتنسقطن الاسرار التى تنتشر من أفواههم فى تلك اللحظات . ثم تبشين البنات بتلك الاسرار ، فى تقارير منتظمة ، كى تنهم بها ما لديننا من المعلومات . ولكننا سنتولى — قبل قيامك بتلك المهمة — تدريبك فى فورموزا تدريبا خاصا ، على يد ادارتنا السرية . هل فهمت ؟

— سيدى ! سوف يسعدنى ان أستطيع مد يد العون لكم فى المعركة التى أناصركم فيها بقلبي !

— عظيم .. ولكن الوقت ضيق ، ولهذا أرجوك ان تستعدى للسفر فى صباح الفد الى فورموزا .. فى الساعة التاسعة تماما . — بالباخرة ؟

— بالطائرة . وسيتولى السيد أرنولد نقلك الى (تاييه) .

— أهو على علم بالمشروع ؟

— ليس بعد . وسأبلغه تعليماتى فى هذا المساء .

وبلغ تأثر نينا عندئذ غايته ، فعصرت منديلها الصغير بين يديها الجميلتين ، وسألته : « واذا رفض السيد أرنولد ؟ » . فتصنع فان لونج الدهشة وقال : « يرفض ؟ ولماذا ؟ .. ان السيد أرنولد مجرد صديق من اصداقائك ، فليس له أن يقرر مصيرك بدلا عنك ؟ » . فكان ردها : « ارانى مضطرة

الى أن اصباحك بأن السيد ارنولد أكثر من صديق بالنسبة لى . فتساءل : « لعله عشيقك ؟ » . . ففضت نينا بصرها ، وهزت رأسها إيجابا . واذ ذاك وضع فان لونج صورة الأنسة « عطر السماء » فى درج مكتبه . . وساد الصمت لحظات ، ثم قال لها :

— وإذا توصل اليك السيد ارنولد أن ترفض مشروعى ؟
فماذا يكون قرارك ؟

فرفعت نينا رأسها ، وثبتت نظرها فى نظرس فان لونج ، وقالت ببساطة : « ساقبل مشروعك على أية حال ! »

— وفى هذه الحالة ، اذا رفض السيد ارنولد حملك الى فورموزا ، فستحملك الى هناك احدى طائرات شركة ماتسوبا . .

♦ **وظل قلب نينا يخفق من شدة الانفعال ، حتى بعد أن غادرت « الفيلا » ، لان مشروع فان لونج غير المنتظر بافتها وأذهلها . .** كان مشروعا من شأنه أن يثير الخوف أو يلهب الحماسة ، وقد أمدها دمها المنشورى بالشجاعة والاقدام ، وحفزها دمها الروسى على قبول الدعوة للنزال سرا ضيد الصفر المتحالفين مع أولئك الذين ساموا والذى أمها سوء العذاب !

وكانت الساعة السابعة مساء . ولا بد لها من موافاة فرانسيس فى فندق « الملك ادوارد » . . وكانت متلهفة على التحدث اليه ، فدخلت حجرتة التى لزمها منذ ثلاثة أيام — لفراغه من كل عمل — منصرفا الى القراءة لقطع الوقت . ووجدته ممددا فوق فراشه ، يطالع روايات « ادجار ولاس » البوليسية العتيقة ، فافسح لها مكانا الى جواره ، وتطلع اليها بفضول قائلا : « لست عرافا ولا منجما حاذقا ، ولكنى أحس أنك لست فى حالتك الطبيعية . فهل كدرك شيء فى المتجر ؟

هل فصلوك ؟ » . فأجابته : « اوه ! كلا ! »
 - « وان فعلوا فلا داعي للكدر يا ملاكي الصغير ! انى الآن
 من الشراء بحيث تستطيع كفالتك كفالة تامة ! »

فابتسمت نينا ابتسامة مصطنعة ، لان حالتها لم تكن تسمح
 اياها بالمزاح . وتناولت رأس فرانسيس بين يديها ، وقربتها
 من صدرها ، وراحت تداعب وجنتيه ، وهى تفهم : « انك
 لم تبعد عن الصواب كثيرا .. فمع أنهم لم يطردوني من متجر
 الاخلاص ، الا اننى تركتهم ! » .. فهتف فرانسيس : « هذا
 مستحيل ! .. اترينك تركتهم لتعملى عند احدى الحائكات
 المشهورات ؟ » . ولكنها اجابت : « اطلاقا ! .. بل سأعمل
 لدى السيد فان لونج ! »

وقفز فرانسيس مذهولا .. فقد كان يتوقع كل شيء الا
 هذا ! .. وهتف مشدوها : « ماذا تقولين ! » . فأجابته :
 « اجل يا عزيزى .. سيكون مخدومنا واحدا نحن الاثنين ! » .
 فارتسمت معالم القلق على وجه فرانسيس ، وغمغم : « لا
 يسرنى أن تكونى فى خدمة فان لونج .. فلبس العمل عنده
 مربحا » . ولكنها قالت : « اسمع ! .. دعنى اشرح لك كل
 شيء ، وعندئذ ستفهم الموضوع ! »

واطلعته نينا على التفاصيل ، فما ان وضعت له مهمتها
 الحقيقية ، حتى قطب حاجبيه . واخيرا لم يتمالك نفسه ان
 يعسبح : « انه لمجنون ! انه يطلب شعلطا ! الا تدركين ما الذى
 ستفعلين ؟ .. أكونين مضيقة فى احدى سفن الزهور فى
 كانتون ؟ .. لساذا لا يكرهك - اذن - على تصيد الرجال فى
 شارع فيكتوريا ؟ ان هذا لفظيع ! »

- ولكن هذا للعمل يا عزيزى فرانسيس جزء من الحرب
 الباردة بين دولتى الصين !

وسألها : « وبمساذا اجبت فان لونج ؟ » . فأجابته :
 « بالقبول ! » . وهنا صاح : « انك لاشد منه جنونا ! » .

واذ ذاك هتفت في رجاء : « فرانسيس ، لا تغضب ! » .
وحاول أن يملك عواطفه ، وان يتحایل على اقناعها . فقال بركة :
« يا عزيزتى نينا ! أتوسل اليك ! .. تصورى الموقف ، فأنت
تعلمين ماذا يحدث في هذه المآخير التى تسمى سفن الازهار .
ولا اظنك تحسبين روادها يكتبون بقضاء الليل في لعب الورق !
ولست بحاجة أن أضع لك النقط فوق الحروف ! »

— أنك تنسى شيئا هاهنا يا عزيزى : ان الانميغة — فى تلك
السفن — ليست من طبقة الفتيات القائرات بالترفيه نظير
أجر معلوم . بل هى موضع الاحترام !

وغمغم : « آواه ! » . فاستطردت : « أجل ! أجل ! هذا
هو القانون غير المكتوب فى تلك السفن . انها تقاليد صينية
عريقة محترمة . وفى تلك الوظيفة ، سأقوم بمهتتى فى استقاء
الاخبار وانا آمنة ، وأخدم من يقاتلون ضد أعدائى . لقد
كنت أحلم منذ زمن طويل بأن أقوم بعمل نافع فى هذه الحرب
الباردة التى تعرف — كما اعرف — مبلغ خطورتها . فان كنت
تحببى حقاً .. » . وهنا قاطعها قائلاً : « أنت تعلمين جيداً
كم أحبك ! »

— أذن فلن تمنعنى عن الانضمام الى الجيش السبرى
الذى يقوده فان لونج .. فأنت ضدن هذا الجيش فعلاً ، مع
أن مستقبل الصين لا يؤرقك كما يؤرقنى !

فقال : « ولكنى رجل .. » . بيد انها قطعت عليه
الحديث قائلة : « على النساء أيضاً أن يحملن نصيبهن من
العبء فى هذا العصر ! » . فصاح : « يا لك من عنيدة ! ..
اننى ما قبلت هذا العمل لدى فان لونج ، الا لان الفاقة كانت
لنى بالمرصاد . وحينما تعوز الانسان اللقمة ، فانه يقبل اى
عمل : كناساً ، او بائع صحف ، او جاسوساً ! .. اما انت ،
فلا ضرورة تدفعك الى ذلك .. لانى هنا ! »

— ولكن ما دما انسانين متكاملين منسجمين ، فيجب ان

**يربطنا هدف واحد وخطر واحد : انت لتضمن حياتك المادية،
وأنا لانتقم لموتاي !**

« وشرع يقول : « اسمعى يا نينا ! » فقاطعتنه قائلة : « لا فائدة من محاولة اقناعى بالبقاء فى هونج كونج لبيع الثياب والمشدات ! .. لقد عزمت عزما أكيدا ، وقيلت العمىل ، وطلب منى فان لونج أن ارحل غدا - فى التاسعة صباحا - الى فورموزا ، ليدربونى على مهمتى ! » .. فأشار فرانسيس إشارة عجز وتسليم وسكت طويلا ، ثم قال : « هل سترحلين غدا حقا الى فورموزا ؟ » . فأجابته : « نعم .. وانت السدى ستحملنى الى هناك فى الطائرة » . وهنا تساءل فى دهشة : « كيف ؟ »

— هذه اوامر فان لونج .

— تخطفت جثته الزبانية ! هذا القدر ! أتى ارفض هذا ..

— اذن ساكون مضطرة لركوب طائرة تجارية يا فرانسيس ، يا حبيبى ! انك لست لطيفا ! .. لئن كتب علينا ان نفترق فترة من الزمن ، فلننتهز لحظات اجتماعنا الاخيرة لنقضى حق الهوى ! .. قل لى انك لن ترفض نقلى الى هونج كونج .. سنسافر معا ، وسنبقى معا الى آخر لحظة . وانى اشعر ان ذلك سيكون فالأ حسنا لى !

وارتمت « نينا » على صدر عشيقها ، فضمها اليه وهو يعجب فى سريره بشجاعتهما . وشعر بأنه يحبها أكثر من ذي قبل ، فلعمن القدر الذى انتزع منه فجأة ، تلك الصاحبة الرائعة المدلهة ، التى لم يعرف نظيرة لها فى الفتنة والاغراء والاثارة !





الفصل السابع

تشجعى يا زهرتى الصغيرة !

• كان الكولونيل « فينج » هو مدير مدرسة الجاسوسية في تاييه . . . وهى مدرسة ملحقة بوزارة الحرب في فورموزا ، حيث يتم اعداد وتدريب المبعوثين السريين الى الصين الشعبية كي يمدوا القوات الوطنية بالمعلومات العسكرية . وبعد تمام التدريب يرسلون بالطائرات ليهبطوا بالمظلات الى داخل انتين - في مقاطعات هنان وشكيانج وغيرهما - او بطريق الزوارق التى تتسلل عبر مضيق فورموزا ليلا . . . وقد استقبل الكولونيل فينج المتطوعة الشناب « نينا وونج » بكل رعاية واحترام ، على اثر قبولها القيام بذلك الدور الهام في كانتون . وكان فرانسيس قد نقلها على متن طائرة الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير . . . وشهدت ارض المطار وداع العاشقين الحار بالقرب من تاييه ، ثم قام ضابط شاب بمرافقة « نينا » الى مكتب الكولونيل

وكان لا بد من أن يمتد هذا التدريب أسبوعاً ، تولى خلاله الكولونيل نينج - شخصياً - تلقينها كل مايجدر بها معرفته . فاطلمها - أولاً - على صورة للجنرال كيانج تاو ، فاذا هو رجل في نحو الخمسين من عمره ، على شيء من البدانة ، حليق الذقن ، أشدق ، منحرف العينين صغيرهما ، رله يدان ضخمتان وشعر قصير ينحدر على جبينه . . وتم - في اليوم الاول - تزويد نينا بجميع التفاصيل الخاصة بماضيه العسكري ، فعرفت أنه ولد في بكين ، وتلقى العلوم العسكرية في مدرسة (وامبواه) الحرية ، ثم عين ضابطاً في أركان حرب الجنرال لينسج - في سنة ١٩٣٢ - وقاد جيش كوانج سي ، وتزوج امرأة من اقليم (هويه) . . ورفى الى مرتبة " كولونيل " ، ثم انتق على جيشه وقائده ، وانضوى تحت لواء الجنرال شوته ، الذي كان - اذ ذاك - معاوناً لماوتسي تونج في تكوين جيش ثوري شيوعي كفيل بانتزاع الصين من قبضة تشانج كاي تشيك . وكان يؤمن بأن الماريشال وطلاته - من الانتهازيين الرأسماليين - هم سبب بلاء البلاد . ولذا اخلص - قلباً وقالبا - لتحرير الصين من سسلطانه !

وعرفت نينا كذلك ، دقائق أخرى نافعة عن حياة الفقيد الخاصة . . منها أن زوجته لم تنجب غلاماً ذكراً ، فاشترى ثلاث محظيات على التوالي ، طمعا في الحصول على وريث ذكر . يكرم رفاته بعد وفاته ، ويقدم القرابين الدينية التي تكفل له حياة رضية في العالم الآخر . . على أن سوء الحظ قضى بأن تظل المرأة « رقم ٢ » - وهي محظيته الاولى « عطر السماء » - عقيماً . اما السيدتان « رقم ٣ » و « رقم ٤ » . فلم تلدا له ابناً . وكانت هؤلاء السيدات يعشن معا في بيت الجنرال في أطراف (مدينة التتر) ببكين ، بالقرب من باب (اتامن) . وكانت « عطر السماء » شديدة الغيرة من ضرارها ، متكبيرة

قاسية مع النساء اللواتي يعيشن معها تحت سقف واحد ، كما كانت شديدة التطير ، وتستطلع مجرة انتبانه (١) عن طاعها ، وتستخير النجوم وتتوسل اليها عسى ان ترزقها بغلام للجنرال ! أما السيدة « رقم ٣ » ، فكانت تدعى « الياقوتة الوحيدة » . وكانت على نقىض « عطر السماء » . . ودبة . كسولا ، تقضى حياتها فوق مقعد طويل ، وتجنب كل تعب ، وتفزع من كل مجهود . . حتى في الليالي التي كانت تقضيها مع مؤلاها الجنرال ! . . فكانت تحتاج الى ثمان واربعين ساعة من النوم . لتستجم بعد تلك الماركة الفرامية الليلية : . . بينما كانت السيدة « رقم ٤ » - واسمها « نينوفار الصيف » - اشد نشاطا من « الياقوتة » . وكانت تحاول باستمرار احضار المكنة الاولى في قلب الجنرال . ولكن « عطر السماء » كانت تصدها وتكيل لها الصفعات ، كما لو كانت تلميذة متمردة ! . . والواقع ان مباريات شد الشعر لم تكن شيئا نادرا بين هاتين السيدتين المتنافستين !

وبعد ان تم تلقين « نينا » هذه المعلومات . انتقل الكولونيل فينج الى التدريبات العملية . فاعد مسرحا مشابها لسفينة الملائك ، كي تستقبل نينا فيه ضابطا ذا رتبة عالية . وقام الكولونيل فينج بذلك الدور لتمرين تلميذته . فاجلسها الى مائدة الشاي ، وجلس امامها ، وشرع يتكلم : « لقد علمت يا سيدة عطر السماء أنك حظيت بالشرف العظيم . بالحياة مع المرحوم الجنرال كيانج تاو » . فاجابته : « لقد كان لى بالفعل هذا الشرف العظيم ، وهذا الحظ العظيم ، يا سيدى الكولونيل . فهل كنت تعرف سعادته ؟ »

— نعم . . عندما كان قائدا للفرقة الحادية والعشرين

(١) مجرة انتبانه مجموعة من الكواكب الكبرى التي تتبعها كواكب صغرى كالنظام الشمسى ، وفي « كتابى » ٧٩ بحث عن الجرات .

المدرسة . متى مات سعادته ؟

- في اليوم الثالث من الشهر القمري الرابع في عام ١٩٥١ .

- اتعرفين أين بالضبط ؟

- نعم في نينج وا ، بكوريا . على اثر غارة مدمرة قام بها المجرمون المتحالفون ، ولم يقسن العثور على جثته ، اذ مزقتها للقنابل .

وسالها : « وهل كنت تسكنين يبينج عندما كان الجنرال في الجبهة ؟ » . فاجابت : « نعم يا كولونيل » . فعاديسالها : « أين ؟ » . فاجابت : « كان بيتنا في ضاحية اشـجـاجـالـلوز المزهرة ، على مسيرة ربع ساعة - على الاقدام - من حي السفارات القديم » .

- يا للجنرال العزيز ! .. لقد كان محبا للحياة والطعام ، ونشيرا ما تعشيناه معا في هانكاو .. كان يحب - بوجه خاص - طبقا معيننا اعتاد ان يطلبه دائما . وكان هسلدا انطبق .. كان ...

- الخنزير الرضيع المحشو بالتوابل ، والكوارع الحمراء في زيت النخيل !
- بالضبط ! .. اننى لم اتعرف بزوجته الشرعية ، فهل تذكرينها ؟

- اتذكرها جيدا .. كانت امرأة سكوتا ، شرسة . تضرب خادماها وتحرمهن من الطعام . وكنا نتجنب الالتقاء بها بقدر الامكان ، فقد كانت تعتبر نفسها ذات نسب رفيع ، لان جددها كان من كبار الاشراف في عصر الامبراطورة تشوهى . وكانت تروى لكل من يعيرها سمعه ، ان موكب المرحوم جددها - كلما خرج من البيت - كان يتألف من حملة الصنـجـ، وحملة الرايات والبيارق التى تحمل القابه المختلفة ، ومن فرسان ، ومن حملة المظلات والمراوح والمباخر الخ .. لقد كانت حقا متغترسة لا تطاق !

ـ وأين هي في الوقت الحاضر ؟
 ـ انها أصبحت راهبة في دير جبل الاحزان .
 وقطع الكولونيل فينج ذلك الحوار ، كى يهنئ نينا قائلا :
 « عظيم . انك لم ترتكبي اى سهو او نسيان . ولا شك في
 انك تقدرين أهمية جميع هذه التفاصيل ، اذا اتفق ان وجدت
 نفسك فجأة امام قريب أو صديق للمرحوم ! » . فقالت : « ولكن
 كيف اتسلم على الجديد ؟ . . اذ يبدو أن سفن الزهور خاضعة
 لرقابة سرية من بوليس كانتون » . فقال الكولونيل : « **بالضبط**
 . . ولكن عملية التتكر ستساعدك على مهمتك . ولا تشغلي
 بالك بتسلم العمل على ظهر السفينة ، لأن السيدة ينج نينج
 هي التى ستتدبر ذلك . وهي سيدة تتمتع بثقتنا ، وقد
 وضعت خطة فازت برضانا ! »

وفي الايام التالية ، عهد الكولونيل نينا الى ضابط من المكتب
 الثالث للعمليات الحربية ، احاطها علما بأنظمة جيش كوانج
 تونج . . وهي معلومات فنية لا غنى لها عنها لكي تفهم أبة
 اشارة عرضية ترد في حديث الضباط ، فيما بينهم ، عن تلك
 القوات ! . . وما ان حان اليوم الثامن ، حتى كانت متاهبة
 للعمل ، فحملتها طائرة الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير .
 وكان سرور فرانسيس عظيما بنقلها الى هونج كونج . وكانت
 أول زيارة قامت بها « نينا » لغان لونج ، الذى قال لها : « لقد
 هنأى الكولونيل فينج على اختيارى اياك . وهم يعدونك
 معاونة عظيمة القيمة ، وينتظرون من وطنيتك الكثير . فانتهزى
 عطلة الاسبوع للراحة في هونج كونج ، وسوف نخبرك باليوم
 والساعة اللذين سيرافقك فيهما السيد شياو عبر الحدود » .

• وكان سرور فرانسيس ونينا عظيمسا بتلك المهلة التى
 نسبت المفاخرة الكبرى ، لأمضيا الوقت يلعبان الورق ، لو

يتنزهان . وفي الساعة السادسة من يوم الاثنين ، حضر ياور « فان لونج » فقطع عليهما خلوتهما ، وأبلغ نينا بأن عليها أن تكون متاهبة للرحيل مع السيد شياو في مدى ساعة من الزمن . . . وكان مكان اللقاء أمام القطار الذي يربط هونج كونج بكانتون ، ونصح الياور فرانسيس بالا يصحب نينا الى المحطة واستغرق عناق الحبيين الاخير ساعة من الزمن . وكان عناقا حارا يخيم عليه الاسى واللوعة . وماذا يستطيع فرانسيس أن يقول ، ما دامت نينا قد أقدمت بشجاعة على الانخراط في الجيش السرى ؟ . . . وكانت أول مرة في حياته ، يكلفه الفراق فيها ذرف الدموع . ولما خرجت نينا من الحجرة شعر بوطاة الوحدة على نفسه . . . ترى هل سيراها بعد ذلك ؟ وجاء الرسول في مواعده تماما ، فعمدت نينا - بناء على امر فان لونج - الى اخفاء وجهها بخمار أزرق لفته حول فكها ، وكأنها تشكو من اسنانها . . . على أن تكشف عن ملامحها متى نجحت في اجتياز الحدود . . . وهكذا ركب السيد شياو ونينا القطار الانجليزى . وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، نزلا في محطة الحدود في (شون شون) ، ثم اختفيا بسرعة بين الجمهور . ولم تكن نينا تحمل متاعا ، لأنها أرسلت ثيابها بالقطار الى عنوان مدام ينج نينج .

وكان شياو يعرف دقائق الاقليم ، ومسالك داوريات الجنود الصينيين ، ومواقع تقط الحراسة الثانية على الحدود ، وعلى طول السكة الحديدية . فلما سجد الليل ، اخترق مع نينا الحقول - سيرا على الاقدام - خلال مزارع الارز وخمسائل البوص والخيزران التى تنبت على سفوح التلال . وجعل يدور بها كمن يتخبط في الطريق ، في جوف الظلام الحالك ، اذ ان الليلة لم تكن مقمرة . . . على أن شياو كان يتمتع بحاسة مرهفة لمعرفة الاتجاهات في الظلام ، وكأنه الحمام الزاجل . وبعد مسيرة ساعتين ، شعرت نينا بالتعب ، وطلبت اليه

ان تستريح ، ولكنه أبى . وقال : « بعد قليل .. بعد عشر دقائق على الاكثر ، سنكون فى امان ! » .. وفعلنا ، لم يلبث شيئا ، وقف امام بيت صغير - من بيوت الفلاحين - لم يكن ينبعث منه ضوء ، فطرق الباب بطريقة خاصة .. وسرعان ما برز شبخ يحمل مصباحا .. ولم يقل الفسلاح شيئا ، ولم يسأل عن شيء ، بل ارشد نينا الى حصار فوق مدفاة افقية ، ودعاها بالإشارة الى الجلوس . قالت « نينا » بنفسها فوق الحصار ، ونامت على الفور !

وعند الفجر ، أيقظها شيئا ، وقال لها : « فى وسعنا الآن ان نرحل .. وسنتجه صوب نهر اللؤلؤ ، حيث ينتظرنا زورق من زوارق الصيادين . وما لم يكن التيار عنيفا جدا ، فسنصل الى شامين هذا المساء ! » .. وكان الغسق يستولى على الكون ، حينما وقف الزورق امام رصيف الميناء . وقاد شيئا - لفيوره - نينا الى بيت السيدة نينج نينج ، التى استقبلتها بكل ترحاب ، وقدمت لها العشاء . ثم اختلت السيدتان فى ضوء شمعتين حمراوين . وأتاحت معرفة نينا بلغة اهل كانتون فرصة الحديث مع مضيفتها بطلاقة ، فعرفت منها آخر تطورات الموقف .. ثم قالت ربة البيت : « الآن وقد عبرت الحدود بغير مشقة - بفضل معونة السيد شيئا الثمينة - اشعر بالطمأنينة . اما من جانبى فقد نفذت تعليمات السيد فان لونج ، واتممت الصفقة بغير تأخير مع السيد تشانج فاى .. واصبحت « سفينة الملذات » ملكى فى الوقت الحاضر . وقد قدمت عقد التنازل عن السفينة الى بوليس كانتون لاقراءه ، والعلاقات بينى وبين بوليس كانتون على احسن ما يرام .. ولست بحاجة الى ان اقول لك ان مساعد حكمدار بوليس الامن السيد « هو وين يو » على صلة طيبة بى ، لاني اتمه - كلما سنحت الفرصة - بمعلومات لا قيمة لها عندنا ، اشترى بها رضاه ، حتى ان الرجل يعتبرنى من مصادر الاخبار

المامونة المضمونة .. ولهذا يمكننى ان اعتمد على حمايته .. واليك الآن الخطة التى اعدتها لك : لقد اتفقت مع فتاتين جميلتين ، هما الانسة « لؤلؤة التنين » - من تشوشاو - والانسة « صباح الخير » ، وهى فتاة مراهقة من كوانج سى ، دمثة ، تستطيعين ان تأمرىها بما تشائين ، اذ انها تحببى كما لو كنت امها ، وستطيع توجيهاتك طاعة عمياء .. هاتان الفتاتان ستكونان تحت امرك . اما انت فقد فكرت فى شئ يجعلنا اقرب خطوة من اى يوم مضى لدى السيد « هو وين يو » مساعد حكمدار بوليس الامن . فاسمعى جيداً ما ساقوله لك : « انك بعد وفاة مولاك قد انفقت جميع مدخراتك . ولما كانت زوجته القاسية قد طردتك كما طردت جهيمع المحظيات من بيت الجنرال ، فانك توجهت الى شانغهاى ، التماساً للرزق . ولكن الاقدار حاربتك - للأسف - فجئت الى كانتون عسى ان تكونى فيها اسعد حظاً . وقد احضرك صديق لى واوصانى بك ، فكان ماضيك مع الجنرال هو الذى اوحى لى باستخدامك على ظهر « سفينة الملذات » ! .. » ولقد فاتحت السيد « هو وين يو » فى ذلك فوافق مبديساً ، لان السيدة « رقم ٢ » سابقاً للجنرال كيانج تاو ، جديرة بان تكون مضيغة لسفينة ازهار يؤمها كبار الضباط . فالطريق مهمل لك كما ترين ، وقد حرصت على ان اذكر لمساعد الحكمدار ان تعيينك رهن بموافقته . ومن ثم فهو سيحضر الى هنا مساء غد - فى الساعة العاشرة - لاقدمك اليه » - واين اقيم الى ان اتسلم عملى ؟ - فى بيتى طبعاً ، فعندى حجرة مخصصة لك ، وجارىتى تحت تصرفك . وهى التى ستساعدك غداً على ارتداء ثيابك وتصفيف شعرك ، كى تشركى احسن الاثر لدى السمسار . هو وين يو .

ونفضت السيدة ينج نينج ، وتناولت يد ضيفتها فقادتھا

الى حجرة صغيرة تشبه مخزن التحف القديمة .. وتضمنت لها نوما هادئا .

★ ★ ★

♦ وفي الساعة العاشرة من مساء اليوم التالى ، كانت الرياح الجنوبية الغربية تهب على كانتون فتعبث بصفحة نهر اللواؤ وتثير سحباً من التراب فى شوارع المدينة .. وفجأة ، وقفت سيارة البوليس السوداء امام باب بيت السيدة ينج نينج ، ونزل السيد هو وين يو برشاقة ، ففتحت له الامة العجوز الباب ، وقد انعتن نصفين لفرط الرهبة والخشوع !

وكان مساعد حكمدار البوليس من ابناء كانتون ، قصير القامة ، لم يجاوز الشباب ، رشيقا ، يقظا - كانه ثعلب - وفوق عينيه نظارة . وكان شعره الاسود مرجلا بعناية فوق جبينه . وخلع الرجل قبعته الرمادية ، وسلم على ينج نينج فى ترفع الرجل العظيم الذى يحتقر - فى نفسه - مهنتها القدرة ولكنه يقدر خدماتها .. فكثيرا ما قدمت له الليلة الاولى مع فتاة صغيرة حسناء ، حصلت عليها لاستغلالها ، فى مواخيرها الفاخرة ! .. وبعد المجاملات المألوفة سالها : « هل وفقت يا مدام ينج نينج ؟ »

- اجل يا صاحب السعادة . لقد حصلنا على السيدة « عطر السماء » . اترغب فى ان نقدمها الى سعادتك ؟

- انما جئت لهذا الغرض يا مدام ينج نينج !

وصفقت يديها .. وكانت نينا فى انتظار هذه الإشارة ، فى الحجرة المجاورة . وشعرت - رغم شجاعتها - بخوف من هذه الخطوة الاولى التى ستضعها امام ممثل البوليس . فقد كان مستقبل مهمتها كله رهنا بهذه الخطوة . ودخلت ضامّة يديها امام صدرها ، وحيث السيد هو وين يو كما ينبغي . فاستقبلها الموظف الشاب بالانطف والمجاملة اللذين يليقان بالمحظية



الاولى لبطل من ابطال الجيش الشعبى سقطت في ميدان الشرف !
 وكانت نينا ترتدى ثوبا جميلا من الحرير الوردى المزركش
 بالفضة والمطرز بالحرير الاحمر ، وقد زينت شعرها بزهرة
 الكاميليا البيضاء فوق اذنها اليسرى . وحدثها غريزة المرأة
 - لاول وهلة - بانها لقيت في نفس الرجل حظوة عظيمة ،
 وما لبثت الامة (الجارية) ان احضرت الشاي واليوسفى ،
 وبدأ السيد هو وين يو بتهنئة السيدة ينج نينج على نجاحها
 في الحصول على السيدة « عطر السماء » . وقامت السيدة
 ينج نينج بدورها باطراء نينا التى قبلت القيام بمهام المضيقة
 في سفينة يؤمها الصفة المختارة . واطهرت نينا الخجل
 والسرور العظيم لهذا الشرف الذى اتى بها ، كى تقدم
 خدماتها في هذه الظروف . وبعد انتهاء هذه التحيات ، خاطبها
 السيد هو وين يو مباشرة بقوله : « سيدتى ، نحن حريصون
 على أن يجد زوارك كل راحة وسرور في سفينتك ، وسوف
 يهز نفوسهم أن يعلموا ماضيك الى جانب بطل من أبطال
 الصين الشعبية ، وسوف يحدث ذلك اثره في اطمئنانهم الى
 الاستجمام في جو من الطمأنينة والثقة ! »

- ثق يا صاحب السعادة من اننى سأبذل غاية جهدى
 للمحافظة على السمعة العالية التى اكتسبتها « سفينة الملذات » .

وأخذ السيد هو وين يو يسألها - بعد ذلك - عن الفقيد العظيم ، فراحت تجيبه بلا تلعثم ، مشيدة بالسعادة البالغة التي نعمت بها في صحبة سيدها ومولاها ، عندما كانت تعيش في كنفه في بيننج . وكان الرجل يصغى وهو يهز رأسه مؤمنا ، فشعرت نينا بمخاوفها تتبدد شيئا فشيئا . حتى اذا كانت الساعة الحادية عشرة ، نهض السيد هو وين يو ، فانسحبت نينا الى حجرتها ، وهمست السيدة ينج نينج الى ضيفها وهو خارج : « وبعد يا صاحب السعادة . مارايك ؟ » . فأجاب : « اننى راض جدا . لقد حالفك التوفيق ! » . وما أن أغلقت الامة العجوز الابواب بالزللاج ، حتى طرقت السيدة ينج نينج باب « نينا » - التى كانت تنتظرها بفارغ الصبر - وبادرتها قائلة : « لقد نجحنا يا زهرتى الصغيرة كل النجاح . وبعد ساعات قلائل ستكونين فوق متن السفينة ، فتشرعين في العمل العظيم ! »

* * *

• ما أن باع السيد تشانج فاى سفينته الى السيدة ينج نينج ، حتى طرد الفتاتين اللتين ظلتا تبيعان جسديهما وابتساماتهما هناك مدى ثلاث سنوات . . وكانت « سفينة المذات » قدرة ، سيئة الترتيب ، بسبب اهمال امرها منذ فترة من الزمن . فلولا جمال الفتاتين لما اقترب من السفينة أحد الرواد . . وظلت السيدة ينج نينج ترسل ثلة من الخدم ثلاثة أيام متوالية ، لتنسيقها . وتمكنت - بفضل المال الذى امد بها به فان لونج - من تزويد السفينة بصناديق الكونياك الفرنسى الذى يقدره الصينيون تمام التقدير . وأخيرا ، أقيمت حفلة الافتتاح ، فحضر الكاهن الشيخ « ما يو » لطرده الارواح الشريرة . وكانت لهذا الكاهن شهرة مستغفيزة - فى كانتون - لقدوته على طرد الاسبغ

المؤذبة التي تكمن في الاركان المظلمة ليلا ، وحول أسرة النوم : فتجلبب الكوارث ، والنحس . وقد صعد هذا الكاهن الى سطح السفينة ومعه اثنان من المساعدين مسلحان بالصنوج والدفوف . وظلت الضجة تصم الاذان مدى ساعتين ، لتخويف الاشباح وترويعها . ثم شهر « ما يو » سيفاً ضخماً ، راح يطوح به في الهواء عند مقدمة السفينة ودفتها . واحضر مساعدا الكاهن مقدارا من دماء الكلاب في جرة ، اعتقادا بان لون تلك الدماء يتغير اذا كانت هناك روح شريرة غير منظورة ، فاذا لم يتغير ، كان هذا دليلا على فرار جميع الارواح الشريرة من السفينة !

وفي ظهر اليوم التالي ، صعدت السيدة ينج نينج الى ظهر السفينة مع نينا ولؤلؤة التنين وصباح الخير ، وراقت بنفسها الترتيبات الاخيرة لاستقرار السيدات الثلاث . وكانت الشائعات قد سرت بسرعة بين سفن الزهور المجاورة بان « سفينة الملذات » قد تغيرت ملكيتها وتبدلت مستخدميها ، فتجمعت السيدات في السفن المجاورة ينظرن بغضول . وكانت السيدة ينج نينج ترد على تحيتهن ، وهي تبتسم ابتسامة من تقول لهن : « الآن سترين العجائب ! » . ثم قادت « نينا » الى حجرتها ، وكانت خير حجرات السفينة ، بها سرير من خشب اللق الاحمر ، ومصباح كحولى يمكن استخدامه لتسخين الماء . اما « لؤلؤة التنين » و « صباح الخير » فكان فراشاهما في حجرة واحدة - في مقدمة السفينة - وكان يفصل بين السريرين ستار ثقيل ، يسمح لهما بالاجتماع بالرجال دون ان تزعج احدهما الاخرى !

واصدرت السيدة ينج نينج تعليمات اخيرة الى نينا ، التي تقرر ان تكون السيدة المطلقة بعد الله فوق هذه السفينة . . ففي كل يوم سيمر زورق التموين - قرب الظहर - بالواد الغذائية والماء العذب للشرب . . وفي كل اسبوع ستهبط نينا

الى البر لتزور السيدة بنج نينج وتقدم اليها الحساب والمال المتحصل . . فاذا ما فرغت ، قدمت اليها كذلك التقارير التى سترسلها السيدة بنج نينج الى السيد فان لونج ، عن طريق السيد شياو . فاذا قدر لنا ان نحصل على معلومات عاجلة ، تتطلب سرعة في الإبلاغ ، كان عليها ان توقد ثلاثة مصابيح عند صارى السفينة . حتى اذا لحت السيدة بنج نينج النور من الطابق الثانى فى بيتها . اوفدت جاريتها فى زورق الى السفينة !

الفصل الثامن

ليلة عاصفة . . على نهر اللؤلؤ !



• لم تكن الآنسة « أولؤة التنين » صغيرة السن للغاية . فقد بلغت العشرين . وقد اشتهرت - منذ بلغت الرابعة عشرة - بجمال عينيها اللوزيتين . وكان والداها فلاحين فقيرين فى اقليم (شوشاو) ، ولهما ثلاثة أبناء . فلما ولدت أولؤة التنين ، كانت لقمتهما مشكلة لوالديها ، فلم يترددا فى بيعها ، مؤمنين بأن جسدها الجميل ووجهها الساحر كفيلا أن يشقا لها طريقا فى الحياة . . فما ان صارت فى السادسة عشرة ، حتى كانت محظية لتاجر حبوب ثرى . . ولكن مولاهما

مات - وهى فى السابعة عشرة - متخوما بالطعام ، فطردتها
أسرته من البيت . . ورحلت لؤلؤة التنين الى شانغهاى - مع
زميلة لها - حيث عملت فى مرقص صينى ، فى الحى الدولى . .
وما لبثت - وهى فى سن التاسعة عشرة - أن التقت بقيادة
تتعامل مع السيدة ينج نينج فى كانتون وتمدها بالفتيات ،
وتتبادل معها بضاعتها من اللحم البشرى المعطر ، كما يفعل
تجار المواشى سواء بسواء ، فتتساوومان فى الثمن ، بعد فحص
البضاعة الموردة ورفع المعطوب منها . وكانت السيدة ينج
نينج فى حاجة الى فتاة بارعة الجمال من (شوشاو) ، أوصى
بطلبها أحد الهواة الذين لم يكونوا يستطيعون الا بنات ذلك
الاقليم ، فارسلت قيادة شانغهاى الى السيدة ينج نينج - فى
كانتون - تخبرها بانها عثرت لها على ضالتها المنشودة . . وتم
الاتفاق على توريد السلعة فى مقابل مائتى دولار .
وارسلت « لؤلؤة التنين » الى كانتون : حيث عاشت عاما
مع ذلك الهاوى الثرى . ولكنه - لسوء طالعها - ما لبث ان
راح ضحية الارهاب الشيوعى . فقد كان من المستغلين ونجار
السوق السوداء ، وتم اعدامه - مع خمسين آخرين من كبار
الاغنياء - رميا بالرصاص ، امام خندق حفر حديثا لتلقى
جثثهم . . وازاء هذا التعطل المفاجئ ، اضطرت « لؤلؤة
التنين » للعمل لحسابها الخاص فى بعض المراقص ، الى ان
وقع عليها اختيار السيدة ينج نينج للعمل فى « سفينة
الملذات » ، لما عهدته فيها من خبرة بفنون الاثارة الجنسية
- التى تستعبد طلاب الشهوات من الرجال - ولان الفتاة لم
تكن تشعر بأى عطف على من قتلوا مولاهم وشردوها فى
الطرق ، فلا شك أن « نينا » ستجد فيها معاونة نافعة .
اما الانسة « صباح الخير » فكانت صغرى الحسان الثلاث ،
اذ لم تكن سنها تبلغ الخامسة عشرة . وكان والدها الغاضل
اسكافيا من مدينة كوان تونج ، عرضها فى الزاد لمن يدفع الثمن

الأكبر . وهي رحمة كبيرة بالقياس الى ما كان يحدث في الجيل الماضي من القاء الفتيات المولودات حديثا للكلاب . واشترتها السيدة ينج ينج لتستغل جمالها ونضرتها ، لا سيما أن صوت هذه الصغيرة كان أشبه بشدو العصافير . ثم انها - على صغر سنها - كانت خيرة بفنون الخلاعة ، مشهودا لها بالحدق في كل ما يتصل بالمجون وصلات الرجال والنساء .

وأوصت السيدة ينج ينج الفتاتين بالخضوع خضوعا تاما للسيد نينا ، التي سميت « عطر السماء » ، فلا تترددان في اطاعة أوامرهما ، وعليهما أن تحرصا على اغراء الرجال الذين تعينهم لهما بصفة خاصة ، فهما كجنديين خاضعين لقائدهما خضوعا أعمى . وقد قبلتا تعليمات السيدة ينج ينج بكل احترام واستعداد طيب . لانهما وجدتا في العمل على متن « سفينة الملذات » في عهدا الجديد شرفا كبيرا أمام الزميلات اللاتي كن يعملن في السفن الاخرى الحقيرة الفقيرة ..

★ ★ ★

• وممر يومان . ساد فيهما الهدوء ، واستسلمت الغواني الثلاث للكسل والراحة . فقد ظن الناس أن رحيل تشانج فاي عن المدينة ، معناه اغلاق السفينة ، ومن ثم لا بد من مرور بعض الوقت الى أن تعمل الدعاية الشفهية عملها ، ويعلم القاصي والداني أن « سفينة الملذات » بدأت عهدا جديدا في تيسير المتعة المترفة لطلابها .. فلما كان اليوم الثالث ، هبت عاصفة شديدة على كانتون ، واشتدت الريح ووميض البرق خلال السحب المنخفضة . ثم أخذ المطر ينهمر فوق نهر اللؤلؤ ، فاستولى الخوف على « لؤلؤة التنين » و « صباح الخير » ، وأخذت « عطر السماء » تسرى عنهما بالاحاديث والاساطير .. واستزاداتها من تلك الحكايات المسلية ، فلما همت بأن تروى لهما قصة أخرى ، اذا بلؤلؤة التنين تنهض عن مقصدها ،

وتشير الى زورق بخارى قادم من كانتون ، متجهاً مباشرة الى
 « سفينة اللذات » .

ونهضت « نينا » بدورها ، ونظرت بدهشة الى مصباح الزورق
 الكشف ، الذى يجتاح السفن الراسية فى عرض النهر . ثم
 توقفت آلات الزورق بجوار السفينة . واستطاعت نينا أن
 تتبين مساعد حكمدار بوليس الامن - السيد هو وين بو -
 الذى صعد برشاقة الى السفينة ، وساعد على الصعود مرافقه
 . . وهو ضابط فى ثيابه الرسمية . فقام الفتيان الثلاث بتحية
 الرجلين كما ينبغى . ثم اقترب هو وين بو من نينا ، وقال
 لها : « لتسمع لى السيدة » عطر السماء « بتقديم السيد
 الكولونيل « لى تسونج ين » الذى سمع بجمالك وبشهرة
 سفينتك . فظهر الرغبة فى تمضية بضع ساعات ممتعة فيها ! »
 وحيا الكولونيل نينا . وأظهر لها - بوجه خاص - احتراماً
 عظيماً . فشكرته ، كما شكرت السيد هو وين بو لتشريفهما
 سفينتها الحقيمة . وسألتهما أن يتفضلا بتناول كأس من
 الكونياك الفرنسى . فما أن سمع الكولونيل تلك الكلمة حتى
 صاح : « كونياك ؟ كونياك ؟! . هذا شيء عظيم يدفى المعدة ! »
 وأحضرت لؤلؤة التسنين الزجاجية والكؤوس ، وأحاطت
 للحسدان الثلاث بالرجلين . وبينما انصرف الكولونيل الى المزاح
 والمعبشة مع لؤلؤة التسنين وصباح الخير ، انصرف السيد هو
 وين بو الى الحديث بصوت خافت مع نينا . فقال : « لقد
 وصل الكولونيل حديثاً الى كانتون . . وصل اول أمس .
 وقد كان ضابطاً فى جيش مقاطعة شسهاار ، ثم نقل الى هنا
 رئيساً لاركان حرب الفرقة الجديدة القادمة اليها فى الطريق .
 وهو من عشاق المجون والليالى الملاح ، فاوصيك به ، اذ انه
 ترمل حديثاً . وبهنا ان يجد اقامته بيننا مسلية منعشة ! » .
 فردت نينا قائلة : « لك أن تعتمد علينا - يا صاحب السعادة -
 فى هذه المهمة . فسيجد السيد الكولونيل لدينا كل ترحيب

وخدمة ممتازة ، مع الرعاية الكاملة لرتبه الرفيعة «
 — يبدو لى ان لؤلؤة التنين تعجبه أكثر من صباح الخير !
 — لسوف يشرفها كل الشرف أن تبرهن له على أن اهتمامها
 به لا يقل عن اهتمامه بها .

وخطر لنينا أن تنتهز الفرصة كي تكسب مودة السيد هو
 وين يو ، فهمست في أذنه قائلة : « وبهذه المناسبة ، ما رايك
 يا صاحب السعادة في صباح الخير الحسنة ؟ » . فرماها
 مساعد الحكمدار بنظرة جانبية ، وظهر على وجهه السرور
 وقال : « لقد حدثنى السيدة ينج نينج عن هذه العصفورة
 الصغيرة ! » . ثم رفق صباح الخير بنظرة أخرى ، وتساءل :
 « كم عمرها ؟ » . فأجابته : « خمسة عشر عاما يا صاحب السعادة »

— خبيرة ؟ — جدا .

— لهوب ؟ — جدا .

— ساخنة ؟ — كأنها مدفاة .

— مشغولة القلب ؟ — كلا .

— اتنصحيننى بأن اقضى معها بعض الوقت الليلة ؟

— أنك ضيفنا يا صاحب السعادة ، والسفينة تحت امرك ،

وكذلك الأنسة صباح الخير !

وبينما كانت « نينا » ومساعد الحكمدار يتساران بهذا
 الحديث ، كانت « لؤلؤة التنين » قد استغفلت الفرصة
 لتستهوى الكولونيل ، وصحبته الى مخدعها لتناول أقدماح
 أخرى من الكونياك الذى كان يحبه كثيرا . . . وبقيت « صباح
 الخير » ساكنة منكشبة في مقعدها كالقطة . فلما نادتها نينا .
 نهضت في الحال ، واقتربت منها . فوضعت نينا يدها على
 خصرها وجذبتها اليها وهى تغمزها خلسة . وسألتها : « مارايك
 — أيتها الأخت الصغيرة — فى صاحب السعادة ، الذى تنازل
 بالحضور لقضاء بعض الوقت معنا ؟ » . ففضت صباح الخير
 بصرها . وقالت بصوتها الناعم الخافت ، الذى كانت تحاول



دائما أن تجعله كصوت الاطفال : « ان صاحب السعادة يولينا شرفا عظيما باضاعه وقته الثمين في صحبتنا ! » . فاعترض مسنايد الحكمدار : وقد سحره صوته . ونهض قائلا : « تعالى نتحدث معا ، على حدة ! »
— اوه ، يا صاحب السعادة !

— أجل، أجل ! .. ستظمتين الى، وسأشجعك . وسترين اننى لطيف جدا .. رقيق جدا .. فانا اعرف اية لباقة يجب أن أروض بها غزالا نافرا ساحرا مثلك !

وأخذت نينا ترقب الرجل وهو يقترب من « صباح الخير » في نهم ، فبدأت ترتاب في مدى رفته المزعومة مع هذه الصغيرة . ثم نهضت فصحبت الاثنين الى حجرتها ، وأغلقت الباب .. ومادت فجلست في مقعدها . وكان المطر قد انقطع ، وضوء القمر يشيع بريقا فضيا في السماء التي انقشعت عنها السحب . وسمعت نينا — من بعيد — ضحكات ماجنة ، تنبعث من السفن المجاورة . واشعلت سيجارة ، واسترخت في مقعدها الوثير ، راضية عن ليلتها التي لم تضع هباء .. فغدا — عندما تحضر الامة العجوز — ستعطيها تقريرها الاول ، الذي سيسر له السيد فان لونها ورؤساؤه . فان فرقة جديدة كانت في الطريق لتحل محل الفرقة الثالثة والعشرين . وهى

معلومات تهتم بها القيادة العليا في فورموزا .
 وفجأة ، سمعت نينا آنة طويلة صادرة من « صباح الخير » ،
 فادركت أن السيد هو وين يو قد أفرط في رفقه مع الغزالة
 الصغيرة الفاخرة ! .. وعندما انطلق الزورق البخارى بالزائرين
 - بعد ساعة - حضرت « صباح الخير » وألقت بنفسها بين
 ذراعى نينا باكية متاوهة ، فسألها نينا عما حدث لها . وقالت
 صباح الخير ، وهى تنتحب وتشهق : « ما أفلح هذا يا اختى
 الكبرى ! .. ان هذا القرد الملعون كان يغرس الدبائيس في
 جسمى . انه قاس جدا ، ولا اريد ان اجتمع به بعد الآن ! » .
 فأخذت نينا تسرى عنها قائلة : « لا تبكى يا عزيزتى الصغيرة ،
 وتذكرى تعليمات السيدة ينج نينج . أن السيد هو وين يو
 شخص عظيم النفوذ في المدينة ، وبستطيع أن ينكل بك وبنا .
 واعلمى انك - حين تنزهين في الغابة - تجددين أشجارا متباعدة
 الانواع . فهناك الصفصاف ذو الورق الناعم ، كما ان هناك
 الشربين ذا الغصون الشائكة . وهكذا الرجال اصناف واشكال ! »

♦ وكانت الحياة على « سفينة الملذات » حرة بأن تغدو
 متشابهة راكدة في نظر نينا ، لو لم يتضاعف عدد الزوار
 بسرعة . فبفضل وسائل السيدة ينج نينج ، انتشر في المدينة
 الخبر العظيم : فعلم الكافة ان المحظية السابقة لاحد أبطال
 الحرب الكورية ، هى التى تشرف على الملذات الليلية هناك .
 فتوافد الموظفون المدنيون وكبار الضباط - كل ليلة - على
 « سفينة الملذات » . وكانت نينا تصفى بانتباه لكل ما يتفوه
 به هؤلاء السادة ، بين أقذاح الكونياك والخمر الوطنية . حتى
 اذا خلت بنفسها في مخدمها ، دونت كل شيء كانت ترى ان
 له قيمة في نظر سلطات فورموزا . وصار « فان لونج » يتلقى
 أسبوعيا تقريرا مفصلا منها ، ممسا جعل « نينا »

من اعظم العبداء السريين واثمنهم في مقاطعة كوان تونج .
 وكان فان لونج يقول لفرانسيس كلما ساله عن اخبار نينا :
 « ان الانسة وونج تقوم بعمل رائع ، فلا تقلق عليها ، اذ انها
 تحت رعاية السيدة ينج نينج الساهرة . وهى تبدى مهارة
 مذهلة فى عملها ! » . وكان فرانسيس يشعر بشيء من
 الطمانينة ، وان صار مستاء حزينا لاستحالة اتصاله بنينا
 - مع انها لم تكن بعيدة عن هونج كونج - فكان ستارا حديدا
 كان يفصل بينهما . . وكانت نينا تذهب يوم الاثنين من كل
 اسبوع - فى زورق الامة المعجوز - الى (شامين) ، لتقوم
 بزيارة السيدة ينج نينج ، التى كانت تطلعها على ما يجرى فى
 العالم الخارجى ، وعلى الاحاديث الجارية على اللسان فى المدينة
 . . وقد تصحبها الى كانتون لشراء بعض اللوازم او للنزهة !
 والحق ان السيدة ينج نينج كانت تشعر بالاغتراب لنجاح
 مشروع « سفينة المذات » نجاحا مفيدا لها من جميع الجهات .
 لان السيد فان لونج كان يجزل لها العطاء جزاء المعلومات
 الثمينة . . كما ان ارباح « سفينة المذات » كانت وفيرة جدا .
 فكان المعجوز كانت تأكل على جميع الموائد ، وتجنى ثروة كبيرة
 تكتنزها .

وذات غروب ، ذهبت نينا الى السفينة - بعد ان تناولت
 الشاى مع القوادة المعجوز فى دارها - وقد اوشك الظلام ان
 يطبق . واذا بها تلتقى - فى طريقها - بزورق البوليس
 البخارى ، الذى استوقف زورقها . . وسئلت : « الى اين ؟ » .
 فاجابت : « الى سفينة المذات » . وشعرت بقلها ينقبض
 . . واستولى عليها خوف شديد ، عندما رأت زورقا بخاريا
 آخر مشدودا الى مؤخرة « سفينة المذات » ، وبه ثلاثة رجال
 بدا انهم كانوا ينتظرونها . وعرفت من بينهم السيد هو وين
 يو . فصعدت الى السفينة وهى تبذل مجهودا جبارا لاختفاء
 جزءها ، وقالت لوكيل الحكمدار : « أسألك الصفيح يا صاحب

السعادة ، لانى لم اكن موجودة لانشرف باسستقبالك كما ينبغي ! . فاجابها بلهجة جافة : « لقد جئنا للتفتيش سفن الزهور »
- للتفتيش ؟ .. لماذا ؟

- ان جاسوسا تمكن من الاختباء هنا . ورجالنا يقومون بتفتيش كل سفينة .

ولم تجسر نينا على ان تتساءل عن جنس الجاسوس ، بل راحت تردد : « جاسوس ؟ لحساب من ؟ »

- لحساب عصابات فورموزا ! .. سمنعثر عليه ختما !
وتنفست نينا الصعداء اذ قال : « سمنعثر عليه » . فمعنى ذلك ان الجاسوس رجل ! .. واطهرت استعدادها لمساعدة من يفتشون السفينة . فانحنى هو وين يو ، قائلا : « لقد فرغنا من التفتيش فعلا . لا لاننا نشك في الانسة لؤلؤة التنين او الانسة صباح الخير ، وانما خوفا من ان يكون هذا الكلب التمس قد تمكن - اثناء غيابك - من الاختفاء في قاع السفينة ! »
- ارجو ان تكونوا قد فتشتم جيدا .. الم تجدوا احدا ؟
- كلا . لا احده . ولكننا سنقبض عليه . فقد ارسلت عشرة رجال ليطارده ، كما ان اربعة زوارق بخارية مسلحة تكمن له فوق النهر .. فلن يستطيع الافلات ولو سباحة !

ومرت ساعة والسيد هو وين يو ورفاقه ينتظرون نتيجة التفتيش ، جالسين على ظهر « سفينة الملدات » . ونينا تدعو - في سرها - ان يفلت هذا الجاسوس المجهول من شباك البوليس .. وفجأة ، نهض الرجال وتطلعوا الى زورق قادم من الضفة اليمنى . ثم صعد من هذا الزورق شرطيان يدفعان بينهما صينيا شدت يداه خلف ظهره . فعضت نينا شفتيها ، حتى لا تصرخ ، اذ كان هذا المجهول هو .. السيد شيوا ، رسول فان لونج الذى ساعدها - ببراعة فائقة - في التسلل عبر الحدود ، عندما حضرت من هونج كونج .



الفصل التاسع

« سنجبره على الكلام ! »

♦ كان السيد « شيلاو » في خدمة « فان لونج » مند عامين ، صار خلاهما أشد عيونه ولاء . فكانت له فيه ثقة لا حد لها ، بعد أن وفق الى تهريب عدد لا يحصى من الرجال ، وحمل من الرسائل الهامة الخطيرة ما لا حصر له ، عبر الحدود . وكان شيلاو - عشية القبض عليه - يتجول في أنحاء كانتون كاي موطن وادع . اذ كان - حفظا للمظاهر - يحترف صناعة ، ويتخذ لممارستها مركزا في شارع الخراف البيضاء ، ويعتقد أن هذا كفيل بأن يصد عنه الشبهات . وكان قد عاد - في هذه المرة - الى هونج كونج ليفضي الى « نينا » برسالة شفوية حفظها عن ظهر قلب ، لانه لم يكن يأمن جانب الرسائل المكتوبة . . وفحوى الرسالة أن على نينا الحصول على معلومات مفصلة بصدد مسألة معينة كانت تهم سلطات فورموزا ، وهي : هل تلقى مركز التجنيد - في جنوب الصين - أمرا بدعوة جميع الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة عشرة والرابعة والعشرين الى حمل السلاح ، كما كانت الشائعات تقول ؟ . . وكانت نينا تستقبل - في كثير من الاحيان - ضابطا من مكتب

التجنيد ، بوسعها أن تستقى منه المعلومات المطلوبة ، وأن تجد ما يبرر هذا الاستفسار . . فان تجنيد الألوف من الشباب ، وارسالهم الى مواقع بعيدة ، معناه ضياع كثير من زبائن « سفينة الملذات » ! . . ومن ثم فان فضول « نينا » امر طبيعي !

وكان السيد شياو قد قرر التزام جانب الحذر المطلق ، ففضل أن يتحاشى زيارة السيدة ينج نينج حتى لا يقحمها في هذا الموضوع . فلماذا لا يتوجه هو شخصيا الى « سفينة الملذات » ، كأي رائد عادي يلتمس الترفيه واللهو ؟ . . ان هذا من حقه على كل حال ، كأي مواطن كانتونى محترم ! . . ولكن نكد حظه كان قد قضى عليه بلافضاع منذ غرة الشهر الثالث . فقد استطاع مفتشان من قوة بوليس الامن ان يتعقباه بالتناوب - على الرغم من حيله البارة - وان يجمعا حوله الشبهات . فأمر مدير ادارة مكافحة الجاسوسية أربعة مفتشين آخرين باقتفاء اثره . وتكونت بذلك شبكة كاملة من المراقبين والمطاردين ، توفرت لهم وسائل التعقب، والرقابة وعندما قرر السيد شياو أن يتوجه لزيارة نينا ، مستقلا زورقا اختاره من آلاف الزوارق الراسية على طول ضفة النهر - في حوالى الساعة السادسة من مساء الاثنين - لم يخطر بباله أن صيادين وادعين ساذجين يتسكمان على شاطئ النهر ، كانا في الواقع يترصدان حركاته ، كما كان ثمة صيادان آخران يحومان حول سفن الازهار ، وصيادان ثالثان يتشاجلان بقياس عمق مجرى النهر ، حول الصف الرئيسى لتلك السفن . ومن ثم مضى في زورقه الصغير نحو « سفينة الملذات » . . وفي منتصف الطريق ، لاحظ أن أحد الصيادين يهتم بحركاته أكثر مما كان مهتما بصيده . ووجد احدى سفن عبور النهر « معدية » تعرض طريقه ، وفيها نوتيان بدت عليهما امارات الجهل بمهنتهما ، فلم يحسنا ادارة الدفة . . واشتم رائحة

الخطر ، فجنح على الفور نحو سفن الازهار الاخرى . اذ كان من الواجب - ان صبح انه كان تحت المراقبة - أن يتجنب زيارة « سفينة الملذات » ، مهما يكن الثمن . ولهذا جاس بين السفن ، ثم ارتقى خلصة « سفينة التهذات » !

وكان السيد هو وين يو قد ارتقى - في تلك الاثناء - « سفينة الملذات » بصحبة نائب مدير مكافحة الجاسوسية ، للاشراف على عمليات المطاردة ، وهو موقن من أن الشخص المنشود كان مختبئاً في مكان ما من سفن اللهو . ولذا أمر بإجراء تفتيش دقيق ، تولاه المفتشون العشرة الذين كانوا تحت أمرته

★ ★ ★

♦ **وارتبطت نينا عند وصول المشتبه في امره ، فما ان راته يصعد الى السفينة ، حتى خيل اليها انها توشك ان تقع مغشياً عليها . وكان السيد هو وين يو في شغل بقنيصته عن الانتباه الى الشحوب الذي اعترى وجه نينا ، لحسن حظها . .** فقد راح يستجوب رجاله المسلحين الذين كانوا يحفون بالاسير . وقد غرسوا مدافعهم الرشاشة في ظهره :

- أين وجدتموه ؟ - في سفينة التهذات .

- بمفرده ؟ - بل مع فتاة ، يشربان الخمر !

فالتفت السيد « هو وين يو » نحو نائب مدير مكافحة الجاسوسية ، وكأنه يدع الامر له . فاستأنف ذلك الموظف - الكالج الوجه - الاستجواب ، وسال الاسير : « ماذا كنت تصنع في سفينة التهذات ؟ »

- ذهبت لالهو ساعة من الزمن .

- وهل تعرف مديرة السفينة ؟

- كلا ، ولكنهم اثنوا لي على سفينتها .

- احساب من تعمل ؟

— لحسابي .. في حاثوت بشارع الخراف البيضاء .
 — ليس هذا العمل الا ستارا للتمويه
 — أؤكد أن هذا غير صحيح . فانا اكتسب قوتي منه !
 — انك في خدمة لصوص فورموزا .. أعداء الصين !
 — أبدا ! .. فانا خادم مخلص للصين ولم أخن أحدا .
 — أنت كذاب ، فقد جمعنا الأدلة التي تدينك . وسنعرف
 كيف نرغمك على الاعتراف بجرائمك .

وكانت نينا واقفة في المؤخرة ، تصفي الى هذا الحوار .
 اما لؤاؤة التنين وصباح الخير ، فكانتا متواريتين وراء باب
 موارب ، تصفيان هما الاخريان . وقد ارتعدت فرائص ثلاثتهن ،
 اذ تصورن ألوان العذاب التي ستصب لا محالة على السيد
 شيوا .. وازداد خوف نينا عندما سمعت نائب مدير مكافحة
 الجاسوسية يستطرد قائلا : « انك تعرف — ولا شك — ما
 ندخره للجواسيس من طرازك ، ما لم تعترف . ان كوانتينج
 موبوءة بجواسيس ساداتك المناكيد .. والمجرمون الذين
 ساعدونا في القاء القبض على تلك العصابة الحقيرة ، قد حمدوا
 مغبة تلك المساعدة . اذ نجا كثيرون منهم من سيف الجلاد ،
 وخففت عقوبة السجن لبعضهم .. فالامر الآن اليك كي تختار
 مصيرك ! »

وقال شيوا : « لست جاسوسا » . فأطلق مساعد مدير
 مكافحة الجاسوسية زمجرة تدل على الحنق ، والتفت الى
 السيد هو وين يو ، وقال له : « خذ أسيرك ، فسوف يتاح له
 ان يعيد التفكير ، خلال ستة وسبعين ساعة يجب ان يقضيها
 بدون شرب . وسوف نستأنف تحقيق قضيتته في اليوم
 الرابع .. ولا بد أن ينتهي به الامر الى ادراك أن الاعتراف
 افضل له من العطش ! .. وهناك أيضا ما هو أسوأ وأدهى ! »
 وأمر السيد « هو وين يو » رجاله ، فانزلوا السيد شيوا

الى زورقهم . ثم التفت الى نينا ، وقال لها بابتسامة عذبة :
 « اننا مدينون لك بألف اعتذار . ولكننا لم نضيع يوماً هباء .
 اذ ان هذا الشخص جاسوس خطر ، كانت شكوكنا تحوم
 حوله منذ مدة . وقد بلغنا - أخيراً - من بعض مصادرنا أنه
 موجود في هونج كونج . ولما لم نعثر على طريقة عادية مشروعة
 يتخذها شياو هذا ، لاجتياز الحدود ، فقد رجح لدينا أنه
 يتسلل خلسة عبرها ! » . فتظاهرت نينا بعدم الاكتراث
 وسألته : « هب أنه رفض الاعتراف ؟ »

فضحك ضحكة قصيرة جافة . وقال لها : « روبدك ! اننا
 نعرف كيف نحمل على الكلام أولئك الذين يرفضون أن يطلقوا
 لاسنتهم اللسان . وعلى كل حال ، لا تشغلي خاطرك بأمره ،
 فهو رجل مقضى عليه بالهلاك . وانه ليدرك هذه الحقيقة . لانه
 ليس من ذوى البلاهة ، بل انه يعلم جيداً ان بوسعه ان يصل
 معنا الى الاتفاق ، على شريطة . . . » ، وسكت ، فسألته : « (على
 شريطة أن يغير المعسكر الذى يخدمه ؟) » فقال : « بل أكثر
 من هذا . . على شريطة أن يساعدنا على اقتناص جواسيس
 أشد خطراً ! »

ووقع اعتقال السيد شياو وقع القنابل وسط الاسطول
 الصغير من سفن الازهار ، فانطلقت التعليقات طول الليل ،
 وأخذت النسائم تحمل تلك التعليقات من سفينة الى سفينة .
 وعلم الزوار بما حدث ، فتركوا صاحباتهم وانصرفوا للاصغاء
 الى تفاصيل التفتيش . . واستقبلت نينا - على ظهر « سفينة
 الملذات » - كثيرين ممن دفعهم حب الاستطلاع ، بعد أن سمعوا
 بالمأساة التى جسمتها الارجيف والمبالغات ، فجعلت منها
 قصة جذيرة بالشاشة الفضية ! . . وتركت نينا فتاتيهما
 - لؤلؤة التنين وصباح الخير - ترويان للوافدين ما حلا لهما
 من الروايات . اما هى ، فكانت تعيش فى جو من الفرع ، لان
 القبض على السيد شياو كان اسوأ ما يمكن أن يقع لها ، وأصبحت

سلامة شخصها - بل وحياتها - متوقفة على الاعترافات التي قد ينتزعها البوليس من هذا المسكين الواقع تحت رحمة جلاديه !

• وفي اليوم التالي ، استيقظت نينا مذعورة - اثر كابوس مزعج - على يد لؤلؤة التنين وهي توقظها ، في الساعة الحادية عشرة صباحا ، وتقول لها : « ان السيدة مديرة سفينة التهذات ترجو مقابلتك ! » . ونهضت نينا من فراشها . . وكانت دائما متباعدة عن جاراتها ، لان مديرات السفن الاخرى كن يعتبرنها دخيلة عليهن ، متكبرة ، مغتررة بصلاتها بكار رجال البوليس . ولم يكن بين جاراتها من شعرت بميل اليها سوى الأنسة سو شوان ، التي كانت تدير «سفينة التهذات» ، لان نينا كانت قد اعطتها يوما تعويذة مباركة !

ودعت « نينا » الزائرة الى مخدعها ، وهذه تعتذر بحرارة عما سببته لنينا من ازعاج بهذه الزيارة . ثم طرقت موضوع زيارتها مباشرة ، فقالت : « ما اعجب قصة الامس ! . . اننى لابهت كلما فكرت في هذا المنكود ابن السلحفاة ، الذى حضر الى سفينتى ليحتسى الشراب مع فتياتى ، فاذا به - في حقيقة الامر - جاسوس ! . . اننى لاتمنى ان يقطعه السادة العسكريون اربا يلقوا بها للصقور والنسور على تلال الازهار الصفراء . . ولكنى يا سيدتى عطر السماء حضرت لزيارتك لفرض آخر ، في الواقع . اذ يكربنى ان سفينتى تحت رقابة البوليس منذ الصباح ! » . فسألته نينا : « وما الذى جعلك تعتقدين ذلك ؟ »

- ليست مسألة اعتقاد ، بل اننى اعلم عن يقين . فهناك زورق بخارى القى مراسيه على بعد عشرين مترا من السفينة . ثم تلقيت الامر بالسماح لاحد مفتشى البوليس بالاختباء في قاع

السفينة . واندرنى قبل الاختباء بأنه سيلقى بى فى السجن اذا أنا اخبرت الزوار بوجوده فى السفينة . وكأن هذا الفتش فى البداية فظا جدا ، حتى أنه أفرعنا كلنا . . وفى الساعة الرابعة صباحا ، خطرت لى فكرة ، فسألته ان كان به جوع أو ظمأ . فقال انه يعانى الاثنين معا ! . . وقدمت اليه أرزا بالجمبرى والفلفل الأسود ، وقدحا كبيرا من الشراب ، فأكل وشرب بشراهة ، ثم قارقه فظاظته . واذ ذاك بت معه ليلتى أو ما بقى منها . فأسر الى بأمر مروع ! »

وخفضت « سو شوان » صوتها واستطردت : « قال لى ان السلطات مقتنعة بأن حضور هذا الجاسوس الى سفينتنا يدل على انه كان على موعد هناك مع شريك له ، وأن اسطولنا أوشك أن يصبح مكانا لالتقاء جواسيس الماريشمال الذين اختاروا سفينتى بصفة خاصة لهذا الغرض ! . . اننى وفتياتى فى غاية القلق . . ومن يدري ؟ ربما اتهمونا بالتآمر مع هؤلاء الجواسيس واعتقلونا ، والقوا بنا فى السجن . فماذا كنت تصنعين لو كنت فى مكانى ؟

— هل ضميرك مستريح ؟

— طبعا . ولكن هؤلاء الشرطة . . ما أكثر شكوكهم ! !



— ان وجود المفتش المختبىء عندك كفيلى .. على كل حال —
 بان يطمئنك . وسيشاهد بنفسه انكن بريئات !
 — ربما ، ولكن مصالحنا ستتأثر بهذه المراقبة تأثرا جسيما ،
 لان الرواد اذا شعروا بوجود مفتش بوليس الامن مختفيا في
 سفينتنا ، هجروا السفينة وفضلوا عليها سفينة اخرى ،
 لا يتعرضون فيها لمن يتنسم احوالهم وكانهم كلاب بها جرب !
 وواست « نينا » الانسة «سو شوان» ما وسعتها المواساة .
 فعادت هذه الى سفينتها وهى تحمد للسيدة « عطر السماء »
 ظرفها وعطفها وكلماتها المشجعة .

★ ★ ★

♦ وانقضت ثلاثة ايام لم تكد « نينا » تذوق خلالها للنوم
 طمعا . وكانت — اذا أغفت — تستيقظ وقد تصيب جبينها
 عرقا ، واستولى عليها القلق . وما كان فى وسعها ان تشد
 من فتياتها ما يقوى عزيمتها ، فقد نسينا السيد شيوا ولم
 تعودا تفكران فى حادث اعتقاله . ولذا ظلت نينا على أحر من
 الجمر ، تنتفض ذعرا لصوت كل زورق بخارى يمر فى النهر ،
 اذ تخال ان الشرطة قد حضروا لالقاء القبض عليها .
 وفى مساء اليوم الرابع . استقبلت ضابطين قضيا الوقت
 مع « لؤلؤة التنين » — الى منتصف الليل — ثم رجعا الى
 المدينة . ولم تجد فى نفسها ادنى ميل للتحديث اليهما او
 سؤالهما عن شىء ، فقد بلغ من يأسها وانهيارها انها تخلت عن
 كل شىء ، حتى عن رسالتها . . وانقضى على انصراف الضابطين
 ربع ساعة ، كانت « لؤلؤة التنين » قد دست — خلاله —
 الدولارات التى نالتها منهما ، بين ثيابها الداخلية . أما « صباح
 الخير » ، فكانت تعقلب على فراشها ، وهى تمضغ « اللادن » ،
 بينما جلست نينا كالمحمومة ، وقد شخصت ببصرها الى مياه
 النهر السوداء ، التى كانت تنساب فى صمت . وعلى حين
 غرة ، وقفت لؤلؤة التنين عند السياج وصاحت : « انظري ! »

زورق البوليس بأنواره الحمراء ، انه قادم الى هنا ! » . فهدت
 نينا من مكانها ، وراحت تتطلع الى الكشافات الحمراء ، وقد
 توجست شرا . واقترب الزورق فقفز منه السيد هو وين يو
 بخفته المهدودة . ودهشت نينا حين رآته وحده ، لم يصطحب
 أحدا من رجاله . فهل جاء ليحيط معصمها بالاصفاد ؟ !

وهتف السيد هو وين يو يحييها باحترامه المعتاد : « طاب
 مساؤك يا سيدتي عطر السماء ! » . فردت قائلة : « طاب
 مساؤك يا صاحب السعادة ! » . ولكنها لم تطمئن الى لهجة
 مساعد الحكمدار ، فقد كان ممن يستطيعون التعذيب ، ويشهد
 مرحهم حين يعلنون الى الناس أدهى الكوارث . .

فجلس مساعد الحكمدار في مقعد وثير وقال : « لقد قضيت
 يوما متعبا يا صديقتي اللطيفة . ولهذا جئت أرفه عن نفسي
 لديك ! » . فقالت : « انك دائما على الرجب والسعة
 يا صاحب السعادة . اتراني بحاجة الى أن أقول لك أن
 زيارتك تسبب لى السرور والرضى ؟ ما الذى أستطيع عمله
 لمرضاتك يا سيدي ؟ » . فسألها : « هل صباح الخير
 مشغولة ؟ » . وكان جوابها : « كلا . . بل هى نائمة »

— انقضيها اذن، فسوف يمرنى ان اجالسها !

فارسلت نينا « لؤلؤة التنين » لدعوة زميلتها . ولما خلا
 وجهها الى السيد هو وين يو ، خطر لنينا أن تساله عن السيد
 شيائو ، فما كان ثمة عجب في أن تساله عن هذه المسألة ، على
 أن لا تظهر اهتماما شديدا . فقالت وهى تتصنع الملل العميق :
 « أما من جديد في المدينة يا صاحب السعادة ؟ » . فأجاب
 الرجل : « كلا ، فان حياة رجال الشرطة رتيبة مملة ! »

وحاولت نينا أن تتجه بالحديث الى الموضوع الذى يهمها
 قبل كل شيء ، فقالت : « وما أسم السيد مدير مكافحة
 الجاسوسية ، الذى كان في صحبتك تلك الليلة ؟ » . فقال :

« آه ، السيد فونج تشى .. رجل ظريف ، اليس كذلك ؟ » .
 فكان جوابها : « أنه يبدو مأكرا جدا ! » . وعقب هو قائلا :
 « رجل حصيف للغاية . وبهذه المناسبة ، اذكرين ذلك
 الشخص الذى قبضنا عليه أثناء التفتيش ، فى تلك الليلة ؟ » .
 فتصنعت نينا نبش ذاكرتها ، ثم قالت : « ذلك الشخص الذى
 وجدتموه فى سفينة التهنيدات ؟ »

— نعم . تصورى اننا لم نظفر منه حتى الآن بطائل !
 — كان يجب أن يبقى فى زنزانته ستا وسبعين ساعة بغير
 شرب .

— لقد ظل يقاوم الظما ، مع اننا اطعمناه سمكا مملحا ..
 لا بد لنا من اكرامه على الكلام بآية وسيلة !
 — اتعتقد انكم تستطيعون ؟
 — لا تقلقى .. سنستطيع ، وسيفرغ ما فى جعبته ، وسينتهى
 الى الادلاء بأسماء شركائه !

وأشرق وجه السيد هو وين يو بابتسامة غبطة وانشراح ،
 اذ أقبلت « صباح الخير » ، فأشار اليها بأن تجلس بجواره ،
 ثم قدم اليها كأسا .. واشتركت « لؤلؤة التنين » فى الحديث
 .. ولم تطمئن نينا الى ما سمعته من السيد « هو وين يو » ،
 فتحاشت أن يلتقى بصرها ببصر الرجل الذى جعل يغازل
 صباح الخير ، والذي قد يأتى غدا ليسوقها الى الجلاد ! ..
 وما لبث هو وين يو أن أبدى رغبته فى الذهاب الى مخدع تلك
 التى كان يسميها غزاله النافر ، فأشارت نينا الى « لؤلؤة
 التنين » ، فتبعت الاثنين الى حجرة النوم المشتركة . وظلت
 نينا وحدها فوق سطح السفينة ، وأفكارها تصبج داخل
 دماغها ، وقد أنهكها التفكير فى مصير السيد شيائو ، الذى
 باتت حياة شركائه بين يديه .. بل رهن لسانه ! .. ترى الى
 أى مدى يستطيع مقاومة التعذيب ؟ ان من المحتمل جدا أن

يعترف بأسماء شركائه انقاذا لحياته ، أو تخلصا من التعذيب
الآليم ، أو الخنق البطيء !

★ ★ ★

♦ وأحسيت نينا بأنها باتت كطائر سقط في شرك أخذت حلقاته
تطبق عليه شيئا فشيئا بغير رحمة .. وتذكرت فرانسيس
وكيف أنه قد يكون - في هذه اللحظة - في شوارع هونج كونج
.. لقد كانت محرومة حتى من تسرية مراسلته ، واستمراء
آلاف الأشياء الرقيقة التي طال شوقها إلى سمعها منه .
وتذكرت أيضا حجرتهما في فندق « الملك ادوارد » بجوها
الهاديء ، وعناقهما المحموم ! .. وكبحت نفسها حتى لا
تنهمر دموعها .

وفجأة ، سمعت صرخة ناقبة ، انبعثت من مقدم السفينة ،
فارهمت أذنيها ، وقد هبت واقفة . وما لبثت أن سمعت
خطوات مسرعة ، وأقبلت « صباح الخير » مشعثة الشعر ،
مشقوقة الثوب من فوق الصدر ، وقد ضمت يديها على
ثديها .. وارتمت بين أحضان « نينا » باكية متوجعة ، وهي
تصيح : « اللعين ! لقد أحرقتني ! » . فهتفت نينا مشفقة :
« أين ؟ »

- هناك .. فوق صدى .. بسياجارتة . كم أنالام يا أختاه !
وأقبل السيد هو وين يور بخطواته البطيئة التي لا يسمع
لها صوت ، وقد ارتسمت على وجهه إمارات السعادة .
وصاح : « ماذا بها ؟ ان هذه الصغيرة قليلة الاحتمال ! » .
فقات نينا متلطفة : « لقد أحرقتها يا صاحب السعادة ! » .
فابتسم في استهانة وأجاب : « ان غزالتنا الصغيرة مفطرة
الحساسية حقا ! .. وهل هذا يقتضى أن تبكى كأنها طفلة في
الخامسة - انسكب منها طعاسها ؟ ! »

وظلت صباح الخير تتأوه قائلة : « لقد أطفا سيجارته فوق

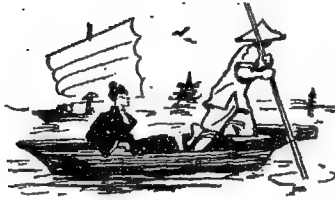
تدبى . . هنا وهنا . . !» . فانفجر السيد هو وين يو ضاحكا ، وقال : « لقد كنت أمزح . اذ تباهت أمامي هذه الحمقاء بركة بشرتها ، فأردت أن أثبت من ذلك . انها حمقاء جدا فعلا ! . . » وكان واضحا أن السيد هو وين يو لم يكن راضيا كل الرضا ، فاسرعت نينا قائلة : « طبعاً يا صاحب السعادة . . طبعاً ! » وانحنى السيد هو وين يو محبياً ، ثم عاد الى زورقه بأسماء . ولما اختفى ضجيج محرك الزورق في سكون الليل ، تاوهت « صباح الخير » من جديد ، فاشفقت نينا عليها وقالت : « يا لاختى الصغيرة المسكينة ! انه وحش ! »
- لكم أكره هذا الرجل !

- عندى بلسم ستضعه لؤلؤة التنين على حروقك ، وستجدينه مخفياً سحريا للآلام !
واقتادت « لؤلؤة التنين » زميلتها الى حجرتهما ، وبقيت نينا وحدها فوق سطح السفينة ، وقد ازدادت مخاوفها واضطرابها . فارتمت على وسائد المقعد ، وأخذتها نوبة نحيب ، لم تجد محبياً عنها ، الا صدى صافرة سفينة بضائع كانت ترفع مراسيها من وسط النهر ، لتقلع الى مكان مجهول !

الفصل العاشر

بين النهر والطمانينة

• كان اليوم السادس من أيام اعتقال السيد شيوا يمثل في نظر « نينا » ذروة المأساة التى قلبت حياتها رأساً على عقب . وكان السيد هو وين يو واضحا حاسماً في هذا الصدد ، فلو أن الجاسوس صمد للظن ، فلا بد من استخدام الوسائل الكبرى . وقد ظلت « نينا » - طوال النهار - على اعتقاد أن



حريتها قد أوشكت على ختامها ، فتخلت عنها شجاعتها ،
واحست بانها تنتظر الموت باستسلام كالفرنسية المحصورة .
حتى اذا كانت الساعة السادسة مساء ، استقر عزمها على
قرار . ومن غير ان تطلع لؤلؤة التنين وصباح الخير على ما
اعتزمت ، استقلت الزورق الذي جاء بمواد التموين ، وذهبت
الى الشاطئ ، فاتجهت فورا صوب بيت السيدة ينج نينج .
ودهشت الامة العجوز لمرآها حين فتحت لها الباب ، وادخلتها
على مولاتها التي ادهشتها - هي الاخرى - هذه الزيارة
غير المرتقبة . . وتبادر الى ذهن القوادة ان احدى فتاى
السفينة قد اصببت بمرض خبيث ، بيد انها ذهلت عندما
قالت لها نينا :

- لم اعد استطيع البقاء اطول من هذه المدة التي قضيتها
على متن السفينة . فان هذا فوق طاقتى ! . . هذا الانتظار
يكاد يذهب بصوابى !

وقطبت السيدة ينج نينج حاجبيها وقالت : « وما الذى
يفزعك على هذه الصورة ؟ » . فردت نينا بسؤال آخر :
« هل نمى اليك نبا القبض على السيد شياو ؟ » . وكان
الجواب : « طبعاً ! »

- سوف يعذبونه ويرغمونه على الادلاء بأسماء شركائه .
- مستحيل ان يخوننا السيد شياو !

— هذا ما يخيل اليك ، ولكنك تعرفين وسائلهم كما أعرفها
 أنا . وسينتهى بهم الامر الى انتزاع الاعترافات التى يبتغونها
 منه .. وهى اعترافات تعنى بالنسبة لى الموت الزؤام ، وليس
 فى نيتى أن ادعهم يجهزون على كشاة تسبق الى الذبح ! .. لن
 ابقى هناك ، حيث أنا ..

— **اذن ماذا تريدان أن تفعلنى ؟**

واجابت نينا : « أريد أن اختفى ! » . فهتفت السيدة
 ينج نينج : « هذا مستحيل ! » . ولكن نينا راحت تهيب
 بها : « أتوسل اليك ياسيدتى ينج نينج . ساعدنى ! .. أريد
 أن اهرب قبل فوات الاوان ! ساعاقد كانتون مرتدية اسفلهلا
 بالية كالمسولين ، واضع على راسى ضمادة . وساجتهد أن
 أنجو بنفسى من قبضة هذا السيد هو وين الذى تفرغنى
 ساديتة ! .. الا تعلمين أن هذا الشرطى يطفىء سجايزه فى
 صدر تلك الصغيرة المسكينة صباح الخير ؟ ! » . فقالت
 السيدة ينج نينج : « لو أنك هربت ، فسوف يضمنون يدهم
 عليك ، قبل أن تصلى الى قرية نام يانج ! »

— أن الصين بلد مترامى الاطراف ، ومتى افلحت فى العبور
 الى مقاطعة (هونان) ، فساكون فى امان .. سالجا الى دير
 اختفى فيه . رحماك يا سيدتى ينج نينج .. لا أريد أن
 أموت !

وتحركات عواطف الرحمة فى صدر القسادة العجيز : امام
 توسلات نينا ، فحاولت أن تهدىء روعها قائلة : « فيم هذا
 الفرع ؟ .. اننى أعرف السيد شياو جيذا ، فهو رجل شجاع
 كل الشجاعة .. انه رواقى الطبع ، يصمد للالام ! » . ولكن
 نينا صاحت بها : « كلا ، كلا .. أنك واهمة . فهناك اوان من
 التعذيب لا قبل لاحد بمقاومتها . وانى متأكدة من أنه سوف
 يدعن لهم الليلة ، او غدا ، أو فى مدى يومين .. أو بعد ذلك .
 هذا لا يهم ، فعاجلا أو آجلا سيكون لهم ما يريدون ، وعندهذ

سيأتي صاحبك هو وين يو ، بانتسامته الماكرة .. كاني اراه
السليعة امامي ، وكلمات كالشهد المصفي تقطر من شفثيه ! ..
وسيتلذذ بتعديبي على نار هادئة بطيئة .. واكاد اسمعه
يقول لي : « يا سيدتي الحسناء عطر السماء .. اني آسف
جدا لما حدث ، ولكن لا بد لنا من اقتيادك الى رئاسة بوليس
الامن ، لمسألة تافهة جدا .. مجرد شكليات .. لا تقلقي .
وهيا معي الى كانتون ، فان مدير مكافحة الجاسوسية يتحرق
شوقا الى التعرف اليك معرفة وثيقة ! » .. ثم يدفعني الى
ركوب قاربه البخاري ، وهو يفح من بين أسنانه قائلا : « يالاه ،
من افعى ! .. اتبعيني يا وقود جهنم ! سنجعلك تكفرين عن
خياناتك الدنيئة ! » .. أجل ! »

— لقد طاش صوابك يا بنيتي ! .. ان خيالك يفرربك !
— كلا ! .. لم أعد اريد البقاء في السفينة منذ الليلة !
استيقظيني معك هنا هذه الليلة على الاقل ! .. خبئيني عندك
يا سيدتي نينج نينج ، واقسم لك انني سسأكون غدا قد
اختلطيت ، ولن تسمعي شيئا بعد ذلك عني ! .. لن أحسرك
الا اورطك في شيء بعد الليلة !

وحاولت السيدة نينج نينج ان تهديء من روع نينا ، ولكن انفعالها
كان أشد من ان تجلدي معه أية تسرية . وقدمت اليها السيدة
نينج نينج كأسا من الخمر ، عسى أن تنام تحت تأثيرها ،
فتجرعت « نينا » الكونياك دفعة واحدة .. وبعد دقائق
معدودة كانت قد ارتمت على الاريغة التي كانت جالسة فوقها
.. واستغرقت في نوم عميق ! .. وجعلت السيدة نينج نينج
تنظر اليها برهة طويلة ، وهي نهب للحيرة . فان حالة نينا
الهستيرية انتقلت اليها بالعدوى ، فاذا القوادة العجوز — التي
كانت لها كل الثقة في رواقية شياو — تسائل نفسها : ترى
هل ينجح رجال الشرطة في انتزاع أسماء شركائه من فمه في
النهاية ؟ .. انه يعرف أسماء كثيرة ، ويخشى دائما من انهيار

مقاومته في أي لحظة ! واذا ذلك ، لن يشي بنينا فقط ، بل بتلك التي جهزت « سفينة المذات » كذلك . . فيجهزون على نينج نينج وكأنها بومة عجوز ، ويلقون بجثتها للصقور والنسور على قمم الجبال الشمالية الشرقية !

وارتعدت فرائص السيدة نينج نينج ، فقد أفلحت هذه المخبولة « نينا » في اذكاء جذوة القلق في فؤادها ، مع انها كثيرا ما ناقشت السيد شياو احتمال القاء القبض عليه ، فكان يطمئنها الى ان ألوان العذاب لا يمكن أن تحل عقدة لسانه ! . . قال لها هذا بنفسه ، ولكن لعل كلامه هذا لم يكن الا من قبيل التفاخر الاحمق . . وفي الساعة الفاصلة قد تخونه شجاعته !



• وظلت السيدة نينج نينج تحملق في نينا النائمة فوق الاريغة . . وبدأت ترى أن القرار الذي اقترحته الشابة لم يكن يخلو من وجاهة . . ولا ضرر هناك من فرار مؤقت ، اذا افترض ان السيد شياو لم يعترف بشيء . ففى وسعها . بعد ذلك - أن تعود الى (شامين) ، وهي آمنة مطمئنة . اما اذا انهار جلده ، فسيكون الفرار هو المخرج الوحيد . . وقد تكون فرصة الفرار ضئيلة ، ولكنها - على أية حال - مبعث امل ! لذلك لم تلبث ان نهضت فجأة ، ووضعت يدها المروقة المتفضضة على كتف نينا ، فاستيقظت هذه فزعة ، وهي تنتفض ، وهتفت وفي عينيها ذعر شديد : « ما هذا ؟ . . ماذا جرى ؟ » . فمالت السيدة نينج نينج فوقها ، وقالت لها : « لقد فكرت في الامر يا بنيتى ، وبدأت لى فكرتك وجهة . . فليس لنا أن نجازف بالتمرض للهلاك . سنرحل الليلة بالذات ! » - أجل يا سيدتى نينج نينج . . يجب ، فان حياتك - انت الاخرى - في خطر !

ورسمت المراتان خطتهما للهرب : في الساعة التاسعة
سندهبان الى المدينة ، وقد ارتدينا ثياب الفقراء ، وتركنا
عربتي « ركشه » الى الاطراف الخارجية لمدينة كانتون ، ثم
تستغلان من هناك ، سيارة أو حافلة عامة من الحفلات التي
تطوف قرى الريف . وتروحان تنتقلان من قرية الى قرية ،
مبتعدتين عن المدينة الكبيرة . وتظللان تتسولان عيشهما
منتقلتين بين المزارع . وبهذا قد تكتبلهما السلامة عن المصير
الذي يتهدهما !

وقامت السيدة ينج نينج لتخبر أمها العجوز بأنها كانت
مضطرة للخروج كي تزور إحدى قريباتها . وعندئذ سمعت
على الباب طرقات خافتة . فأطلقت نينا صيحة فرع ...
لقد فأت الاوان اذن ، وسقطنا في الشرك !

واجتازت السيدة ينج نينج الدهليز في غير ضجة . وكان
الضوء فيه خافتا ، فنظرت خلال شق خفى في الباب ، فاذا
شبح رجل ينتظر ان يفتح له الباب ، فأمنت السيدة ينج
نينج النظر ، ثم زفرت في ارتياح ، اذ عرفت في الطارق السيد
« يانج تشو » ، كبير كتاب محكمة العدل في المنطقة رقم
واحد .. وكانت في غمرة ارتباكها قد نسيت تمام النسيان ان
اليوم يوم الثلاثاء ، وهو اليوم الذي اعتاد الموظف الكهل ان
يحضر فيه لتناول الشاي معها ومجاذبتها اطراف الحديث ..
وكان السيد يانج تشو مسنا ، يبلغ نحو الخامسة والخمسين
من عمره . وقد عرفته منذ زمن طويل جدا . وكان يعنى
بزيارتها ، لشعوره بالامتنان لها ، اذ قدمت اليه في الايام
الخالية فتاة يتيمة من مقاطعة كانتون ، اقتناها حظية له في بيته
القائم على ضفة النهر في شامين .

وفتحت السيدة ينج نينج الباب للسيد يانج تشو ، وهى
تتنفس الصعداء . ورحبت به ، ثم أسرع فطمأنت « نينا » ،
وقدمته اليها . وجلس الرجل شاكرا هذه الحفاوة .. وبينما

كان يحتسى الشاي ، قال : « يا لها من حكاية ! .. ان السادة ضباط بوليس الامن فى منتهى الهياج ! » .. ولم يكن يعرف — بطبيعة الحال — شيئاً مما كان يشغل سريرة صديقه. على انه لم يكذب بنطق بكلمة « البوليس » ، حتى ارهفت نينا اذنيها ، وقالت بلهفة : « عن اية مسألة تتحدث يا سيد يانج تشو ؟ » — معك حق ، فانتما لستما على علم بما حدث طبعاً ! سأخبركما بالمسألة فى ايجاز ، على أن يظل الامر سرا بيننا .. اننى لا أدري ما اذا كنتم قد سمعتم بما تم منذ نحو ستة أيام ، من تفتيش سفن الأزهار !

— سمعنا بذلك ، ولكن .. ماذا كان السبب ؟ سرقة طبعاً ؟ — اواه ، كلا ! .. لقد قبضوا — على متن « سفينة التنهدات » — على شخص اسمه شياو ، اشتبه فى أنه يتجسس لحساب عملاء فورموزا . وقد حبسه بوليس الامن فى زنزانة مدة أربعة أيام بدون ماء .. وفى اليوم الخامس . كان الظلم قد استبد بالرجل استبداداً فظيلاً ، فاقتادوه امام القوميسيير السياسى ، الذى اوما الى قدح من الشاي المنعش ، وطلب منه ان يعترف . واعدوا اياه — اذا اعترف بكل ما يطلب منه — بأن يسمح له بشرب الشاي . ورفض شياو أن يعترف . فجلدوه خمسا وعشرين جلدة ، ثم رده الى زنزانه . وكنت جالسا على أهبة تدوين الاعترافات ، ولكنى لم اكتب شيئاً . لان السجين ظل صامتا صمت القبور ! .. وبعد ظهر ذلك اليوم حضر نائب مدير مكافحة الجاسوسية ، وقابل القوميسيير ، وابلغه اوامر السلطات العليا ، التى تقضى بوجود حل عقدة لسان السجين بأية طريقة ، وبأى ثمن . وتناقش الضباط مع القوميسيير فى هذه المسألة طويلاً ، ثم انتهوا الى الاتفاق على خطة واحدة ، وهى توقييع طريقة القيران الثلاثة — فى

التعذيب - عليه !

وانتفضت نينا ، وصاحت السيدة ينجنينج جزءة : « الفيران الثلاثة ؟ ! » . فرشفت السيد تانج تشو رشفة من الشاي ، وقال : « سأوضح لكما ما حدث : لقد جرى بالسجين الى (بدروم) السجن ، وذهبت في صحبة القوميسيير وحارسين ، فاذا بهم يجلسون السجين على مقعد ويحيطون رقبتة بحلقة من الحديد ثبتت رأسه فوق قرص خشبي . ثم احضر السجانان كيسا وقفصا مستديرا فجعلا الثاني فوق رأسه ، بحيث صار رأسه داخل ذلك القفص . وشرع القوميسيير في استجوابه لمدة عشر دقائق . وأصر شيياو على الصمت . وعندئذ أشار القوميسيير الى الحراس ، ففتحوا الكيس وأخرجوا ثلاثة فيران كبيرة ، رمادية اللون ، حبسوها داخل القفص الذي كان فيه رأس شيياو ! وكانت هناك مسافة تسمح للفيران الثلاثة بالحركة في حرية حول رأسه . وظلت الفيران الثلاثة تجرى مدى بضع دقائق ، ثم أخذت تتسلق رأسه ، صعودا وهبوطا ، في سياق غريب . وكانت هذه الفيران جائعة ، لم يقدم لها طعام منذ سبعة أيام . وفجأة ، انقض أحد الفيران على أذن شيياو فقضم منها قطعة جعل يتلمظ متلذذا بها . وهجم فار آخر على الفار الاول وزاحمه لينال لنفسه قزمة من لحم السجين المسكين . وما هي الا هنيهة ، حتى كانت الفيران الثلاثة قد أمت على أذنه كلها ! .. ويظهر أن رائحة الدم أثارت وحشية أحد الفيران ، فهجم على أنف شيياو يقرضه ، وحذا الآخرين حذوه حتى التهمت نصف الأنف . وعندئذ أمر القوميسيير بوقف العملية ، فقتل الحراس الفيران بسكاكين طويلة أدخلوها من بين قضبان القفص ، ثم نزعوا الحلقة من حول عنق شيياو ! .. وكان وجهه ملطخا بالدم . واقترب منه القوميسيير وسأله قائلا : « أيها الكلب

العقور ! الا تريد ان تتكلم ؟ » ، فأجابه قائلا : « بلى ! سأتكلم ! »
 .. أجل ، كان هذا جوابه ! »

★ ★ ★

• وكانت السيدة ينج نينج ونينا تصفیان بكل انتباه ،
 وقلباهما يدقان دقا عنيقا ، واستطرد السيد يانج تشو قائلا :
 « واستراح القوميسيير لهذا القول من شياو ، فأشار الى كى
 استعد لتسجيل الاقوال التى سيدلى بها . وتضرع شياو اليه
 ان يامر بفك قيود معصميه ، كى يريه العلامات السرية
 والرموز المنقوشة على جسمه ويفسر له معانيها الخفية ،
 وكانت نية شياو الطيبة واضحة جدا ، فامر القوميسيير
 الحراس بحل الاغلال التى تقيد يدى السجين وأمر كذلك ان
 يقدموا اليه قدحا من الماء • فشرب شياو من القدح جرعة
 واحدة ثم سقط على الارض كمن أصابه دوار ، وأفلج بصعوبة
 فى الجلوس على كرسيه مرة أخرى . ولما لم يتكلم ، قال
 القوميسيير بغضب للحراس : « اخلعوا عنه ثيابه ، واكشفوا
 عن صدره وظهره وفخذه . هيا ! » ... فنزعوا عن شياو
 ثيابه كلها ، وجعلوا يفحصون جلده ظهرا لبطن ، فلم يعثروا
 على علامة واحدة . فاستشاط القوميسيير غضبا ، وتوعده



قائلا : « لقد خدعتنا أيها الوغد ! . . اجب عن الاسئلة المحددة التى سأوجهها اليك ، والا فسوف نجعل الفيران تأكل سائر رأسك ، أيها الخنزير ! » . . واخذ القوميسيير يوجه اليه سلسلة من الاسئلة : لحساب من تعمل ؟ ومن الذى يدفع لك ثمن خيانتك ؟ ومن هم شركاؤه فى كوان تونج وغيرها من الاقاليم ؟ . . ولم تفلح الاسئلة ولا التهديدات فى اخراجه عن صمته . وكان شيئاو ينظر اليها وكأنه لا يدري ولا يسمع ولا يفهم . وكانت بشرته قد تحولت الى لون قريب من الخضرة الباهتة ، واخذت رقبتة تختلج كمن به تقلصات ، واعتراه فواق عنيف . ولم يلبث أن سقط على الارض يتلوى ، وجعل ينبش التراب بأظافره ، ثم سكن بالا حراكه ، فاطلق القوميسيير صيحة غضب ، ووركله . . ثم قلب جفنيه ، وأعلن أنه مات بالسم ! ولما فحصنا ثيابه اكتشفنا أن احد أزراره مشقوق مجوف ، ولا شك أنه كان يحتوى على قرص سمام لفوره ، ابتلعه بعد أن فككنا قيود يديه . وعلمنا أنه تصنع الدوار فى البداية ، وسقط على الارض بعد حل يديه ، كى يتمكن من تنفيذ خطته خلسة . وهكذا حمل سره معه الى العالم الآخر ، وافلت من العقاب الذى يستحقه جواسيس الاعداء الخونة من أمثاله !

وسكت السيد يانج تشو ، وانصرف لارتشاف بقية قدح الشاي فى تلذذ . وتبادلت السيدة ينج نينج ونيئا النظرات ، وقد اذهلتهما المفاجأة ، واستولت عليهما شتى المشاعر المتناقضة لسماع هذه الانباء العجيبة . . فقد كان معنى ذلك انقضاء خوفهما وقلقهما على غير انتظار ! . . وقدمتا قدحا آخر من الشاي الى السيد يانج تشو ، الذى انتقل الى الحديث فى مواضيع شتى ، من هنا وهناك ، بعد أن عقب على قصة شيئاو

بقوله : « اعتقد أن انتحار شياو بهذه الصورة سيكلف القوميسير منصبه . اذ كان من واجبه أن يكون أكثر حذرا مما كان ، وإن يفتش ثياب سجينه تفتيشا دقيقا . ولكن السجين - على كل حال - كان ذاهية في مكره وحيلته . فمندا الذي كان يتصور أن زرا صغيرا مستديرا يمكن أن يخفى في داخله حبة قاتلة بهذه السرعة ؟ ! »

♦ وفي نحو الساعة العاشرة مساء ، شكر السيد يانج تشو السيدتين على حفاوتهما البالغة . واستأذن في الانصراف . وما أن صارت السيدتان وحدهما ، حتى تناولت القواداة المعجوز كفى نينا بين يديها وقالت لها همسا : « وآلآن يا صغيرتى ، أظن أنك لن تشعري بأذى خوف ؟ » .. فأجابت نينا : « يا للسيد شياو المسكين ... لقد كان شجاعا حقا ! » - كنت واثقة من أنه لن يشى بنا مهما يحدث له . والآن ، يحسن بنا أن نفكر تفكيرا واقعيا يا صغيرتى ، نسنا الآن بحاجة إلى الهرب . أليس كذلك ؟ - طبعاً ... وسأعود إلى السفينة .

- أنا للأسف قد خسرنا في شخصه رسولا أميننا حاذقا ، وسوف أكلف شخصا أعرفه واثق فيه ، كي يبلغ الماسة إلى السيد فان لونج ، حتى يحتاط لنفسه ويتبصر شؤونه !

وبعد نصف ساعة ، كانت نينا تحتل مكانها المهيود فوق سطح « سفينة اللذات » . أما « لؤلؤة التين » و « صباح الخير » ، فكانتا تنادمان ثلاثة من الضباط ، وأحد كبار الموظفين في المحافظة . وكان الجميع يضحكون في أنشراح وحبور . بينما انصرفت « نينا » إلى التحديق في مياه النهر السوداء . وقد أحست بالخجل من خوفها وضعفها وجبنها ،

لا سيما بعد الذى علمته عن بسالة شياو وصبره وتجلده ..
لقد ضرب الرجل لها المثل والقوة ! .. أجل ، لقد مات
السيد شياو لكى ينقذ حياة زملائه فى شبكة الجاسوسية ،
فعليها الآن أن تحمل الشعلة التى سقطت من يد الشهيد ،
وتستأنف السباق نحو البطولة والمجد !

الفصل الحادى عشر

رحلة الى كاتون



• شعر فرانسيس بالضجر والملل فى هونج كونج ، فقد ثقل
عليه كثيرا فراق « نينا » . أجل ، لقد عرف مدة اقامته
الطويلة فى الشرق الاقصى ، فتيات كثيرات من فتيات المراقص
والملاهى ، والف عاداتهن ومزاجهن وأذواقهن . وكان يعلم
جيذا أن أهم ما يعنيهن فى ملاقاتهن للرجال هو « حفظ
المظاهر » .. وطالما تسلى فرانسيس بالاعيبهن المكشوفة
الساذجة ، دون أن يشعر بتعلق أو هيام صادق . وكانت
« نينا » هى المرأة الوحيدة التى استولت عليه استيلاء كاملا ،

ولهذا شعر بأسى عظيم لفراقها ، وبفراغ ممل ، وبسخط على نوع الحياة التي كانت تحياها في (كانتون) . وقد أعانته صدق حبه لنيينا على التخلص من مغريات ومآزق كثيرة . فلم يكن له من تسلية - طوال شهور غيابها الثلاثة - سوى تلك المهام التي كان يكلفه بها السيد فان لونيغ . من الطيران الى فورموزا أو ماكاو ، ومن القاء المهربات ليلا في ريف كوان تونج أو يونان . حتى اذا عاد الى هونج كونج ، ذهب لزيارة صديقه « ماك فيرسن » في بار « اللوتس الاسود » ، حيث يحتسى الشراب مع هذا أو ذاك من المعارف السطحيين ، ثم يعود بمفرده الى فندق « الملك ادوارد » ، حيث تراوده صور وذكريات خلواته مع « نيينا » في تلك الحجرة ، فيسائل نفسه : ماذا عساها تفعل في تلك الساعة ، في الجانب الآخر من الحدود ؟ .. هل هي في خطر ؟ .. وكثيرا ما كان يحلم بها ، ثم يصحو من نومه مجفلا ، فيحلمق في الوسادة التي بجواره ، والأمل يملأ قلبه في أن يجدها راقدة هناك ، وقد افترت شفتاهما عن ابتسامة ملائكية ، وهي مستغرقة في النعاس !

وفي ذات صباح ، اتخذ قرارا خطيرا ، فاتصل تليفونيا بالسيد فان لونيغ ، وطلب منه موعدا للمقابلة . واستقبله مدير الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير في داره ، في الساعة السابعة من الليلة عينها . فقال له فرانسيس : « يا سيد فان لونيغ . . لقد قضيت في خدمتك اكثر من ستة اشهر . وجدير بك ان تعترف بانى قد خدمتك باخلاص ، وان لم اكن أكثرث اطلاقا للمنازعات التي تقسم الصين الى معسكرين في الوقت الحاضر ، وجازفت بحياتى في سبيل قضيتكم . وقد يكون جوابك على ذلك أننى أتقاضى عن هذه الخدمات ألف دولار في الشهر ، وهذا صحيح . ولكن المال لا يكفي لشراء الاخلاص . وأنا لست مجنونا ولا ملزما بالخدمة والولاء . . ومع ذلك وضعت حياتى في كفة الميزان من غير

تردد . أأست توافقني على ذلك ؟ ! »

— يا سيد أرنولد ، اننى أوافقك وأقدر خدماتك . وبعد ؟
— أنى فى خلال هذه المدة قد عرفت أشياء كثيرة ، منها أن
الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير ، تتجر سرا مع الاعداء ،
رغم سمعتها المتينة . وهذا يدل على أن الاعداء الشيوعيين
يجعلون نشاط شركتكم السرى . وهذه براعة تهنأ عليها !
— اننى أقيم علاقات تجارية مع الاعداء ، لانه من الطبيعى
أن أحصل من الذين اتجسس عليهم ، على مكاسب أغنى بها
نفقات ذلك التجسس الباهظة .

— ان هذا يدل على ذكاء وضع ، لا يكثرث للمبادئ !
— هذا هو شأن جميع رجال الدولة والساسة والبرلمانيين .
وهو أيضا حال جميع رؤساء أقلام المخابرات .
وقال فرانسيس : « يا سيد فان لونج . أنا أعلم أنك كنت
من البراعة بحيث حصلت من الصين الشيوعية على ترخيص
بوجود وكيل دائم لك يمثل شركتك فى كانتون . . » . فقطعه
الرجل متعجلا بقية حديثه : « هذا صحيح يا سيد أرنولد » .
فاستطرد فرانسيس قائلا : « وهذا الممثل الدائم يدعى كارل
فان دروتن . وهو هولندى قادم من باتافيا من جزر الهند
الغربية ، وقد عاش ثلاثين عاما فى الشرق الاقصى على ما سمعت ! »
— وهذا أيضا صحيح . اذ ان فان دروتن يعاوننى فى عقد
الصفقات والاتصال بسلطات كوان تونج ، حيث أبيع السلع
المختلفة كالمصابيح والتوصيلات الكهربائية وما الى ذلك .
وأضيف الى هذا ان السيد فان دروتن لا يقوم الا بالنشاط
التجارى المحض ، فليست له أية مهمة سرية ، بل انه — فوق
هذا — لا يعلم بالجانب السرى من نشاطنا . فهو يعمل فى
وضح النهار وتبارك أعماله السلطات المحلية هناك .
وقال فرانسيس : « اننى أدرك هذه الحقيقة يا سيد فان
لونج ، ولكن اقامة السيد فان دروتن فى كانتون جعلتنى أفكر

في شيء آخر . أفلا تظن أنه قد يحتاج ولو لمدة أسابيع قليلة إلى مساعد خبير في الأدوات الكهربائية ، لخدمة عملائك هناك ؟ » . فتساءل فان لونج : « ومن يكون هذا الخبير ؟ » . وكان الجواب : « أنا ! . . فان معلوماتي الفنية تتيح لى أن أؤدى خدمات جزيلة في هذا الصدد ! » . واذ ذاك سأل فان لونج : « ولماذا داخلتك فجأة الرغبة في الاهتمام بشئون السيد فان دروتن ؟ » . وأجاب فرانسيس : « لان أقامتى لمدة قصيرة في كانتون ، ستسمح لى بالاتصال بشخصية عزيزة . » ونهض السيد فان لونج وجعل يذرع الحجرة ويداه في جيوبه ، ثم قال دون أن ينظر نحو فرانسيس : « أن ما تطلبه منى جد خطير ، يا سيد أرنولد . . اننى أقدر أسباب رغبتك في الاجتماع بالآنسة وونج ، لما بينكما من روابط عاطفية وثيقة ، ولكن التقاءكما في (كانتون) قد يؤدى الى نتائج خطيرة على أعمالنا السرية ، وعليها هى ، عليك أنت ! » . ففسال فرانسيس : « لقد فكرت في هذا كله ، وأنا أخسر من يريد الاساءة الى أعمالكم في الجانب الآخر من الحدود . ولكن اسمح لى ان أوجه اهتمامك الى العمل الذى تقوم به الآنسة « وونج » ، وهو ادارة سفينة من سفن الازهار . فان هذه السفن تستقبل الزوار المستعدين للانفاق بسخاء ، لمجالسة ومنادمة فتياتها ! »

— طبعاً ، ولكنك أوروبى ، ولست صينياً !
— أنت تعلم — كما أعلم أنا — أن آلافا من الروس — خبراء ومستشارين في كل نوع — موجودون الآن في الصين ، وهم يتجولون ويتحركون بكل حرية ، فلا يثير منظرهم أية دهشة لدى حلفائهم الصينيين . وبفضلك ، وبفضل علاقات السيد فان دروتن ، أستطيع الحصول على إذن بالإقامة المؤقتة هناك ، مما يخدم فضول الشرطة .

— ومع هذا فمن التهور أن تقابل الآنسة وونج في كانتون — أعلم هذا ، ولكن السيد فان دروتن يستطيع ان يكلفنى

باصلاح المصاييح التى تضىء سفن الازهار ، وهى توقد بغاز الاستيلين .

فوقف فان لونج أمام فرانسيس وقال : « هل انت مصر على رؤيتها ؟ » . فأجاب الشاب : « اذا كانت خديماتى الصادقة تستحق فى نظرك مكافأة صغيرة ، يا سيد فان لونج ، فأرجو ان تجيب رجائى ! » . ولزم السيد فان لونج الصمت بضع لحظات ، ثم قال : « كنت حريا ان أرفض طلبك ، لما ينطوى عليه من خطر بالغ للجميع ، لو لم يكن السيد « هو » قد قذف من الطائرة هذين الصينيين اللذين اعتديا عليك فى مكاو . فقد علمنا بعد ذلك أنهما من رجال مقاومة الجاسوسية فى كولون تونج ، وأنهما كانا يتعقبانك منذ رحلتك الأولى الى مكاو . ولولا حزم السيد « هو » فى القضاء عليهما فوراً لما قدرت لك أكثر من ثلاثة أيام فى كانتون ، ثم تعتقل ويجهز عليك . فان أعداءنا ما زالوا يحققون فى اسباب اختفائهما . ولحسن حظك ان أحدا لا يشتبه فى امرك ، فى الناحية الأخرى من الحدود ، ولذلك فلن أمانع فى اجابة طلبك بشرطين . يجب ان تتعهد بشرفك ان تحترمهما » . فتساءل فرانسيس : « وما هما ؟ »

— سأحصل لك على اذن بالاقامة لمدة أسبوع واحد فى كانتون . وفى خلال هذا الأسبوع تستطيع أن تدبر مقابلة واحدة مع الأنسة وونج ، على ظهر سفينتها .. مرة واحدة فقط ، وأنا أصر على هذا الشرط ! .. إذ أنك تعرضها للخطر اذا أصبحت زائرا مالوفا لسفينة الملذات ، ولا أظن أن هذا ما تسعى اليه .. اما الشرط الثانى ، فهو أن لا تسعى لاطالة اقامتك هناك أكثر من أسبوع واحد .. ووثق من أننى لن أذكى أى طلب لك بعد الإقامة ، بل سأكون أول من يحرض بوليس كانتون على اعادتك بالقوة الى هونج كونج .. وفى هذه الحالة ستخسر الالف دولار التى تنقضاها من شركتنا شهريا !

وأشعل فان لونج سيجارة اخرى ، ونفث دخانها نحو
السقف واستطرد قائلا : « وآن ، هب أن مسلكي في هذا
الصدد ضايقك ، وانك فكرت في الانقلاب علينا والوشاية بنا
الى اعدائنا .. وهو طبعاً افتراض خيالى جدا ، ولكن لواعج
الغرام قد تدفع الانسان أحيانا الى أشد الاعمال نزقا .. وقد
تحملك رغبتك في ملازمة الأنسة وونج ، على شيء من ذلك
القبيل . فلنفترض انك ذهبت الى مدير مكافحة الجاسوسية
فى كانتون ، وقلت له ان الشركة لاسيوية للاستيراد والتصدير
مجرد مظهر خادع ، يخفى وراءه شبكة للجاسوسية ، وأن
فان لونج حقيق منافق من أعوان المارشال ، يبت عيونه فى
جميع أنحاء كوان تونج .. أتدرى ما الذى يحدث عندئذ ؟
سينتصّل مدير مكافحة الجاسوسية فى كانتون بى تليفونيا ،
ليخبرنى بأن أحد رجالى - وهو فرنسى يدعى أرنولد - يشيع
صدى أراجيف لا أساس لها من الصحة ، وربما كان ذلك عن
موجدة لقلّة مرتبه أو لاسباب أخرى مادية ! .. وسأخبرك
إذا سيكون موقف مدير مكافحة الجاسوسية بهذه الصورة
.. ذلك لاننى أقدم له - منذ مدة طويلة - معلومات قليلة
الاهمية بالنسبة لنا ، ولكنها تكفى لاشغاعه بأننى أخون
فورموزا . وفى مقابل ذلك ، احصل على تسهيلات كثيرة
أظننى فى غنى عن تعدادها لك . فهل فهمت الآن حقيقة
موقفى يا سيد أرنولد ؟ .. اننى اتجسس لحساب المارشال
وفى الوقت ذاته ، أوهم الاعداء بأننى أخون المارشال . وهذه
هى أفضل سياسة فى أفعل عالم ممكن ! .. والآن أعود الى
موضوعك الخاص يا سيد أرنولد .. انك لن تستطيع أن تقول
للسلطات هناك - مثلاً - انك اشتركت فى انزال المخربين
بالمظلات ، والا كان معنى ذلك اعدامك فى مدى أربع وعشرين
ساعة . ومن هذا يتضح يا سيد أرنولد أن مصالحنا متلازمة،
وهذا كل ما أردت أن أثبتة لك ، وان كنت قد نسيت أن

اذكر لك بأن عزيزتك الانسة وونج ستكون أول ضحية لتهورك في هذه الحالة . وأرجو أن تغفر لى قسوتى الشديدة فى املاء شروطى ، فان أمورا هامة جدا فى كفة الميزان ، وهى أهم فى نظرى بكثير من قضائك بعض الوقت مع امرأة جميلة . أذا ان الانسة وونج أصبحت من أهم العناصر فى جهازنا السرى ، وهى منذ شهرين - على الخصوص - تقوم لنا بخدمات رائعة ، ببراعة فائقة . وقد كان للمعلومات التى حصلت لنا عليها ، تقدير كبير فى فورموزا . وها أنذا قد صارحتك بكل شئ ، و « لعبت معك على المكشوف » ، لاننى أعتبرك رجلا رصينا ، يقدر الحجج المعقولة . وقد سمحت لك بفرصة الاجتماع بصديقتك مرة واحدة . . وهذا القليل خير من لا شئ ! »

— أننى أقدر صراحتك يا سيد فآن لونج ، وأعدك بشرى أن التزم الشرطين اللذين املينتهما على . وسأعود أنى هونج كونج بمجرد انتهاء الأسبوع . . وتستطيع بعدها أن تعتمد على جهودى وأخلاصى كسابق العهد !

— وما دمنا متفقين يا سيد أرنولد . فسوف أجهز لك ما يلزمك من أوراق رسمية ، وأرجو أن يتم الحصول على اذن التصريح بالاقامة خلال أسبوع من اليوم ، كى تسافر بصفة رسمية الى كانتون . وهناك تستطيع أن تدبر أمورك مع السيد فان دروتن ، وسيكون قد تلقى تعليماتى ليرسلك بتكليف منه لتركيب مصاييح جديدة جميلة للسفينة التى تديرها السيدة « عطر السماء » !

★ ★ ★

♦ وانقضت أربعة أيام بذل فيها فان لونج جهده لاجابة ملتزمى فرانسيس . وعلى متن « سفينة الملذات » ، كانت الحياة تمضى على وتيرتها المهدودة . ونينا تقوم بمهمتها

مطمئنة ، وعلاقتها مع ضباط الحمامية على خير ما يرام .
وكذلك كانت لؤلؤة التنين وصباح الخير راضيتين كل الرضى .
.. بل ان صباح الخير كانت اكثر من راضية لان السيد هو
وين يو المخيف لم يعد الى السفينة . وفي ذات ليلة قالت
صباح الخير لنيينا : « لقد توسلت الى السماء ان تخلصنى من
هذا الرجل الشرير ، ووعدت الالهة بنذور جليلة لو انها
استجابت لتوسلاتى ، ولهذا اسالك الاذن لى بالتوجه غدا الى
معبد بوذا الاعظم ، كى افى بهذه النذور » . ومع ان نيينا لم
تكن تؤمن بهذه الخرافات ، الا انها لم تشأ ان تخالفها الراى ،
فاذنت لها .

**وفي المساء ، شاء سوء الحظ ان يقبل الزورق البخارى
باضوائه الحمراء ، وصعد منه السيد هو وين يو برشاقته
المهودة ، وكأنه قط وحشى من قطط سيام . وكانت صباح
الخير نائمة فى مخدعها ، فلم تشعر بوصوله . واسرعت نيينا
تستقبله بحفاوتها المألوفة وبشاشتها . فجلس بجوارها ،
وأشار الى لؤلؤة التنين ان تبعد . ثم نظر الى نيينا وابتسم
ابتسامة معسولة ، فتساءلت عما كان يخفيه . وراء هذا
التلطف المفاجيء - اذ كانت تتوجس من أساليبه واغراضه .
واخيرا قال بعد صمت مقصود : « لقد حضرت الليلة - يا
سيدتى عطر السماء - لفرضين : لكى أرى طبعنا غزالتنا
الصغيرة النافرة ، التى ارجو ان تكون قد خففت من نفورها
.. ولكى ابلغك مفاجأة سعيدة تنتظرك » . فتساءلت نيينا
موجسة ، « ماذا تعنى بذلك يا صاحب السعادة ؟ » . فقال :
« لست املك ان اقول لك أكثر من هذا . ولكنى أستطيع ان
اقول لك انك بعد قليل جدا ستفاجئين بمفاجأة سارة للغاية ! »
- أريد ان أعرف مناسبتها ، هلى الأقل
- ليس لى أن أحسد نوعها . بل ان الذى أخبرتك به لم
يكن مباحا ان أقوله !**

— يا صاحب السعادة ، ان كلماتك الغامضة تثير في نفسى الاضطراب ، لا سيما واننى لا اتوقع شيئا غريبا عن مألوف حياتى !

— ارجو الا تلحى في السؤال ، وقد قلت لك ما دفعنى شعورى العميق بالمودة نحوك الى قوله .. والآن ، سيسعدنى ان اشرب كاسا من الكونياك مع الحسناء الصغيرة صباح الخير .
فاين هى ؟

فصفت نينا ، حتى اذا اقبلت لؤلؤة التنين ، سالتها ان تدعو زميلتها . وما ان جاءت صباح الخير ووقع نظرها على السيد « هووين يو » ، حتى ظهر الرعب على وجهها ، وادركت ان الالهة قد غررت بها ، او اصومت اذنيها عن توسلاتها .. وبإشارة من نينا ، اقبلت فجلست بجوار الضابط ، وكانت عصفور بين مخالب صقر . وبعد ربع ساعة ، قام الضابط مع فريسته الى حجرة النوم . فهمست نينا فى اذن لؤلؤة التنين ، قائلة : « اذهبى معهم . فربما كان فى قربك منهما بعض الحماية للمسكينة ! »

وأطاعت لؤلؤة التنين ، وبقيت نينا وحدها على ظهر السفينة ، فأخذت تقلب فى ذهنها عبارات السيد هووين يو ، دون أن تفقه كنه المفاجأة السارة التى أشار إليها .. وكانت توجس من الرجل شرا ، فخامرها القلق !

★ ★ ★

• تستغرق الرحلة بالقطار — بين هونج كونج و كانتون — ثلاث ساعات ، قضاهها فرانسيس جالسا فى الديوان ، كائى مسافر عادى ، ومعه الاوراق اللازمة لتأمين سلامته رسميا . وأخذ صبره ينفذ كلما أوغل القطار فى المسير . وشرعت الافكار الخيالية المفرطة فى الغرابة تنفذ الى ذهنه . ففكر أولا فى قرب ضم فتاته بين أحضانه ، وشكر لفان لونج هذه المنة التى

تدل على مودة واکرام .. ولا بد أن الرجل كان على صلات قوية بالسلطات - في كوان تونج - وكانت له علاقات سرية مجهولة ، تتيج له الحصول في مدى خمسة أيام على تصريح بالمرور والإقامة . فقد كان الحصول على مثل هذا التصريح يتطلب - في الظروف العادية - مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ، مع السعى الحثيث ! .. وفكر فرانسيس كذلك في موقفه الذي لم يكن يخلو من طرافة ، على ما فيه من كدر وخطر .

فها هو ذا يسافر حاملا أوراقا تحميه من سلطان بوليس الأمن ، وقد صدرت من بوليس الأمن نفسه ، وهو الذي كان منذ اسبوع واحد يجتاز الحدود خلسة بالليل ، ليقتذف بالمهربات ، وبرجال المقاومة السرية ! .. وكانت طائرات الميج الصينية الحمراء تطارده وهو يروغ منها !

وكان من المتفق عليه أن ينتظره السيد فان دروتن في محطة كانتون . ولم يجد فرانسيس عناء في التعرف الى ممثل فان لونج ، حين رأى امامه هولنديا بدينا ، مجعد الشعر ، أحمر الوجه ، له لحية طويلة كلحية « نبتون » اله البحر ، وبطن عالية تنم عن حب للطعام والشراب .. وشد فان دروتن على يد فرانسيس ، وكأنه صديق له من أصدقاء الطفولة ، لم يره منذ ذلك الحين ، وقد جمعته به معجزة سماوية . وشعر فرانسيس بميل فطري نحو هذا الرجل الذي كانت عيناه الزرقاوان تومضان في لعان الماس ، وتتمان عن الصراحة التامة والاستقامة المطلقة .. ودعا الرجل فرانسيس الى سيارته « البويك » ، التي رفر على مقدمتها العلم الهولندي وكتب على لوحة رقمها عبارة « هيئة سياسية » . ودهش فرانسيس لذلك ، فقال له فان دروتن ضاحكا :

- لقد نسي فان لونج أن يقول لك شيئا خطيرا .. انني قنصل هولندا في كانتون . ولئن كان الدخول في زمرة الدبلوماسيين أمرا غير سار ، الا أن هذا الوضع لا يخلو من

فوائد ، لا سيما اننى قنصل صينى اكثرت من الصينيين أنفسهم ، فلا يستطيعون الف والدوران معى . . كما اننى أستطيع ان اكيل لهم الصاع صاعين بلغتهم التى اتقنها تماما ، بما فى ذلك دائرة معارف من الشتائم المنتقاة ! ولقد كانت سياستى دائما - منذ عشرين سنة - ان اكون قنصلا لاية دولة فى أى مكان أحل به ، ولو لجمهورية صغيرة مثل سبان سلفادور ، تقرب مساحتها من مساحة مائدة الشاى ! فان لى ثلاثين سنة فى الشرق الاقصى ، وأنا أعرف تماما عقلية هذه البلاد !

وكان فان دروتن مضيافا كريما : دعا فرانسيس الى الغداء فى بيته القائم فى الشمال من كانتون . . وهو بيت من الخشب ، أتيق البناء ، رشيق ، تحيط به حديقة ازهار غناء . وقدم لضيفه الويسكى فى قاعة الجلوس الحافلة بتذكارات وتحف من كل مكان ، لا سيما من الهند والهملايا والتبت ، والصين ، والهند الصينية ، واندونيسيا . . وما لبث الهولندى ان الح على فرانسيس بان ينزل فى داره ، فقبل الطيار الدعوة شاكرا . وسرت اليه بعدوى اللطف والثرثرة من فان دروتن ، فراح يروى له مغامراته فى بلاد الشرق الاقصى ، وهو يحتسى القهوة . فقال له مضيفه : « وماذا رايت أنت من آسيا ؟ . . اننى هنا منذ ثلاثين سنة ، فلم أخضع - طوال هذه السنوات - لاغراء العودة - ولو لمرة واحدة - الى أوروبا . . أوروبا المنهكة ، المكبلت بقيود من اللوائح والقواعد والقوانين . صدقنى ان ليس بين القارات الخمس سوى قارة واحدة تصلح للسكنى ، وتلك هى آسيا ! . . فهى الجدة الكبرى للحضارات الحقيقية ، وليست حضارتها كتلك المدينة الآلية التى يتخط فيها أهل باريس ولندن ونيويورك . . كلا ! فآسيا عظيمة ، كريمة ، سمحة رائعة . . انها مزيج عجيب من القيادة والفخامة ، ومن الجوع والتخمة ، ومن البسخ

والمسغبة ! .. والعجيب من امر آسيا ان اصنام الهتها تمثلهم
سمانا بظانا باسمين ، وحياة شعبها ترينا اهلها عجافا
محرومين .. انهم قوم غرباء الاطوار ، هموا ان يذبخوني ذات
مرة . اتدرى ماذا أنقذنى من هذا المحير الاليم ؟ »
فتسائل فرانسيس : « حصانتك الدبلوماسية ؟ » . فاجاب
فان دروتن : « اطلاقا ! .. بل قدرتى على شفاء المرضى ! اجل
يا سيدى ! لقد منحتنى الطبيعة سبلا مغناطيسيا اتاح لى ان
أنافس السحرة من كهنة المعابد . انظر الى يدي هاتين ! هذه
الكف اليسرى ذات نشاط اشعاعى . انظر اليها جيدا ...
اجل يا صديقى الصغير ، وقعت ذات يوم اسسيرا فى ايدي
القراصنة ، فساقونى مكبلا فى منطقة مصب نهر اللؤلؤ ..
والقرصان اشخاص غاية فى خفة الدم على شاشة السينما ،
لا سيما فى الافلام الملونة ، بيد انهم - فى الواقع - اشخاص
فى غاية الرهبة . وكان زعيم الذين اسرونى رجلا يدعى « لى
يو » ، ابغضنى بغضا شديدا ، لاني سمين وهو نحيف كانه
هيكل عظمى . ولما امر بى ان اشق فى مدى أربع وعشرين
ساعة ، ما لم تدفع الفدية المحددة ، نظرت فى عينيه وقلت
له ، وانا الوح بسبابتى فى وجهه : « أقتلنى ان شئت ، ولكنك
ستموت فى مدى أربعة أشهر ، لان الشيطان الاحمر الاعظم
ساكن فى عمودك ألقري ! » .. وكنت قد لاحظت ان القرصان
يعانى « اللماجو » . فشخص ببصره نحوى فى دهشة بالغة ،
وتحسس كليتيه وهو مذهول . واذا ذاك عرضت عليه صفقة
طيبة ، اذ قلت له : « اذا عدلت عن شئقى فى فجر الغد ،
فسأطرد الشيطان الاحمر الاعظم من ظهرك ! » . وظهر عليه
التردد .. ولكن اللماجو كان يزعه منذ عدة أيام ، فقبل
الصفقة .. وكان الامر سهلا هينا للغاية ، فقد أرقدت « لى
يو » عاريا على لوح خشبى - وقد التف حولى رجاله
القراصنة ، وفى عيونهم نظرات الارتياح والوعيد - واستحضرت

كل معلوماتي في وظائف الاعضاء ، واعدت احدى فقرات العمود الى موضعها بالتدليك ، وانا اتمم وكأني اتلو صلاة لرب مجهول ، بينما كنت انهال بشتائم - باللغة الفرنسية - على اجداد القرصان الميامين ، ثم ترنمت بأغنية بدئية من اغاني (مونمارتر) .. كل هذا وانا مقطب الجبين ، في غاية الرهبة والجد ! .. وما لبثت أن وقفت وامرت « لى يو » بأن ينهض ، وانا أضربه على عجزته بلا احتشام .. فنهض القرصان بلا عناء ، وسار عدة خطوات متشككا .. وانحنى وانتصب ، فتبين انه استرد رشاقته المعتادة .. ولم يكذبصدق عينيه وحواسه . وتقدم نحوي ، ويده معقودتان فوق صدره وصاح : « يا صانع المعجزات ! اطمئن ، فحياتك لم تعد معرضة للخطر ، وقد جعلناك ساحرا خاصا لنا ! » .. واطلق القراصنة الآخرون صيحات الاعجاب الشديد . وظللت بضعة اسابيع مضطرا لعلاج اوجاع هذه العصابة القذرة ، الى ان انتهزت فرصة ، وتسلمت في زورق وعدت الى البر ! » ونظر فان دروتن في ساعته وقال : « لقد صارت الساعة الآن الثالثة ، فهيا بنا الى مكتبنا ، لان فان لونج قال لى انك ستقوم باصلاح اجهزة الاذاعة الخاصة ببعض كبار رجال البلدية . وسأضع بين يديك هذه الاجهزة .. وفي المساء ، سأحتفل بوصولك ، وأعرفك بخبايا كانتون ، وأطوف بك ملاهيها طواف الدوقات ! .. ها ها ! .. انها طوفة بسفن الازهار .. فقبل ثورة « ماوتسى تونج » ، لم يكن السائحون يحضرون الى كانتون ، الا لكي يزوروا هذه السفن ، أو قل هذه المواخير .. حيث تجد آنسات مستعدات للهيام بك نظير خمسة دولارات ، ولتعبد اليك مقابيل عشرة دولارات ، وللذهاب معك فورا الى اقاصي الارض مقابيل مائة دولار ، وللإقامة معك بصفة دائمة وخدمة بيتك نظير ثلاثمائة دولار ! »

♦ وكان هذا الاقتراح من جانب « فان دروتن » هو خير ما يصبو اليه فرانسيس ، فجعل ينتظر حلول المساء بصبر نافذ . وبعد العشاء ، استأجر فان دروتن زورقا ، وأمر الملاح أن يتوجه الى سفن الازهار الراسية وسط النهر . . وكان الليل صافيا ، ومصاييح آلاف من الزوارق تتلألأ في الظلام ، وتنعكس على صفحة النهر . . وقال القنصل الهولندي للملاح : « الى سفينة « المتعة الخالدة » ، فالخمر هناك طيبة ، ولديهم فتاة اسمها « ياسمين الربيع » ، تحسن لعبة بوذا والديك والنملة ! » . .

واستقبل القنصل على سفينة « المتعة الخالدة » ، وكأنه العم الثرى الذى سيرثه أهلها يوما ، فهم يتمنون رضاه . وكانت أشد الجميع حفاوة به ثلاث فتيات كانتونيات ، كلهن جميلات . . وكن شقيقتين وابنة عم لهما ، هن عماد العمل والنشاط فى هذا الماخور العائم ، فشعر فرانسيس بأنه فى مجتمع عائلى . . ولما قدم الشراب الوطنى المعروف بالساكى ، تحدى فان دروتن الأنسة ياسمين الربيع ، ثم أخذ يشرح لفرانسيس لعبة بوذا والديك والنملة : « أن الابهام هو بوذا ، والسبابة هو الديك ، والخنصر هو النملة . واللاعبان يجلسان مطبقى اليدين . وعند صدور الإشارة ، يمسك كل منهما نحو الآخر أحد هذه الأصابع الثلاثة . فإذا بسطت السبابة ، وانت بسطت الابهام ، كنت أنت الرابع ، لان بوذا يأكل الديك . أما اذا بسطت أنا خنصرى ، فيسقط أنت الابهام ، فانتى اكسب . . لان النملة تستطيع ان تقرض بوذا ! » واستمر فان دروتن يلعب هذه اللعبة المملة الساذجة مع ياسمين الربيع ، وابنتا عمها تضحكان . . ولكن فرانسيس لم يجد فيها تسلية ما ، فتمنى لو أن القنصل سئم اللعب ، لينصرفا الى استكمال جولتهما النهرية . . وفى نحو الساعة العاشرة أصدر فان دروتن إشارة الرحيل . . وقال الهولندي

ان زيارتهما - في هذه المرة - لسفينة « التهنيدات » ، فوافق فرانسيس ، وهو يضغط أعصابه . وصعدا معا الى سطح المآخور ، فوجدا المنظر واحدا ، ولكن .. مع مزيد من القدارة . فلم يستطع فرانسيس صبرا ، وقال لمضيفه : « ألم تسمع بسفينة من هذه السفن اسمها سفينة الملذات ؟ »

« بلى ! وهى ملك للعجوز شانج هاى الذى علمت أنه باعها .. »

« لقد امتدحوها لى كثيرا ، وانا فى هونج كونج

واستقلا زورقهما ويما شطر « سفينة الملذات » ، التى فاقت فى منظرها السفن الاخرى . وكانت مصابيحها تضيء لافتة حريرية ، عليها كلمات الترحيب بأحرف صينية .. وترامت الى سمعهما ضحكات رقيقة ، وأطراف أحاديث ، وصوت دندنة . فأخذ قلب فرانسيس يخفق بشدة .. ها هو ذا - أخيرا - سبرى حبيبته نينا !

واستقبلت أولوة التنين فى ثوبها الحريري القرمزى اللون هذين الزائرين . ودهش القنصل العملاق لفخامة السفينة التى كانت تختلف كثيرا فى انافتها عن سائر السفن ، وكان فرانسيس قد تعلم شيئا من لغة اهل كانتون ، بما يكفى للأحاديث العادية الشائعة . فسأل أولوة التنين قائلا : « أين السيدة عطر السماء ؟ » .. وسأله فان دروتن : « ومن تكون هذه السيدة ؟ » . فكان جوابه : « يبدو أنها السيدة التى تدير هذه السفينة ! » . بينما قالت أولوة التنين : « سأتولى ابلاغها خبر حضوركما ، فهى الآن تجالس ثلاثة من الضباط ومعهم الأنسة صباح الخير ! »

★ ★ ★

♦ وبعد لحظات ، ظهرت نينا .. فلما التقت بفرانسيس وجها لوجه ، أبدت قوة خارقة على ضبط أعصابها ، الامر الذى أدهش عشيقها كثيرا .. وحيث الزائرين بكل رزانة

وتهذيب ، ودعتهما للجلوس في المقاعد الوثيرة . وكان فان دروتن يجهل - بطبيعة الحال - أن عطر السماء تتكلم اللغة الفرنسية ، فمال على فرانسيس وقال بتلك اللغة : « لعمري إن حوريات هذه السفينة رائعات ! » . ثم راح يثرثر مع لؤلؤة التنين ، بينما وقف فرانسيس وسال نينا عن الاضواء التي تتراعى على الضفة الاخرى من النهر . وكان هذا السؤال مجرد ذريعة لينسحب بها الى طرف السفينة . حتى اذا صارا هناك قالت له نينا هامسة : « اية معجزة اتت بك الى هنا ؟ »

- أين يمكن أن نتكلم على انفراد ؟

فادخلته نينا الى مقصورتها . وهناك احتواها فرانسيس بين ذراعيه ، واخذ يغمرها بالقبلات . . فأجابت قبلاته بحماسة فضحت سرورها العميق به . وجلس فرانسيس على حافة الفراش ، وقال لها بسرعة وبصوت منخفض : « اننى لم استطع ان اعيش اكثر من هذا الوقت في (هونج كونج) ، وأنا أجهل جهلا تاما ماذا حدث لك . ولهذا ربت الامور ، بحيث احضر لزيارتك ، فقد كنت اشعر بشقاء مقيم ! »

- ولكن هذه جنون ! أتدري مقدار الخطر الذي يحيط بك ؟

- كلا ، اطمئنى ، فقد كان فان لونج من اللطف والكرم بحيث حصل لى على اذن بالدخول والاقامة هنا كمهندس كهربائى يساعد فان دروتن ، ممثل الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير في كانتون . وقد سمح لى بالحضور لزيارتك مرة واحدة . ولكن زيارة هذا المساء لا تدخل في الحساب ، لان فان دروتن نفسه هو الذى دعانى لقضاء السهرة في المرور على سفن الازهار !

فكانت نينا متزعجة : « لكنك تلعب بالنار يا فرانسيس ، يا جيبى ، فان سفينتى يتردد عليها العسكريون وبوليس الامن يرقبني عن كثب ! » . ولكن فرانسيس طمانها قائلا :

« ان جميع اوراقى مستوفاة فلا تخافى يا يمامتى الصغيرة ! ..
والآن أريد ان اقضى معك ليلة على ظهر السفينة ! » . فتساءلت :
« متى ؟ » . واجاب : « فى اى وقت تريينه مناسبا » .

— يوم الاربعاء اذن . — وفى اية ساعة ؟
— ليس قبل الساعة الواحدة صباحا . وسادبر الامر بحيث
ينصرف الزوار قبل ذلك الوقت . وأين نقيم الآن ؟
— لدى القنصل فان دروتن . والحقيقة أن حظى من
السما . فهو مضيف ساحر كريم !

— لا تطل المكث الآن معى !
وضمها الى صدره ، وسألها : « الست سعيدة بهذه المفاجأة ؟ »
— ايل انى فى غاية الدهول حتى الآن .. وإلوصيك بالحدذر ..
الا تعلم ما حدث لشيوا ، الذى اكان يعبر الحدود برسائلنا
السرية ؟ .. لقد قبضوا عليه وعذبوه . واعتقدت انه سيوح
لهم بالاسماء ، ولكنه كان من الشجاعة بحيث انتحى حتى لا
يضعف ويتكلم بما يعرفه .. فاحذر ، فنحن هنا تحت رحمة
أقل هفوة !

وتبادلا قبلة طويلة فى القمرة المظلمة ، ثم صعدا الى سطح
السفينة ، حيث كان فان دروتن يروى للؤلؤة التنين حكاياته
المضحكة .. وانصرف الزائران متجهين الى كانتون . وكان
فرانسييس يجلس فى الزورق مفكرا مطرقا ، وفان دروتن ينظر
اليه باسما .. وفجأة ضرب فرانسييس على ظهره ، وصاح :
« ماذا بك ؟ .. انك تبدو ساهما ! » . فقال فرانسييس :
« لا شيء ، انما كنت أفكر فى هذه السيدة اللطيفة ! » . ولكن
الهولندى قال : « أراهن أنك تعاني الوجد والهيام بالحسناء
عطر السما ؟ .. ومن حسن حظك يا عزيزى أنك ستستقوم
بتركيب أجهزة جديدة للاضاءة فى هذه السفينة .. وأنت شاب
جميل ، فانتهاز هذه الفرصة واستمتع ، فالحياة قصيرة ،
والابدية طويلة جدا ومملة ! »



الفصل الثانى عشر

السيدة «عطر السماء» ليست .. للبيع !

♦ لم يشعر فرانسيس باستطالة أمد نهار ، كما شعر بطول ذلك النهار من يوم الاربعاء .. وكان - فى فترة الصباح - قد فحص جهاز الاستقبال الاذاعى الخاص بموظف كبير فى بلدية المدينة ، ثم تغدى مع مضيفه ، واستطاب مرة أخرى كرم هذا الرجل ومرحه العظيم .. ولو أنه كان فى ظروف أخرى - أقل إرهاقا للأعصاب - لاسلم نفسه للذة الحياة وسرورها لدى هذا النديم اللطيف الروح .. وعند تقديم الحلوى ، أخذ القنصل يداعب ضيفه حول مفامرته - التى كان مواعدها تلك الليلة - قائلا : « آه . آه ! .. أهكنا نخطف - على أسنة الرماح - حوريات كانتون ؟ تهنئى الحارة لك ايها الصديق العزيز ، على نجاحك السريع ، المكتسح ! .. فلقد خبرت هؤلاء الصينيات الصغيرات القدود البديعات الحسن ، عشرين عاما .. وكنت - أثناء اقامتى فى (بينج) - استبقى فى متناولى جيشا كاملا منهم ، بحكم الضرورة لا الترف ! .. فان هؤلاء الراقصات - من فتيات الملاهى والمواخير - من أكثر

نساء العالم تقلبنا ونزقا ، حتى أنك لا تدري في أية لحظة ستتسلل الواحدة منهن من بين أحضانك كالزئبق .. فلا بد من أن يكون لديك « احتياطي » كاف لمواجهة هذه المواقف !
ان الواحدة منهن تعطيك موعداً في الساعة السادسة ، ثم تصل ناضرة مشرقة في الساعة العاشرة . فلا بد أن تكون تحت يدي أخرى لملء هذا الفراغ بدلا من الانتظار المل ! .. وإذا غلى دمك وثررت على احداهن لهذا التكاسل المزعج ، ابتسمت في اشراق خلاب ، وقالت لك وهي تهز كتفيها برشاقة مثيرة :
 « مي يو فائسى ! » .. ومعناها بالصينية الفصحى « لا حيلة لى في ذلك ! » .. ومن ثم ترانى مبهوتا لاسراع السيدة عطر السماء الى إجابة رغبتك في أمضاء ليلة معها ! »
 وانفجر القنصل مقهقها ثم استطرد : « لا بد أن لديك حيلة رائعة لا تخيب مع النساء ... ! يا لهؤلاء الفرنسيين ! » .
 فقال فرانسيس بتواضع : « بل اننى أشد دهشة منك لهذه النتيجة الباهرة ! »

وبعد العشاء استأذن فرانسيس مضيفه ، وذهب الى رصيف الضفة اليسرى ، حيث استأجر زورقا . وكان قد عرف الآن كيف يسير الزورق متسللا بين سفن الازهار الكثيرة .. ولبت ينتظر بفارغ الصبر الإشارة المتفق عليها بينه وبين « نينا » ، عندما يغادر آخر زائر « سفينة الملذات » .. وما ان آوت لؤلؤة التتين وصباح الخير الى قمرتهما ، حتى لوحت « نينا » بمصباح من نافذة قمرتها . فقفز فرانسيس برشاقة من زورقه الى ظهر السفينة الخالى المعتم ، واحتواها بين ذراعيه !

★ ★ ★

♦ وفي القمرة المظلمة المعطرة ، أسكرته لذة السعادة التي نعم بها . فقد ظل ثلاثة شهور يتوق الى هذه الدقائق السحرية

.. وراحا يتهاامسان بصوت ناعم خفيض ، ونينا تداعب جبين حبيها الذى دفنه مستكينا مستطيبا دفء صدرها الناعم الغض المعطر.. وفجأة قالت له : « حبيبى، أريد أن أقول لك شيئا يقلق خاطرى .. لقد زارنى - قبل وصولك المفاجيء الى كانتون - السيد هو وين يو .. انه مساعد حكمدار بوليس الامن هنا .. وكانت السيدة ينج نينج قد حرصت على أن تقدمنى اليه قبل أن أمارس اعمالى هنا .. وكانت حصيصة حقا فى ارضاء الرجل الذى سيكون رفيقا رسميا وسريا علينا . وقد عرضت عليه اسيدة اوراقى المزورة التى كانت أشد اتقانا من أية اوراق أصلية ، فظهر اغتباطا لحسن اختيارها ، واعتبرنى أهلا للثقة . ثم اكثر من التردد علينا ، لانه أغرم بالصغيرة المسماة « صباح الخير » .. ولكن الذى يدهشنى حقا انه حضر ذلك اليوم ، وأخبرنى - وهو يسيل رقة وظرفا - بأن مفاجأة سعيدة جدا فى انتظارى عما قريب !»
- ألم يحدد لك نوع هذه المفاجأة ؟

- كلا ، بل ظل متكتما ، يزعم انه لا يملك أن يوضح لى أكثر من ذلك .. وبعد ثلاثة ايام ، تمنلت أمامى هذه المفاجأة فى شخصك .. فما رايك فى ذلك ؟

- انه لغز يعجز عن حله عقلى يا نينا . فانا أعرف ان فان لونج قام بالمساعى اللازمة للحصول من بوليس كانتون على التصريح اللازم لحضورى وأقامتى هنا أسبوعا . ولكنه كان حريصا .. كما تعهدينه - على الا يخبرهم أن المهندس خير الكهرباء ، الذى سيساعد فان دروتن ، هو - فى الوقت ذاته - عشيق السيدة « عطر السماء » ! وطبعاً من باب أولى لم يقل لهم انه ينوى زيارتها !

- اذن ، فلست أنت « المفاجأة السارة » التى عنها !

- بالطبع لا .. فهذا غير معقول !

- انه موضوع محير ومزعج لى ! .. هل مررت على

البوليس للتحرى عنك ، يوم حضورك الى كانتون ؟
 - ذهب معى القنصل الى مكتب البوليس ، وقلبوا أوراقى ،
 ثم ختموها بما يفيد الاطلاع والواقفة .. وهذا كل شئ !
 - انى عاجزة عن فهم الموقف .. فما حضر الشعب الماكر
 « هو وين يو » ليقول لى ذلك الكلام عيشا .. لا بد أن لديه
 سببا معقولا ! .. هل تعقبك احد وأنت سائر فى المدينة ؟
 - أنا واثق ان أحدا لم يتعقبنى . طانا أعمل هنا جهارا
 لحساب السيد فان دروتن .. بل أننى ذهبت الى دار موظف
 كبير فى البلدية فاصلحت له المذيع .. ولا أعتقد أن أحدا
 يرتاب فى !

وظلت نينا ساهمة .. وفى نحو الساعة الثالثة صباحا ،
 يقطت فرانسيس من اغفاء انتابته ، وقالت له : « يجب ان
 تعود الآن الى كانتون ! » . فتساءل : « ولماذا ؟ نحن هنا معا
 فى غاية السعادة ! » .. فهتفت فى ضراعة : « أرجوك يا حبيبى !
 فما من أحد يمضى الليل طوله هنا . ولو اكتشف أنك أطلت
 المكث لثارت الشكوك ! » .. واذعن فرانسيس فى النهاية لحجج
 نينا ، واقتنع بأن من مصلحته الخاصة الا يجازف دون طائل .
 فودعها ، ثم هبط الى زورقه ويم شطر الضفة اليسرى للنهر !

★ ★ ★

• وجفا النوم عيني فرانسيس حين أوى الى فراشه ،
 فى حجرة الضيوف بمنزل القنصل فان دروتن ، فان الموضوع
 الذى صارحته به نينا أقض مضجعه . ومع أنه حاول فى
 اللحظة الاخيرة أن يطمئنها ، الا أنه شخصيا لم يكن مطمئنا .
 اذ أنه لم يستطع أن يصدق وجود تلك الطيبة التى دفعت
 مساعد حكمدار بوليس الامن الى تجشم عناء الذهاب اليها
 ليخبرها بأن مفاجأة سارة ستحدث لها ! .. وتبادر الى ذهنه ،
 ان مساعد الحكمدار انما قال لها ذلك ، ليحملها على ملازمة

السفينة .. او اذا كان الامر كذلك ، فان اول واجبات الحرص تفرض على نينا ان تختفى بأسرع وقت من هذا المكان ... ولكن كيف ؟

وفكر فرانسيس في السيدة ينج نينج .. لم يكن ثمة شك في أنها تنتمى الى شبكة الجاسوسية التى يرأسها فان لونج . وقرر فرانسيس ان يحاول من هذه الناحية انقاذ صاحبه او مساعدتها . فاذا اتضح ان هناك خطرا عليها ، فعليه ان يجبرها على الفرار .. لذلك تظاهر فرانسيس - بعد العشاء بالمزاح مع فان دروتن ، الذى كان يعاتبه متسندرا بمغامرة الامس ، فقال له فرانسيس : « اؤكد لك أن السيدة « عطر السماء » قد تركت في نفسها أثرا لن انساه ! » . فهتف الرجل : « احقا ؟ .. ظننتك محصنا ضد هذه الصواعق ! »

- « وما حيلة الرجل وهو ضعيف أمام الحب ! وما دمت يا سيدي فان دروتن تعرف اسرار المدينة وشخصياتها ، وعادات الصينيين . فاستشيرك في مسألة هامة : - اننى مصغ اليك ايها الصديق العزيز ...

- لنفترض أنك افقتنت باحدى فتيات او سيدات نهر اللؤلؤ ، حتى انك قررت اختطافها ... فماذا تصنع ؟

- اوه ! .. ان الامر سهل جدا ، فهناك تقاليد مرعية في هذا الصدد : لو اننى كنت في مكانك ، لذهبت الى القوادة العجوز التى ترعى شئون هذه السيدة الحسنة ، لاساومها فى التخلي لى عنها .. هذه هى الاصول المرعية فى الصين منذ الفى سنة !

- جميل جدا : .. ولنفرض أن هذه الحسناء هى مديرة « سفينة اللذات » !

- وهذا أسهل وأسهل ! فان قوادتها هى السيدة ينج نينج التى تعرفها كانتون بأسرها . وهى تسكن ضاحية شامين ، ويستطيع أى شخص ان يدلك على بيتها !

وقطع القنصل سيجارا ضخما بخنجر فارسي ، ثم اشعله بتلذذ ، وصاح : « انك يا سيد ارنولد آخر شخص كنت اتوقع ان يحدث له هذا ، فقد ذهبت الى هذه السفن مرارا مع السائحين الاجانب الذين يمرون بالمدينة ، فما من واحد منهم خطر له ان يتخذ له محظية من هؤلاء الفتيات سواه ! .. ولكني لا اريد ان امنعك من ذلك ، بل اتمنى لك ان تحظى وبنعيم الفردوس بين احضان عطر السماء ! »

وبعد ساعة كان فرانسيس يجتاز الجسر الصغير الذي يفصل ضاحية شامين عن كانتون ، ثم طرق باب منزل السيدة نينج ، ففتحت له الباب امتهما العجوز ، ونظرت اليه نظرة ارتياب . وادهشها ان ترى هذا الاوروبي يدخل البيت بجرأة . فأسرعت الى حجرة سيدتها نينج . ووجدتها تدخن غليوناً نحاسيا ، فقالت لها : « سيدتي ! .. لقد حضر رجل غريب وطلب مقابلتك . انه شيطان اجنبي يتكلم لفتنا بصعوبة ، وقد ذكر في كلامه اسم السيدة عطر السماء ! » .. فنهضت السيدة من مكانها ، وهتفت : « عطر السماء ؟ ! »

وامرتها بان تقود الزائر الى حجرتها .. ولم يضيع فرانسيس وقتا ، فسرعان ما طرق موضوعه مباشرة ، في خليط من لغة اهل كانتون واللغة الانجليزية : « اينها السيدة الجليلة نينج نينج . لقد حضرت لاسالك مكرمة .. هي ان تساعدني في تحقيق رغبة عزيزة علي نفسي ، وستجدينها - ولا شك - رغبة طبيعية للغاية ! .. انني راغب في شراء السيدة عطر السماء ! »

ولاحت على وجه العجوز المتغضن ابتسامة باهتة ، ثم رفعت يديها الشاحبتين وقالت ببساطة : « آد ! .. لا أستطيع ! » . فعاد فرانسيس يلح عليها قائلا : « لقد ذهبت امس الى « سفينة الملذات » ، وشاهدت بنفسى السيدة « عطر السماء » ، فوجدتها امرأة جميلة جدا . وهى فى نظرى تستحق

حياة أفضل من هذه الحياة التى تحياها هناك . ولهذا فانا مصمم على شرائها ! »

وعقدت المعجوز يديها على صدرها وارتسمت ابتسامتها الشاحبة على وجهها المتغضن وهى تقول له مرة أخرى : « لا أستطيع ! .. ولا حيلة فى ذلك ! » . فقال : « تذكرى أيتها السيدة الجلييلة ينج نينج ، اننى مستعد لشراء السيدة المذكورة بثمن غال . . سأشتري السيدة عطر السماء بأى مبلغ تحددينه أنت » . فصاحت : « ولكن السيدة عطر السماء ليست للبيع ! »
 - ربما غيرت رأيك نظير مبلغ كبير من الدولارات الأمريكية .
 فأتى أحسب أنك وحدك التى تملكين تقرير تلك المسألة .

- كلا . فهى راضية عن العمل الذى تقوم به فوق السفينة ، وليست لديها أية رغبة فى الرحيل !



فأخرج فرانسيس حافظة نقوده من جيبه ، وهزت السيدة ينج نينج راسها قائلة : « كلا ، كلا . . قلت لك أن هذا غير ممكن ؟ » . وقرب فرانسيس حافظة نقوده من وجه السيدة ينج نينج ، ثم قرب مقعده منها ، وقال لها بصوت منخفض : « اننى من أصدقاء السيد فان لونج » .

وتوقع أن يرى فى عينيها نظرة تدل على الفهم . بيد أن وجه المعجوز ظل جامدا لم يعتوره تغير ، وقالت : « عفوا . . من ؟ » .

فقال : « السيد فان تونج ، من هونج كونج » . وأجابته في هدوء : « لست أعرفه ! »

وكان فرانسيس واثقا من انها تكذب ، فحاول مرة أخرى أن يثنيها عن موقفها : « اننى من اقرب أصدقائه اليه ، واخلص معاونيه ! » . ولكنها قالت باصرار : « لم أسمع في حياتى بهذا الاسم » . فقال : « ولكن السيدة عطر السماء تعرفه جيدا .. ومع ذلك فقد ظلت السيدة على تجاهلها : « جائز جدا .. ولكنى لا اعرفه ! » .. ولجأ الى حيلة أخرى .. وكانت نينا قد ذكرت له اثناء الليل قصتها مع السيد شياو ، فحاول فرانسيس أن يززع نينج نينج ، مستخدما هذا الاسم : « لن تستطيعى أن تتجاهلى - مع ذلك - اسم السيد شياو ! » .. فتساءلت : « من ؟ » . وعاد يكرر : « السيد شياو »

- لست أدري عن تونج أن تتكلم .

وبدا فرانسيس يشعر باليأس . فمما لا شك فيه أن القوادة الماكرة كانت تشبث بالحدر ، وتأبى أن تتورط مع مجهول يذكر لها ذلك الاسم . فاطلق رصاصته الأخيرة قائلا : « لقد جئت أقترح عليك شراء السيدة « عطر السماء » ، سعيا وراء مصلحتها الخاصة . فأنت تجهلين يقينا أنها تلقت أخيرا زيارة من السيد هو وين يو ، الذى يشرها بمفاجأة سارة قريبا . وأنا أيتها السيدة الجليلة نينج نينج أخشى كثيرا على السيدة « عطر السماء » من هذه المفاجأة السارة ، لأنها وردت على لسان ذلك الضابط . واعتقد أن سلامتها فى خطر . وأن كنت لا أدري كيف .. والآن ، هلا ساعدتنى على انقاذها قبل ان يفوت الوقت ؟ .. سيكون لك أجر كبير على هذا ، اذا نجحت فى اقناعها بعدم البقاء فى « سفينة الملذات » ، فانى واثق من أنها لن تترك عملها هناك ، ما لم تأمرها أنت بذلك أمرا صريحا ! »

وكانت السيدة نينج نينج تصغى باهتمام عظيم الى

فرانسييس ، فان جهلها بالدور الحقيقى لفرانسييس فى شبكة جواسيس فان لونج ، جعلها على حذر . كما ان المعلومات التى القاها على سمعها ، كانت سببا فى قلقها على نينا . . وبدهاء الشرفيات ، قالت العجوز له ما كان يخشاه : « لقد قلت يا سيدى انك صديق للسيد فان لونج فى هونج كونج . فقلت لك اننى لا اعرف هذا الاسم . . ولكنك ذكرت ان السيدة عطر السماء تعرفه ايضا . فان كان هذا الرجل الغامض معروفا لك ولها ، وهو صديق مخلص كما تقول ، فلماذا لا تلجأ اليه ؟ . . ولماذا لا تتصل السيدة عطر السماء بذلك الرجل كى تطلب اليه النصيح والمساعدة ؟ اما انا يا سيدى ، فلن أزج بنفسى فى أمور البوليس والعلاقات التى بين الضباط والسيدات ! » ولم تكن هناك فائدة من الالتجاء ، فنهض فرانسييس واستاذن فى الانصراف ، وهو يشعر بخيبة الامل !

♦ واذ عاد فرانسييس الى منزل فان دروتن ، وجد مضيفه يحتسى كوبا من عصير الليمون المثلج ، فى حديقته الصغيرة . وحياء الهولندى قائلا : « مرحبا بقناص القلوب ! . . لقد ذهبت لزيارة القوادة العجوز فى شامين ، فهل افلحت فى عقد الصفقة ؟ » . . ولكن فرانسييس أجاب فى أسى : « قالت لى ان هذا مستحيل ! »

— هذا يدهشنى جدا ، لان تلك العجوز لا يمكن ان ترفض صفقة رابحة . . . أهى تحب المال جدا !

ولم يستطع فرانسييس ان يكشف للفتى جميع ما لديه من المعلومات . واكتفى بان هز كتفيه وقال كالمستكين ، وهو يقول : « لا بأس ! . . سأشدد السلوان فى مكان آخر ! » . . وكان لدى فان دروتن وسيلة عاجلة للسلوى . . اذ كان قد دعى الى حفلة ، عشاء اقامها رئيس اركان حرب الجيش الثالث ،

في افخم مطعم بالمدينة ، فاستأذن ليصطحب فرانسييس اليها .
وفي الساعة السابعة ، وقفت سيارة القنصل « البويك »
امام مطعم « يونج » ، عند ناصية شارع الفار الصغير . وكانت
قاعة المطعم في الطابق الاول . . وهي قاعة طويلة ، زينت
بلمناسبة السعيدة باعلام الجمهورية الصينية الشعبية ،
وبصورة ضخمة للرئيس ماوتسى تونج . وبدا من الموائد
الطويلة ، التي تستخدم في المآدب الاوروبية ، جلس المدعوون
الى موائد صغيرة ، مستطيلة ، غرست فوقها اعلام صغيرة . .
ووجد فرانسييس والقنصل نحو ثلاثين ضابطا من جميع الرتب ،
قد بكروا بالحضور ، وراحوا يدخلون ويتحدثون ويضحكون
بصوت عال . ونهض الكولونيل تاي تشن لتحية القنصل
وصديقه الفرنسي ، وأرشدهما من بعيد الى مائدتهم . . واقبل
فان دروتن يحيى رجلين اوروبيين كان يعرفهما ، وقدم اليهما
فرانسييس . وكان أحدهما هو « هاريسون » - المهندس
الانجليزى الذى يتعاون مع بلدية كانتون في مشروع بناء أحد
جسور السكك الحديدية - أما الآخر فهو « بوريس » . .
مستشار فنى أوفدته موسكو لبحث الاحوال المائية في ذلك
الاقليم . وكان المرح يسود بين الاوروبيين البيض ، بالرغم من
اختلاف معسكراتهم السياسية !

توجذب القنصل بوريس من ذراعه ، وسأله : « قل لى ايها
الرفيق ، لماذا اقيمت هذه المائدة ؟ » . فاجابه المستشار :
« كيف ؟ ألا تعرف ؟ . . انها اقيمت احتفاء بوصول الجنرال
الجديد الى كانتون ، ليتولى قيادة الجيش الثالث من المشاة »
- هذا جميل . ويجب أن تكون الانخاب كثيرة .

وضحك الروسى . . وكانت الحفلة في هذه اللحظة قد
وصلت الى ذروتها ، وقد اجتمع فيها بضع عشرات من الضباط
- من جميع الرتب - وبضع عشرات من المدنيين البارزين في
(كانتون) . وفجأة ، برز الكولونيل تاي تشن ، وصاح بصوت

جهورى : « ايها السادة ! لى عظيم الشرف ان اعلن لكم وصول قائدنا الجديد .. والآن .. انتباه ! »

فوقف الجميع ثابتين ، ثم ظهر رجل بدين يرتدى الثياب العسكرية ، وعليها علامات رتبة الجنرال . وكان راسه عاريا اصلع ، كانه بيضة .. كما كانت ساقاه نحيلتين تكادان تعجزان عن حمل جسمه الممتلىء . وكان وجهه سمينا لامعا ، وحاجباه يتفصدان عرقا ، رغم غزارة شعرهما . فكانهما قطعتان من فرش تنظيف الاظافر ! .. ورد الجنرال التحية للحاضرين . وانقطع الصوت ، فاستأنف الجميع احاديثهم والتفت القنصل نحو هاريسون ، وسأله : « من هو هذا الجنرال ؟ .. من اين اتى ؟ » . فقال هاريسون : « لست ادرى يا عزيزى . سل موريس ! » .. ونظر هذا الى ضيف الشرف فى المادبة . ثم قال : « انتظروا انتظروا ! .. ان هذا الجسم البدين يذكرنى بشيء .. بشخص .. فى مكان ما .. ! سأذكره .. عجا ! لا ادرى ما الذى دهى ذاكرتى ؟ ! .. آه ، اجل .. انه الجنرال كيانج توب ! » . فاعترض هاريسون قائلا « مستحيل ، فقد أذيع موته منذ سنتين او ثلاث » .

— ولكننى اؤكد لك انه هو .. ويبدو لى ان هناك امواتا ليسوا امواتا فى المائة !

الفصل الثالث عشر

ميت بين الاموات

• كان الضيوف جالسين حول الموائد .. وبدأ العشاء الصينى الطويل ، المكون من ثلاثين لونا مختلفا . وكان ضجيج القوم يصبم الاذان .. والقنصل الهولندى فى غاية



الانسجام ، كانه تلميذ انطلق في اجازة ، وراح يروى آخر النوادر والنكات للانجليزى هاريسون ، والرفيق بوريس ينافسه في رواية النكات ، والقهقهة!

أما فرانسيس ، فلم يكذب يصيب من الطعام شيئا ، لان اسما معيناً كان يطن في رأسه طول الوقت ، وهو : « كيانج تاو .. كيانج تنو .. كيانج تاو ! » . وكان من المستحيل عليه أن يصدق أن هذا الاسم ، هو الذى ذكرته له نينا عندما قالت له فى (هونج كونج) أنها ستقوم بتمثيل المحظية الاولى لجنرال قتل فى الجبهة الكورية ! .. وكان فرانسيس يتذكر جيدا أن اسم ذلك الجنرال ينتهى بلفظ « آو » ، ولكن ما أكثر الاسماء التى تنتهى فى اللغة الصينية بلفظ « آو » ، فيجعل ذلك الشك يشغل على نفسه ويكاد يخنقه ويفسد عليه استمتاعه !

وراح فرانسيس يختلس النظرات فى اتجاه المائدة الرئيسية، حيث كان الجنرال البدين يتكلم باستمرار ، وهو جالس بين رئيس اركان حربه وكولونيل فى الطيران .. وكان يتساءل — طول الوقت — فى قلق متزايد : « أترأه هو الرجل الذى كان فيما مضى مولى لعطر السماء ؟ .. لو أن ذلك كان صحيحا لكانت كارثة لا مفر منها ! » .. وفجأة ، تصيب فرانسيس عرقا باردا ، لانه ربط بين هذه الفكرة وبين المفاجأة السارة الغامضة التى بشرت بها نينا ، على لسان مساعد حكمدار

بوليس الامن . فلا شك ان هذه المفاجأة السارة هي العودة المفاجئة لولاما الذي كانت مدلهة بحبه .

وكان القنصل ينظر - بين الحين والحين - الى جاره الفرنسي ، ويقول له : « انك لا تبدو على ما يرام يا صديقي ! » . فتعلل بأنه كان يعاني صداعا حادا .. وتحول الهولندي يحدثه عن الطعام الصيني ، فكاد فرانسيس أن ينطلق باكيا متضرعا الى فان دروتن أن يكف عن هذا الحديث ، فقد كان القلق يعذبه ، والحيرة تضنيه !

وكانت المأدبة التي بدأت في السابعة ، قد سلخت ثلاث ساعات ، توالى خلالها الاطباق العجيبة طبقا بعد طبق .. وفجأة نهض السكولونيل « ناي تشن » ، وأعلن أن صاحب السعادة سيلقى كلمة . فساد الصمت التام أرجاء القاعة : واختفى الخدم منها كما تختفى الفيران مدعورة عند ظهور القط الضخم .. وتكلم الجنرال بلغة صينية فصحي ، فقال : « ايها السادة ! انكم ترون امامكم الليلة ميتا نفث الاكفان ، وعاد اليكم من بين الموتى ! .. وهذا صحيح حتى اننى حين اتطلع الى وجهي في المرآة ، أخال اننى ارى شبعا . واننى اعترف لكم أن عظامي كانت خليفة - في هذه اللحظة - بأن تكون قد أصبحت رمادا تذروه الرياح في سهول كوريا الشمالية المثلوجة لولا رعاية الارواح الطيبة . والذين خدموا منكم في منطقة (لينينج) قد يذكرون أن الحكومة - في اثناء الحرب الاخيرة - كلفنى بأن أكون الخبير الفنى في المصفحات ، في جيش الجنرال « تام » ، في اقليم (يم هوا) ، جنوبى خط عرض ١٧ .. ثم حدث هجوم من طيران الاعداء ، امطرتنا بقنابل كالسيل المنهمر . وكنت في خط التنازل الامامى ، في موقع للمراقبة ، ومعنى فصيلة من الرماة . واندلعت الحرائق والانفجارات . ونسف الموقع بالقنابل الحارقة - على ما علمت فيما بعد - فطرنا في الهواء ، واحتترقت ثيابنا واجسامنا . واعتقد

الكوريون الشماليون أننا متنا ، فتركونا منسحبين من ذلك القطاع .

« وكان جرحى شديدا بالفا . ولكن ناقلى الموتى من الأمريكين - فى ذلك القطاع - عشروا على بعد اثنتى عشرة ساعة ، فاذا هم امام رجل عار ، محترق ، ثلاثة ارباع ميت ، وليس هناك ما يدل على شخصيته ، ومن المرجح أن يموت فى تلك الليلة . . ولكن روحا كريما كان يشملنى بعنايته ، كما قلت لكم ، فنقلونى الى المؤخرة . ويجب ان اعترف بانهم عالجونى بعناية وصبر ، ثم نقلونى الى المستشفى العسكرى الكبير فى طوكيو . . وارجو ان تتذكروا - ايها السادة - أن الصدمة العصبية الناتجة عن الانفجار والحروق والجروح ، كانت قد أفقدتنى الذاكرة فقدانا تاما ، فلم أستطع أن أدلى بشئ يكشف عن شخصيتى فإن كل حياتى - قبل الانفجار - محيية تماما من ذاكرتى . ولم يبق لى الا افهم لغتنا . من غير معلومات شخصية ! . . وقد ظلت عامين تحت ملاحظة الاطباء اليابانيين الذين اهتموا اهتماما عظيما بحالتى . واجروا على بحوثنا وتجارب كثيرة ، بقصد اعادة ذاكرتى . ولكن شيئا لم يفلح فى اثارة شئ فى ذاكرتى الخاملة . واخيرا ، ادركم السام فقرروا اعادتى الى (ييبنج) ، لكى تتولى شأنى الادارة الطبية فى الجيش الصينى . . وعندما نزلت الى ارض اجدادى ، لم أتذكر شيئا ، فنقلونى الى المستشفى العسكرى فى (ييبنج) ، باعتبارى جنديا صينيا بغير اسم ، محيية من ذهنه جميع آثار اربعين عاما من عمره . ووضعونى مع الجرحى من عامة الجند ، لان احدا لم يخطر بباله اننى جنرال ، اولا سيما بعد أن أذيع أن الجنرال « كيانج تاو » قد استشهد !

« وذات يوم ، كنت جالسا متضرجا - مع خمسين مريضا آخرين - فى بهو المستشفى ، واذا برجل يدخل . وكان شيخا أبيض اللحية من علماء العهد البائد ، وهو شاعر له آثار

جلیلة . وكان قد حضر لزيارة ابن أخت له ، فمر من أمام سریری ، ووقف وقد بدت علیه دهشة بالغة ، ثم صاح : « سيدى الجنرال ! .. بآية معجزة من السماء أنت على قيد الحياة ؟ لقد ظننا جميعا أن المنون استأنرت بك برأته ! » . وظن المرضى أن الشيخ قد اختبل ، ولكنه أصر على استدعاء كبير الأطباء . فلما حضر هذا أشار الشيخ نحوى وصاح :
— أيها السكولونيل ، ألا تعرف من هذا ؟ .. إنه الجنرال كيانج تاو !

— أنك وأهم ! .. هذا جندى مسكين فقد ذاكرته وقد عجزنا عن علاجه .

— لست وأهما يا كولونيل ، فقد عرفت هذا الجنرال منذ كان فى العشرين من عمره .. وقد تعلم على يدي نظم الشعر !

« وأزاء الحاج الشاعر الشيخ ، استدعى أخى — الذى كان يعيش عندئذ فى مدينة تين تسن — واستدعوا أيضا ضباطا كانوا قد خدموا معى فى الجبهة الكورية ، فاتفقت كلمة الجميع على أننى الجنرال كيانج تاو ! .. وكنت أنا وحدى الذى أجهل ذلك ! .. حتى اسمى القديم لم يكن يعنى فى نظرى شيئا . فخطر لكبير الأطباء عندئذ أن يأخذنى إلى حى هونونج فى بيبيج . وكان لى هناك — فيما مضى — بيت .. وكانت أرملى قد اخفت منذ زمن طويل ، واعتزلت العالم فى دير بعيد . أما محظياتى ، فقد تشتتن فى أرجاء الصين .. وبناء على نصيحة الطبيب أعدوا لى تمثيلية متقنة ، فصعدوا بى إلى الطابق الاول ، حيث كانت حجرة نومى .. وكان السلم معتما ، والحجرة مضاءة بنور قوى ينبعث من وراء بابها المقفل . وكان الطبيب قد نبت وتدا وراء الباب ، بحيث اصطدم به عندما أفتحه . فلما اصطدمت وقعت وارتطم رأسى وأصابنى دوار دام لحظات قليلة . ثم أخذت أحملق فى تفاصيل تلك الحجرة . وفجأة شعرت بأغرب ما يمكن أن يشعر به انسان .. وتصورا

انكم أمام منظر رائع فوق قمة جبل ، وأن غمامة سوداء تحجب عنكم ذلك الأفق، ثم اذا بسيف خفى يشق تلك الغمامة فجأة، فتنبج ، وتبدو لكم المنطقة كلها مكشوفة بجبالها وغاباتها وسهولها وبحيراتها !.. هذا بالضبط هو ما حدث لى . فقد أخذت الذكريات تقفز من كل جانب، وكأنها تتزاحم وتتدافع! .. وهكذا أيها السادة استطاع أن يعود الى شرف الخدمة ذلك الذى هالت في كوريا ، وفقد ذاكرته في طوكيو ، وأسعده الحظ بقيادتهم في كانتون !»

ودوى التصفيق الحاد للجنرال الذى استطرد قائلا :
« واجب أن اضيف - أيها السادة - اننى فخور وسعيد بان اكون على رأس الجيش الثالث، الذى سيكون - كما تعلمون - فى المقدمة ، حين يدق الناقوس ، ويقرر قادتنا العظام تحرير (فورموزا) من عصابات شانج كاي شك . وتعلمون ايضا - كما أعلم - أن أيام هذا المارشال قد باتت معدودة . فقد عرف منذ سنوات قدر قوة الصين الجديدة ، التى عرفت كيف تظهر ارضا من هذا القرصان ومن وزرائه الخونة وموظفيه المرتشين ! »

وكان فان دروتن قد فهم خطبة الجنرال وراح يلخصها لفرانسيس ، الذى كان يفكر طول الوقت فى شيء آخر غير بلاغة الخطبة . . فقد كان هذا آخر يوم له فى (كانتون) ، وغدا تنتهى رخصة الإقامة المؤقتة ، ويجب ان يعود الى (هونج كونج) . فلم يكن امامه اذن وقت طويل للعمل . . يجب باى ثمن - ان ينبه «نينيا» الى الخطر الماحق الذى يتهدها . فان المسألة لم تعد تحتل الانتظار الى حين الحصول على اذن من فان لونج يرحيلها ، لان واجبها - نحو فان لونج لا يقتضيها ان تلزم مكانها الى ان تطبق عليها الشراك . وربما كان الانتظار الى الغد معناه الهلاك !.. وصمم على اخطر نينيا، كى تهرب ناجية بنفسها الى داخل كوان تونج ، ثم تبحث عن

وسيلة تذهب بها الى ماكاو ، حيث تغدو في امان .. أجل - ينبغي أن تنفذ هذا العزم منذ الفجر، فلم تعد المسألة مسألة أيام ، بل هي مسألة ساعات فحسب !

وكان العشاء قد انتهى ، فلم يلبث الجنرال ان نهض ، فنهض الجميع ، واتجهوا الى صدر القاعة ، حيث صفت موائد صغيرة من الخيزران ، عليها الاكواب والاقداح .. والتف حول فرانسيس الانجليزى هاريسون والروسى بوريس والهولندى فان دروتن ، الذين اخذوا يتناقلون ذكرياتهم عن الشرق الاقصى . فكان فى وسطهم اشبه بفريسة احذقت بها كلاب الصيد المدربة ، وهى تتلمس نفرة للنجاة !.. وفى ركن من القاعة المزينة بالنباتات جلس الجنرال « كيانج تآو » - وقد شبع وشرب فوق كفايته - يصفى سرورا لما كان يهمس به اليه مساعد حكماء بوليس الامن ، السيد هو وين يو : « يا صاحب السعادة . مادام الجو قد خلا لنا الآن ، فاسمح لى ان اقدم لكم بكل احترام نبا لا شك عندى فى انه سيقع منكم موقع السرور .. فلعله لم يخطر ببالكم ان المصادفة شاءت ان تجدوا فى كانتون شخصية عزيزة ! » - ومن الذى تعنيه بهذا ؟

- انى اعنى بهذا السيدة « عطر السماء » !

فبهت الجنرال وقال : « هنا فى كانتون ؟ .. وماذا تصنع ؟ »

- لقد عثرنا عليها يا صاحب السعادة . منذ اربعة اشهر

.. وهى الشرفة على ادارة « سفينة الملذات » ، على ضفة نهر اللؤلؤ ..

- مستحيل !.. مستحيل ان تكون « عطر السماء » كذلك !

- انها ليست وحدها على السفينة ، بل معها فتاتان هما

اللتان ترفهان عن الرواد ، اما هى ، فتستقبلهم فحسب !

- لعمري .. اننى مازلت احبها .. اننى اتحرق شوقا للقائها !

- اننى اضع تحت تصرفكم زورقا من زوارق البوليس ،

وسأسبقكم بزورقى الى هناك لكى امهد ذهنها ، ونخلى السفينة من الرواد حتى لا يزعجوا خلوتكما السعيدة ..
وحياه السيد « هو وين يو » باحترام وانصرف . فاتجه الجنرال الى رئيس اركان حربه ، وهمس فى اذنه ، ثم تسلل خارجا . وكان فرانسيس يرقب عن بعد تحركات الجنرال . فأسرع يتسلل بدوره ، واندفع نحو السلم ملهوفا ، اذ انه ايقن ان هذه فرصته الاخيرة لانتقاذ « نينا » !

الفصل الرابع عشر

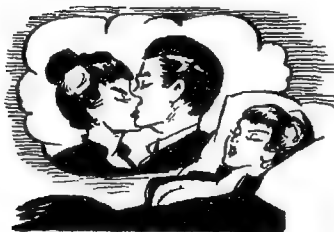
الصقر العجوز « كيانج تلو » !

♦ وفى تلك الليلة، كانت صباح الخير ولؤلؤة التنين تلعبان الورق مع تاجرين من الاثرياء .. وكانت نينا مضطجعة على اريكة فى قمرتها ، فى العتمة ، تستعيد بخيالها تلك الساعات الجميلة التى قضتها فى احضان فرانسيس .. وانتهى بها الخيال السعيد الى نعاس هنىء ..

ونظرت لؤلؤة التنين - وكان مجلسها فى مواجهة الضفة اليسرى للنهر - واذا بها تقطب حاجبيها ، وتقول : « ها هما زورقان باضواء حمراء ! هل سيقوم البوليس بجولة تفتيشية أخرى فى هذه الليلة ايضا ؟ »

وبعد دقائق معدودة رسا زورق مساعد حكمدار بوليس الامن بجوار « سفينة الملذات » ، وحيا السيد هو وين يو الفتاتين ، واوما الى لؤلؤة التنين ان تدنو منه ، ليهمس فى اذنها . وسألها عن الرجلين ، ثم قال : « واين السيدة عطر السماء ؟ » . فأجابته : « انها فى قمرتها . هل ادعوها ؟ »

- ليس الآن . يجب أولا صرف هذين الرجلين ، لان



شخصية عظيمة الخطورة ستحضر الى هنا !
 وذهبت لؤلؤة التين ، فتحدثت الى التاجرين اللذين كانا
 ينظران خلسة الى مساعد حكمدار بوليس الامن . فلم يلبثا
 أن انصرفا مغادرين السفينة . واذ ذاك أمر مساعد الحكمدار
 بتنظيف السفينة ، لتكون مهياة لاستقبال الزائر العظيم .
 فسألته لؤلؤة التين : « ومن هو يا صاحب السعادة ؟ » .
 فأجابها : « انه رجل ستسبب رؤيته فرحا عميقا للسيدة
 عطر السماء ! » . وما لبث أن وصل الزورق الثاني ، فأسرع
 هو وين نحو الجنرال ليساعده على الصعود الى السفينة .
 وألقى الجنرال نظرة على السطح الخلفى للماخور ، وقال
 مازحا : « انها لسفينة رشيقة لتبادل الهوى ! » . ثم اردف :
 « عظيم ، عظيم ! .. هذا لايعنيني . ابلغوا السيدة «عطر
 السماء» بوجودي » .

فكانت لؤلؤة التين بتردد : « انها نائمة يا صاحب السعادة » .
 وهنا صاح السيد هو وين يو : « ايقظيها ! .. وقولي لها ان
 الجنرال .. » . فقاطعه هذا قائلا للفتاة : « لا تقولي لها اسمي ،
 فاني أريد أن أفاجمها .. قولي أن قائد الجيش الثالث حضر ! »
 واختفت المراتان . فجلس الجنرال في المقعد الكبير الوثير .
 بينما جلس السيد هو وين يو في مقعد صغير ، ثم قال : « اننى

كلما فكرت في أننا ظننا سعادتك قد مت منذ زمن طويل، أجد ما حدث لكم شيئاً خارقاً للمألوف حقيقة ! » .. فقال الجنرال : « لأجل .. والمثل يقول ان المرء لا يعيش الا مرة واحدة . اما انا فأعيش للمرة الثانية ، مع ان العالم كله كان يظننى تحت التراب . حتى النساء اللواتى أحببتهن واللائى أحببني تفرقن في أنحاء الارض ! » .. فيادر « هو وين يو » قائلاً : « ماعدا السيدة عطر السماء التى كان من حظى ان أعثر عليها ! »

— هل حدثتكم عن مولانا الراحل ؟

فقال السيد هو وين يو الذى كان يجيد ارتجال الاكاذيب : « اوه ! كثيراً جداً ما حدثتني عنه يا صاحب السعادة ، وبولاء رائع ! .. وكم بتكتك بدموع غزار يا صاحب السعادة . مع انها كانت تستحيى ان تظهر عواطفها أمامى بطبيعة الحال ! »

وبينما كان الجنرال ومساعد الحكمدار يتحدثان معاً، ذهبت لؤلؤة التنين الى قمرة نينا ، وايقظتها قائلة : « لقد وصل السيد هو وين يو ، ومعه ضابط كبير بدين ، امرنى بأن أقول لك انه قائد الجيش الثالث . والسيد هو وين يو يناديه بلقب صاحب السعادة ! » .. فنهضت نينا بتكاسل ، وأخذت تتزين أمام مرآتها الصغيرة ، وأمرت لؤلؤة التنين قائلة : « اذهبي وقولى لهذا الرجل البدين اننى قادمة ! » . فأسرعت لؤلؤة التنين نحو السطح الخلفى للسفينة ، وانحنت باحترام عظيم أمام الجنرال ، قائلة : « ان السيدة عطر السماء تتأهب للقُدوم يا صاحب السعادة ، وقد امرتنى ، بأن أبلغ سعادتك انهُ سيشرفها جداً ان تقابلكم بعد برهة ! »

واذ ذاك نهض السيد هو وين يو ، وانحنى أمام الجنرال قائلاً : « يا صاحب السعادة ، أعتقد انك ترغب في الانفراد بالسيدة عطر السماء . ولهذا التمس الاذن يا لانصراف .. وسيكون الزورق والملاح رهن اشارتكم ! » وانحنى من جديد حتى كاد يلمس الارض بجبهته مرتين على التوالي ، ثم قفز

الى زورقه وانصرف.. وكانت لؤلؤة التنين قد لحقت بصباح الخير في قمرتها ، فبقى الجنرال وحده في مؤخرة السفينة ، ينتظر بفارغ الصبر عزيزته السيدة « عطر السماء » . ألى روت موته وذكراه بالدموع الصادقة !

♦ **وأخيرا** ظهرت نينا .. وتقدمت على مهل نحو الجنرال الذى راح يحرق فيها ، وقد حيره ظهور هذه المرأة فى الوقت الذى كان يرجو أن يخلو فيه الى محفلتيه السابقة .. واذ رآته « نينا » صامتا ، حيته وقالت : « يا صاحب السعادة ، ابلغنى السيد هو وين يو حكمسدار بوليس الامن ان قائد الجيش الثالث يرغب فى مقابلتى » . فقال : « ومن أنت ؟ .. وماذا تصنعين هنا ؟ »

— **أنا ؟ أنا مضيفة « سفينة اللذات » .. مدبرتها يا صاحب السعادة !**

فمط الجنرال شفتيه شأن المتسامح الذى يفهم المزاح ووضع يديه البدينتين على خديه النديتين بالعرق ، وقهقه ضاحكا ، ثم قال : « هكذا ؟ .. هل نصبت نفسك فجأة مدبرة للسفينة ؟ ولى أنا تقولين هذا ؟ هذا مضحك جدا ! » ولم تفهم نينا شيئا من كلام الجنرال ، فقالت : « نعم يا صاحب السعادة . ويؤسفنى ان السيد « هو وين يو » ليس موجودا هنا كى يقدمنى الى سعادتك رسميا .. أنا السيدة عطر السماء ! » . فكف الجنرال عن الضحك . وجعل يحرق فى « نينا » بنظرات ثاقبة ، وقال ويداه متشابكتان فوق حزامه : « أنت السيدة عطر السماء ؟ » . فأجابته : « أجل ! » وراح يتفحص « نينا » بعينه الجاحظتين ، وقد بلغت به الحيرة الآن غاية مداها ، وانقلبت أفكاره رأسا على عقب .. فان السيد هو وين يو قد قال لها بنفسه ان السيدة « عطر

السماء « فوق هذه السفينة ، فتحلب لذلك ريقه ، وسال لعابه .. واذا به يفاجأ - على ظهر السفينة - بشابة منشورية تزعم أنها السيدة « عطر السماء » . وتريث الجنرال ، فلم يكشف عن أفكاره ، وقال متمشياً معها : « ما دمت أنت السيدة عطر السماء ، فانا اعتذر ألف مرة لظني أنك امرأة أخرى .. وسبوف أشرح لك لماذا رغبت في مقابلتك هذه الليلة . فقد حدثني السيد هو وين يو عن علاقاتك بأحد زملائى في جيش الشمال . فهل تريه كان يخدعنى ؟ »

— **اطلاقاً يا صاحب السعادة . هل التقيت يوماً بالجنرال كيانج تاو ؟**

وأغمض الجنرال عينيه ، كمن يبذل مجهوداً في التذكر ، ومر بيده فوق جبينه برهة ، ثم قال بلهجة طبيعية جداً : « آه .. الجنرال كيانج تاو ؟ .. كيانج تاو .. طبعاً ، طبعاً ! هو الذى قتل منذ ثلاث سنوات في كوريا الشمالية » . فقالت فى أسى : « أجل ، مات فى الميدان وذهب ضحية بطولته . وجميع جنوده يذكرونه كما يذكرون المثل الأعلى للسلالة الخارقة ! » .. وفى حذر ورفق ، أخذ الجنرال كيانج تاو يستدرج تلك المرأة الباردة فى التمثيل ، كى تتورط فى مزيد من الأكاذيب . وتصنع الأشفاق عليها قائلاً : « يا السيدة عطر السماء المسكينة ! .. اننى أشاركك عواطفك ! »

واطلق الجنرال زفرة عظيمة ، وهو يستطيع ذلك التمثيل ، ثم قال : « يبدو أنك كنت المحظية الاثيرة لدى الجنرال » . فأجابت : « أجل ، وقد بكيته طويلاً »

— **أذن ، فقد كنت تحبين ذلك الصقر العجوز كيانج تاو ؟**
فغضت نينا بصرها ، وهى تمثل دور الارملة المفجوعة ، التى تخجل من الكشف عن عواطفها ، وقالت : « نعم ، كنت أعبدته . ولكن يجرئنى أن أتحدث فى هذه الامور أمام شخص غريب . فلا تؤاخذنى ! » . فقال : « اننى لست غريباً تماماً ،



فقد كنا زميلين في الجيش الصيني الباسل ، وكنا طالبين معا
 أنا وكيانج تاو في الاكاديمية العسكرية .. ولذا نستطيع أن
 نتكلم عنه معا بصراحة ! » .. واقترب من « نينا » ، وقد
 ازداد اتقانا للنفاق المموه . وخفض صوته وهو يسألها :
 « خبريني ، بيني وبينك .. أين كنت تشاطرينه فراشه ؟ »
 فاجابت : « في بيبينج يا صاحب السعادة »

١ - وكم كان عددكن في بيته ؟

٢ - كنا ، فضلا عن زوجته الاولى الشرعية ، ثلاث محظيات .

٣ - وهل كان كريما جدا معكن ؟

واخذت اسئلة الجنرال تتطرق الى العلاقات الخفية في
 الفراش . فنصت « نينا » الحرج . وقالت : « لا يليق ، ولا
 يمكنني أن أحدثك عن هذه الامور ! » ..

٤ - بل تكلمي . تكلمي يا سيدتي عطر السماء فالمسكين الآن
 تحت التراب . وكم يرضيه أن يتحدث إليهم من تحت الناس ؟

٥ - اوه يا صاحب السعادة ! انك تسألني اسئلة محرجة حقا .

٦ - « أليس قد مات ؟ » أن الشاء على الموتى أشبه الأزهار
 التي توضع على قبورهم . والآن قولي لي .. كيف كان ،
 فافني لم أره لخمس عشرة سنة قبل وفاته ؟ .. أكان يديننا
 قديما ؟ »

فقلت : « أجل » . وعاد يسألها : « وفي مثل قامتي ؟ »
 .. ومرة أخرى ، أجابت : « أجل » . فقال : « لقد كان
 مشهورا بين زملائه في الجيش بولعه بالنساء .. فهل كان
 كذلك حقا ؟ » .. فارتبكت ، وتفرج وجهها ، ولكنها قالت
 تحت الحاحه : « كان عاشقا عظيما ، ومثقفا ، وذكيا في نفس
 الوقت ! » واستمر الجنرال هذا المديح ، واندمج في اللعبة
 مع « نينا » . ثم غير لهجته ، وتصنع الجد ، وهو يسألها :
 « أرجو أن تكونى مواظبة على تقديس ذكراه بحسب الشعائر
 الدينية ! »

— لم أكن لاتوانى عن ذلك ، لو اننى كنت أعرف مشواه .
 ولذا أحمل دائما القرابين المقدسة الى معبد السحاب الذى
 تتبعه جميع الجثث المجهولة المقر !
 فزفر الجنرال زفرة أليمة . وقال : « هذا شيء مؤثر حقا
 .. مؤثر جدا .. جدا ! »

• لم يكد فرانسيس يغادر المطعم ، حتى أسرع نحو
 الشاطئ ، فاستأجر زورقا ، ويمم شطر أسطول سفن
 الازهار . وكان الليل حالك الظلام ، والمصاييح التى تزين
 السفن تكون هالات مضيئة فوق الماء ، تسمح لفرانسيس
 بأن يحدد طريقه .. وراح — وهو يجدف — يدبر خطته ..
 ولكى لا يلفت إليه الانظار فى السفينة ، قرر أن يتسلق المقدمة .
 وهى عادة غير مضاءة بالمصاييح . وكان يعلم أن الكوة الثانية
 من المقدمة ، تفضى الى قمرة نينا الخاصة ، فوقف بزورقه
 تحت تلك الكوة مباشرة ، وقد عول أن يتسلل الى داخل
 القمرة ، ثم ينتهز أية فرصة لاشعار « نينا » بوجوده واخبارها
 بالخطر الذى تتعرض له بين لحظة وأخرى . ثم يحملها فى
 زورقه الى (شامرن) ويعهد بها الى السيدة ينج نينج التى

ستتقن الموقف حق قدره ، وتدبر لهما أسباب الفرار ، حتى لا يفتضح أمرها .. أما هو فسوف يعود إلى بيت مضيفه السيد فان ديوتن .

وقبل أن يقفز خلال الكوة ، سمع من فوق السفينة لفظ حديث — باللغة الصينية — في المؤخرة ، فاعتقد أن هناك روادا عاديين . وظن أن اللحظة مناسبة كي يتسلل إلى السفينة ، فتعلق بالكوة ، وتسلل إلى القمرة . ثم فتح الباب المفضي إلى الدهليز ، ووقف يترقب مرور « نينا » كي يشير إليها ويدخل معها إلى قمرتها . ولكنها كانت مشغولة مع زوارها ، فظل ينتظر وقد عزم على أخذها فوراً — عن طريق الكوة — إلى الزورق ليهربا تحت ستار الظلام !

وفي هذه الاثناء ، كانت الخلوة مستمرة بين « نينا » والجنرال كيانج تاو ، الذي كان يؤدي دوره بمهارة عظيمة ، وكأنه ممثل عريق .. إلى أن اكتفى من التمثيل ، فغير لهجته — مرة أخرى — واستخدم اللهجة العسكرية التي تفرض السيطرة والطاعة . وسأل نينا فجأة : « ما دمت المحظية الأولى للجنرال كيانج تاو ، فلا بد أنك رأيت على طبيعته في الخلوة .. أعني الحالة التي يوجد عليها رجل وامرأة تحت تأثير الغرام ! » . فقالت نينا : « طبعاً يا صاحب السعادة ، ولكن لماذا تسألني هذا السؤال ؟ »

ولم تكن نينا بحاجة إلى فطنة شديدة لتحس بالخطر في لهجة الرجل الذي دخل في ميدان حافل بالمزائق والشراك . واستطرد الرجل بلهجته الحازمة : « ستفهمين مرادى ياسيديتي عطر السماء فوراً .. أعني أنك رأيت مولاك الراحل متخففاً من ثيابه ، بل وعارياً في بعض الاحيان فيما أظن .. فلا بد — في هذه الحالة — أنك لاحظت شيئاً خاصاً في جسمه .. » . وشعرت نينا على الفور بقطرات العرق تتجمع تحت شعر عارضيتها ، فقد كانت هذه النقطة — للأسف الشديد — مما

نسى اساتذة مدرسة الجاسوسية في (فورموزا) أن يحسبوا حسابها . وبذلت مجهودا آخرى كي تتحاشى السؤال والجواب، فتصنعت الخجل والارتباك ، وقالت في تدلل : « آه يا صاحب السعادة ! .. لا أستطيع أن أحدثك في أشياء من هذا القبيل .. أشياء خاصة جدا ! » .. ولكنه ألح في اصرار . ولما فرغ صبره ، قال بصراحة : « قولى أية علامة كانت على صدر الجنرال .. هنا ! .. اننى آمرك ! »
- لا تسألنى .. رحماك !

- لقد كان الجنرال كيانيج تاو يحمل فوق موضع القلب وشما باللونين الأخضر والأزرق ، يمثل كف بوذا ، وقد اتجه أصبعاه الأوليان نحو خط الزوال !

وفجأة ، فتح الجنرال قميصه ، فراءت « نينا » الوشم الأزرق والأخضر ! .. وأحست بركبتها تتخاذلان من تحتها .. وبذلت جهدا جبارا لتظل واقفة تنظر كالشبهوهة الى شبح خرج من القبر ، وتمثل في ذلك الرجل البدين القوي المخيف ، الذى كان يواجهها - اذ ذاك - وقد عقد ذراعيه فوق صدره ، صائحا : « ان الجنرال - على عكس اعتقادك - لم يمت .. اجل ، ان الجنرال كيانيج تاو هو الذى يكلمك الان شخصيا . ومنذ نصف ساعة وأنا أسمع منك سلسلة من الأكاذيب تتساقط حلقاتها من فمك كالحبوب السامة .. منذ نصف ساعة وأنا أسمعك تردددين لى ما لقنوك اياه عنى . ولكن من هم الذين لقنوك ذلك ؟ .. هذا ما سنراه ! » .. وأرادت نينا أن تخفف من حدة غضبه فقالت : « لا تحكم على يا صاحب السعادة ، قبل أن تعلم .. » . فقاطعها قائلا : « قبل أن اعلم ماذا ؟ .. قبل أن اعلم انك امرأة حقيرة تزعم انها محظيتى مع انها لم ترنى فى حياتها ؟ »

- انى اعترف بجريمتى يا صاحب السعادة ، ولكن لاتتهمنى بنوايا إجرامية . لقد كنت فقيرة ، بائسة ، فاردت أن اكسب

قوتي بأمانة . وقد قالوا لى اننى أشسبه السيدة « عطر السماء » ، فكانت غلطتى أن اتخذت لنفسى شخصية حييتكم كى أظفر من السلطات بتصريح لإدارة هذه السفينة . . وهذا كل ما فى الامر !

فصاح : « وهذه جريمتك الكبرى فأنا لا أصدق اسطورة فقرك وحاجتك ، اذ أن البوليس ذكر لى أن هذه السفينة يتردد عليها ضباطنا ، فهى مكان صالح جداً لالتقاط الاحاديث التى تنساب عفواً ، وجمع المعلومات المفيدة لعصابات فورموزا التى تقاتل تحت لواء تشانج كاي تشيك » . واذ ذكر اسم عدوه ، بلغ غضبه القمة ، واحمرت عيناه وهو يشتمها فى « نينا » بهياج وحقد ، فكانه صورة مجسمة للشيطان الذى تزدان به بعض المعابد . رمزا لآلهة الشر التى تهيمن على الاوبئة والكوارث والمذابح والحروب . واعتقدت نينا أنه سيقتلها فى الحال ، فتراجعت قليلا قليلا نحو الدهليز المفضى الى قمرتها . . فتسلطت عليها نظرات الجنرال الذى تقدم فى أثرها : باسطلا يديه ، وقد تشنجت أصابعه مثل مخالب الصقر !

♦ وكان فرانسيس يقف فى فرجة باب القمرة - فى عرض الدهليز - حين سمع احتداد لهجة الحديث . وعلى ضسوء ذبالة ساهرة فى الدهليز . رأى نينا تتراجع مذعورة ، متجهة نحوه بظاهرها . والجنرال كيانج تاو يتقدم فى بطء . فتوارى فرانسيس الى أن تجاوزته نينا متقهقرة فى الدهليز ، وترك الجنرال يتقدم خطوة أخرى ، ثم قفز خارج القمرة ، ورفع فى يده مقعدا خشبيا صغيرا ، وجذب به مؤخرة رأس الجنرال الصينى فهوى على الارض فاقد الرشدا !

ولم تفقه نينا - فى غمرة الدعر - كنه هذا التدخل الذى أتقدها ، الى أن سمعت صوتا يناديها قائلا : « نينا ! نينا ! لا

تخافى ! » .. فارتمت بين ذراعى فرانسيس ، وانفجست
تبكى بكاء هستيريا ، بذل الطيار جهده كى يخفف من حدته
فوق فراش القمرة .. وجعل فرانسيس يهمس لها ، وهى
تجهش بالبكاء : « لا تخافى ، سندبر كل شيء ! .. كنت أعرف
الخطر الذى يتهددك ، لاننى حضرت الليلة مأدبة ضسباط
الحامية للجنرال الجديد ، فلما عرفت حقيقة شخصيته ..
أسرعت الى هنا ، ولكن .. بعد فوات الاوان للأسف الشديد .
فقد كنت أريد ان أندرك بالكارثة قبل وقوعها كى تهربى ! »
- **لقد هلكنا نحن الاثنين ، يا فرانسيس !**

- لا تقولى هذا ، فان الجنرال سيظل فاقد الوعي ساعة
أو ساعتين . ولن يحضر أحد قبل انبلاج الصبح ليجت عنه ،
لعلهم بأنه سيقضى الليلة هنا معك ، والآن خبرينى ، كيف
حضر الجنرال ؟

- مع هو وين يو ، الذى انصرف على الفور فى زورقه ،
تاركا للجنرال زورقا آخر ينام فيه ملاحه الآن ، فى انتظاره !
- **وأين هذا الزورق ؟**

- هناك فى الناحية الأخرى من السفينة .

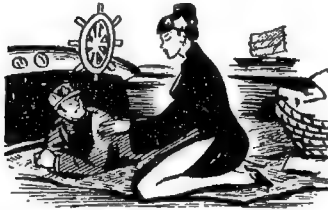
ونهب فرانسيس وأطل فوجد الملاح نائما ، وعاد الى نيتا
فى القمرة وقال لها : « ان وجودنا فى كانتون معناه الموت ، يا
حببتى .. أى تأخير معناه الموت ، فيجب ان نهرب .
ووسيلتنا الوحيدة هى زورق البوليس ! » . فصاحت نيتا
مأخوذة : « هل انت مجنون ؟ » . ولكنه قال فى هدوء :
« مهلا ! ايقظى الملاح وقولى له بلسانه ان صاحب السعادة
كلفك بالذهاب لاجتماع واقصة تقضى الليلة معكما على ظهر
السفينة .. واننى صديق للجنرال مكلف بأن أصحبك فى هذه
المهمة ! » فتهفت فى قلق : « ثم ؟ » . فأجاب : « ثم اركب
معك ، فتسنع لى الفرصة لتوجيه الزورق » . فعادت
تتساءل : « فى أى اتجاه ؟ »

— في اتجاه (كون لون) ، طيعا . واؤكد لك يا عزيزتى أن
هذه هى فرصتنا الوحيدة للنجاح
— والملاح ؟
— دعى هذا لى !



الفصل الخامس عشر

خمسائة دولار ، أو الموت !



♦ ربتت « نينا » كتف الملاح النائم فى زورق البوليس ،
فرفع رأسه على الفور ، وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى
امراة جميلة تبسم له فى بهمة الليل . وابلفته « نينا » — باللغة
الصينية — الرسالة التى كلفها بها الجنرال ، فبادر برفع
المرساة وفك الحبال . وفى تلك الاثناء . قفز فرانسيس الى
الزورق . فقالت نينا للملاح انه كولونيل روسى صديق
للجنرال . فظهرت على الملاح علائم الفطنة وقال لنينا باسماء :
« أذن ، فمن أجل سيادة الكولونيل سنذهب لاحضار هذه
الراقصة ؟ .. أننى أعرف راقصة حسناء فى شمال شامين ،
فهل تريدان أن .. ؟ »
— لقد ذكر لنا صاحب السعادة عنوانا معيناً . فاتجه

بالزورق نحو الجنوب . وسوف ندلك على آتوقع ..
 وادار الملاح المحرك ، واتجه جنوبا نحو المصب . نحو
 البحر . وكان تيار النهر يضاعف من سرعته ، فلما طوى
 الزورق حوالى ثلاثين كيلو مترا ، التفت الملاح وسأل : « هل
 اقتربنا ؟ » . فقالت نينا : « كلا .. استمر ! » . واستأنف
 السير فى دهشة . حتى اذا ابتعد الزورق تماما عن (كانتون)
 مال فرانسيس على اذن نينا ، واخذ يقول لها بالفرنسية ، التى
 لم يكن الملاح يفهمها : « لا بد الآن من عمل حاسم ، فنحن
 نقرب من خط حدود (كون لون) ، وهناك سيتوقف الملاح
 عن السير ويستوقفنا البوليس فيعيدنا الى كانتون . كما أن
 هذا الملاح لن يقبل - بأى حال - أن يقودنا الى هونج كونج
 فى المياه الانجليزية ! » . فتساءلت نينا : « وما العمل ؟ »
 - هناك حلان : أحدهما أن القى به فى الماء ، ونهرب نحن فى
 الظلام فنصل عند الفجر الى الحدود ، فنحاول اجتيازها
 بالزورق مسرعين رغم التيار ، تاركين مصيرنا للحظ ..
وهى مخاطرة كبيرة ، لا أحب أن أعرضك لها !
 وقالت نينا : « والحل الآخر ؟ » . فأجاب ببساطة : « ان
 نكسب الملاح الى صفنا » . وعادت تتساءل : « وكيف ؟ » .
 فأجاب : « بالارهاب أو بالترغيب . ولعلك نسيت اننى
 اختلفت من حزام الجنرال مسدسه .. فلنقم الآن معا ،
 ونقف وراء الملاح ، وكأننا نتفرج على الزوارق التى نمر بها .
 وعلى حين غرة ، سالتقى فوهة المسدس فى ظهره ، وستترجمين
 له بالصينية ما اقول لك ! »

ونهضت نينا ، فأخرج فرانسيس المسدس خلسة من جيب
 سترته . وبعد ثوان اوما بيده الى زورق شرعى ، وكأنه يسأل
 عن شىء . وفجأة غرس فوهة المسدس بين ضلوع الملاح .
 وشرعت نينا تترجم لهذا اوامر فرانسيس : « استمر فى
 طريقك ، ويداك على عجلة القيادة ! » . وعاد فرانسيس يقول :

« قولى له ايضا ، اننى سأصرعه اذا قاوم برصاصة فى القلب! » .
وترجمت نينا هذه العبارة ، فاطاع الملاح دون ان يتكلم : بينما
راح فرانسييس يفك حزام الرجل - بيده اليسرى - واخذ
مسدسه فالفاه فى الماء ، وقال لتينا : « لقد اصبح الآن اعزل
من السلاح ، فاسأليه : هل يفضل الموت غرقا فى قاع نهر
اللاؤلؤ ، او الخروج من جمهورية الصين وقبض خمسمائة دولار
امريكى فى مدينة هونج كونج » . وترجمت نينا عيسارات
فرانسييس ، ثم نقلت الجواب لهذا : « أنه يقول انه لا يريد أن
يموت ، وانه يقبل الخمسمائة دولار امريكى فى هونج كونج
شاكرا ممتنا . ولكنه يود الحصول على وعد باعتباره لاجئا
سياسيا ، له حق الإقامة هناك ! »

- قولى انى اعده بالحصول على حريق الإقامة الدائمة .
وترجمت نينا ذلك الكلام ، ثم ترجمت اعتراضات الملاح :
« انه يقول ايضا أن من الصعب عليه اجتياز خط الحدود ،
لوجود أسلاك تعترض مجرى النهر وزوارق للحراسة تابعة
لبوليس الامن » . فقال فرانسييس : « قولى له اننا عندئذ
سنختبئ تحت مقاعد القمرة . وعليه أن يذكر لزملائه حراس
الحدود انه يحمل رسالة من الجنرال قائد الجيش الثالث فى
(كانتون) ، ولا بد له من قضاء ساعة فى كون لون ! » .
واستمر الحوار بضع دقائق ، بين الفتاة والملاح ، ثم التفت الى
فرانسييس ، وقالت : « انه يقول ان أمر الجنرال كيسانج تاو
لا بد أن يكون كتابيا ليقتنع به حراس الحدود . وهناك كراسة
مذكرات عليها شعار بوليس الامن داخل القمرة ، يمكن أن
نستخدمها فى كتابة الامر . ولكنه سوء الحظ لايعرف الكتابة ؟ »
- لا بأس . اكتبى أنت الامر ، فانك على المام بالكتابة الصينية
ودخلت نينا الى القمرة فاوقدت مصباحا صغيرا ، ثم
خطت على ورقة بيضاء خطوطا رأسية حمراء ، هى عيسارات

الرسالة الرسمية المزعومة ، وعادت الى فرانسييس الذى كان جالسا خلف الملاح والمسدس فى يده ، وراحت تتلو عليه ما كتبت تحت عنوان « **أمر ادارى** » :

« **أمر الى ملاح زورق بوليس الامن رقم ٣ ، بالتوجه الى شون شون فوراً ، لاحتضار الحقائق الشخصية الخاصة بصاحب السعادة الجنرال كيانج تاو ، قائد الجيش الثالث فى كانتون - هو وين يو ، مساعد حكمدار بوليس الامن** »
- هذا رائع يا بعلمنى الصغيرة !

- من حسن الطالع اننى اعرف اسم هو وين يو . وهذا سيعزز قيمة الورقة التى كتبتها .

واسلما الورقة الى الملاح ، الذى اخبرهما بان القسارب سيصل بعد ساعتين - اى قبيل الفجر - الى المنطقة الخطرة .. وجلست نينا وفرانسييس فى المؤخرة متلاصقين ، يتهامسان



ويتبادلان الامال، والمخاوف .. كانا يخشيان أن يخفق كل شيء فى آخر لحظة ، اذ أن كل شيء كان متوقفا على ما يدور الآن فى كانتون .. فاذا لم يكن أحد قد فطن الى طول غياب الجنرال، واذا لم يجد أحد غرابية فى أن يظل طوال فترة الصباح مع حظيته السابقة « **عطر السماء** » ، فلن يكون لدى مراكز الجنود أى انذار بالبحث عنهما !

وفجأة قفزت نينا عن مقعدها ، ونظرت محمقة في وجه فرانسيس وقالت :

— لقد نسينا لؤلؤة التنين وصباح الخير .. من المستحيل ان تكونا قد بقيتا طول الليل في قمرتهما ، أذ أن من عادتهما ان تحضرا — بعد انصراف الزائرين — لتبادل بضع كلمات معي ، ولتناول الاقحاح الاخيرة من الشاي .. أسوف ندركن — حين يسود الهدوء سطح السفينة — اننى صرت وحدى ، فتذهبان الى قمرتى ، وتكتشفان الجنرال واقفى على الارض في الدهليز !

وشاطر فرانسيس نينا قلقهما ، وهمس قائلا : « وماذا تظننيهما ستفعلان ، حين تكتشفان الجنرال فاقد الرشدا ؟ » . فاجابت : « ستطلقان الصراخ الثاقب ، وتهرعان لايقاظى . فاذا وجدتا القمرة خالية منى ، فسوف تصرخان لايقاظ نساء السفن الاخرى .. ولك ان تتصورى الاثر الذى سيحدثه هذا الضجيج في السفن كلها ، وكيف ستقوم المدينة وسلطانها وتقع لان الجنرال قائد الجيش الثالث وجد مفشيا عليه في احدى سفن الازهار ! »

— وفي أية ساعة تعتقدين أن ذلك يمكن ان يحدث ؟

— لقد حضر الجنرال في نحو الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة . وتحديثا معا مقدار نصف ساعة . وبفرض ان لؤلؤة التنين وصباح الخير تركتا لى أربع ساعات ، رينما أفرغ من زائر رفيع الشأن كالجنرال ، فمن المرجح ان تكتشفا وجود الجنرال على الارض في نحو الرابعة صباحا .. فكم الساعة الآن يا فرانسيس ؟

— الرابعة وعشرون دقيقة .. ان حياتنا تتوقف الآن على السرعة التى تبلغ بها الاوامر الى الحدود لضبط الهاربين !
— لقد بدا الفجر يتبثق .. انظر الى رؤوس الجبال من جهة الشرق ...

— سلى الملاح ، هل امامنا مسافة طويلة ؟

وقبل ان تسال نينا الملاح ، التفت هذا اليهما وقال باهتمام :
 « كونا على حذر ، فها هو ذا زورق من زوارق الحدود ، على
 مسافة كيلو متر الى اليمين . اختبأ بسرعة .. هيا ! » .
 وترجمت نينا لفرانسييس الاوامر .. واختفيا تحت المقاعد ،
 وارخيا الاغطية فوقهما . واصبحت حياتهما الآن في كف القدر ..
 وجعل فرانسييس يرهف اذنيه ، فلاحظ ان آلات الزورق
 ابطأت في حركتها ، مما نم عن ان الملاح قد خفف من السرعة ،
 بعد ان تلقى اشارة ضوئية من زورق الحراسة . ثم سكنت
 الآلات تماما ، واستقر الزورق في موضعه لا يتحرك . واقترب
 صوت زورق آخر وازداد وضوحا ، ثم سمع فرانسييس
 نداءات تنبعت خلال بوق ، فأجاب الملاح بدوره ، خلال بوق
 لتضخيم الصوت . واهتز الزورق ، فأدرك فرانسييس ان
 الزورق الآخر قد رسا بجواره .. ودارت بعد ذلك مناقشة ،
 كانت مدتها عذابا شديدا للهاربين المختفين ! .. فقد تصور
 فرانسييس الملاح وهو يقدم المذكرة الى الجندي الحارس في
 الزورق الآخر ، ثم تخيل الحارس يقول له ان الخطاب غير
 مختوم بالخاتم الرسمي ، وان نقط الحدود لم تتلق اى خبر
 سابق عن هذه المهمة !

وخيل اليه ان تلك المناقشة ان تنتهى . ولكنسه اطمأن ،
 عندما تذكر ان الملاح لم يكن بحاجة الى اطالة النقاش ، لو انه
 اراد ان يشئ بهما . وما لبث ان سمع — اخيرا — صوت هدير
 المحرك في الزورق الآخر ، وهدير المحرك في زورقهما ، الذى
 برعان ما استأنف سيره . فتنفس الصعداء . ثم سمع كلمة
 تنطلق من زورقهما ، اجابتها قهقهة ضحك من الزورق الآخر ،
 ورقعت « نينا » الاغطية عن وجهها ، وقالت له : « أتدرى
 ماذا يقول ؟ . لقد قدم للحارس مذكرة البوليس المزعومة ،
 فنظر فيها الحارس وهى مقلوبة ، وقال : « لقد نسيت نظارتى

الليلة . اقرا لى أنت ما فيها « ! .. فوضح له ملاحنا المسألة بقدر استطاعته : لانه الآخر لا يعرف القراءة .. وتناقشا مناقشة شكلية ، ثم سمح له الحارس باستئناف المسير ! »
 - ولكن لماذا ختمت المناقشة بهذه القهقهة العالية ؟
 - لان أحدهما غير الآخر بعاهته . وهى جهل القراءة ..
 - ما أشبهه بهذا بسخرية الخنفساء من أنصر صار !
 وانطلقا ضاحكين ، وقد سرى عنهما لأول مرة بعد هذه المحنة .. فمع ان الانذار قد يصل بعد نصف ساعة الى نقطة الحدود ، الا أن ذلك سيكون بعد فوات الاوان .. اذ كانت مشارف هونج كونج قد أخذت تلوح في ضوء الفجر الوردى ، وقد ارتسمت رؤوس الجبال بيضاء ورمادية على تلك الصفحة البديعة من اشعة الشروق ، التى تخترق الضباب الكثيف ، وتوشى اطراف السحب بمثل الهالات التى تتسوج رؤوس القديسين فى صور الرسامين الطليان !

• وصل رجل فى نياب مدنية لتسلم نوبة عمله فى مكتب ادارة الميناء .. وكان هذا الرجل هو « هـ . و . بيرتون » . موظف الجوازات ، الذى لم يكد يفرغ من حشو غليونيه ، حتى تناول - كمادته كل صباح - منظاره المقرب : وجعل يستعرض السفن الراسية فى الميناء ، وحركة الدخول اليها والخروج منها .. ولقت نظره زورق بخارى صغير يسير ببطء شديد ، ويبحث فيما يلوح عن موضع يرسو فيه . وعرف على الزورق علامات بوليس الامن الصينى . ولم يسكن مالوفا أن تاتى الى ميناء هونج كونج الانجليزية زوارق البوليس الصينى الشيوعى . فتولت الحيرة مستر بيرتون ، ورفع مسماع التليفون فطلب بوليس الميناء : كى ينبهه الى هذه الظاهرة .. وان هى الا ساعة ، حتى دخل مفتش بوليس الى مكتب مستر بيرتون ،

وخلفه موكب ثلاثى تألف من رجل أوروبى بلا قبعة ، وصينية حسناء فى ثوب وردى مشجر ، ورجل من رجال بوليس الامن الصينى فى كانتون ، لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الانجليزية . وقال مفتش البوليس : « لقد قبضنا على هؤلاء بمجرد رسوهم عند الرصيف رقم ٧ . وسألناهم عن اوراقهم . فاعطاني هذا السيد جواز سفره الفرنسى ، وتصريحا مؤقتا بالاقامة فى كانتون لسبعة ايام . اما هذه المرأة الصينية فلا تحمّل اوراقا من اى نوع . كما ان هذا الجندى قال لنا كلاما ترجمته المرأة الصينية ، مؤداه انه هارب من كانتون لينجو بحياته من الاعداء ، ويطلب اعتباره لاجئا سياسيا فى (هونج كونج) . . وانى اترك بين يديك هذه القضية ، واترك لك حل الغازها ! »

وصرف بيرتون مفتش البوليس ، واجلس الثلاثة ، ثم بدا يفحص اوراق فرانسيس . وبعد ان تصفح جواز سفره ، وقرأ فيه انه طيار ، سأل بعض الايضاحات ، فقال فرانسيس : « اننى ملازم سابق فى سرب اللورين ، الملحق بالسلاح الجوى الملكى البريطانى . . وحامل وسام اللجيون دونير ، و صليب الخدمة الممتازة » . . وكان لذكر هذا الوسام الانجليزى اثر كبير فى نفس مستر بيرتون . فوضع غليونه على المكتب ، وعال الى الامام وقال باسمها : « انك امام رفيق قديم فى السلاح يا سيد ارنولد ، فانا الملازم الطيار بيرتون ، من سلاح الطيران الملكى البريطانى ! » . . وراحا يتبادلان اسماء معارفهما من الطيارين ، وكانهما صديقان قديمان التقيا فجأة بعد غيبة طالت عشر سنوات !

وبعد ان استعرضا معا ذكريات الغارات على المانيا بالقلاع الطائرة ، سأل مستر بيرتون قائلا : « الآن ، ارجو يا سيد ارنولد ان تفسر لى وصولك بهذه الصورة الى هونج كونج ، مع هذه السيدة الصينية وهذا الشرطى الصينى الذى يلوح لى انه هارب من حكومته ! » . . فروى فرانسيس له جانباً

من مغامرته في كانتون ، دون ان يشير - طبعا - الى الدور الذى كانت تؤديه نينا على متن « سفينة الملذات » . ثم ختم كلامه بقوله : « وعلى كل حال ، اذا كنت بحاجة الى ضمان - فاطلب تليفونيا السيد فان لونج ، مدير الشركة الاسيوية للاستيراد والتصدير »

وبادر بيرتون الى ابلاغ السيد فان لونج وجود فرانسيس عنده ، ومعه الانسة نينا وونج . فقال السيد فان لونج انه يضمهما ضمانا كاملة شاملة . ثم تحدث الى فرانسيس تليفونيا ، قائلا : « ان وصولك في المدة المقررة امر طبيعى ، ولكنى لا افهم سبب وصول الانسة وونج معك ! »
- اذا تكرمت باستقبالنا ، شرحنا لك كل شيء !

- احضر اذن الى دارى في الثانية بعد الظهر
ووعد السيد بيرتون بان يعنى بشأن الشرطى الصينى قائلا ان سلطات هونج كونج لن تتوانى في منحه حقوق الاجيء السياسى !

وفي الساعة الثانية ، دخلت نينا مع فرانسيس الى قاعة الجلوس بدار فان لونج ، فوجداه في انتظارهما على احر من الجمر ، ولما سمع القصة ، قال : « اذن ، فخلاصة الموضوع ان وجودكما هنا امامى الآن ، انما هو توفيق خارق للعادة ، نتيجة محالفة سعيدة بينكما وبين الحظ . ولا بد انهم يقلبون كانتون كلها رأسا على عقب بحثا عنكما الآن .. ولا بد ان العجوز المسكينه ينج نينج تعاني مع لؤلؤة التين وصباح الخير ألوان النجمة كلها ! » .. ثم تحول الى نينا قائلا : « وانت يا آنسة وونج ! .. لقد كنت ضحية مصادفة نادرة ، لا تحدث الا مرة في كل الف مرة .. فلقد أعلن موت الجنرال كيانج تاو رسميا ، ونشرت صحف يبينج مصرعه في كوريا ، وكان رؤساؤه في هيئة اركان الحرب على يقين من هذا .. لهذا لم يخطر بأذهان أصحابنا في (تايه) ان تجدى نفسك

يوما أمام « المرحوم » وجها لوجه ! .. والحق ان جراءة السيد ارنولد وسرعة بديهته ، هما اللتان انتزعتاك من برائن موت محقق .. وكان فقدك خليقا بأن يحزننا جدا ، لانك اديت خدمات عظيمة جدا لنا ، بما قدمته من معلومات ثمينة ، ولما لك من خبرة وفطنة نادرتين ! »

ولم يكن من عادة السيد فان لونج أن يكثر في الكلام ، ويطلب في المديح . ولذا فقد قال له فرانسيس : « والخلاصة يا سيد فان لونج اننا - الآنسة وونج وأنا - لا نستطيع أن نخدمكم في كوان تونج في الوقت الحاضر . فنرجو أن تسمحوا لنا بأجازة نقضيها في أوروبا لتسوية بعض مسائل خاصة . وإذا تراءى لكم في المستقبل اننا نستطيع أن نؤدي لكم خدمة في مكان آخر غير كوان تونج ، فنرجو أن تخطرونا ! »

ونفض السيد فان لونج ، وأجابه باخلاص وحرارة : « لن يكون شيء أحب الى نفسي من تحقيق اميتكما هذه . وأؤكد لكما اننى سأفقد بسفركما اثنين من اصدق وابرع المتعاونين معى .. وانى أتمنى لكما أطيب واخلص التمنيات بالسعادة والتوفيق ! »



♦ كان فرانسيس ونيئا مستلقين جنباً الى جنب على كرسيين طويلين من القماش ، فوق السطح العلوى للباخرة الفاخرة التى استقلها ، فى طريقهما الى مرسيليا ، وقد أزفت ساعة الاقلاع ، وشمس الاصيل قد نفضت اريدتها الارجوانية المذهبة على البحر المترامى الاطراف .. وصمت فرانسيس ونيئا أمام هذا الجمال الرائع الذى لا نظير له فى الدنيا .. وكانا قد قررا الإقامة فى فرنسا ، والزواج هناك .

وقال فرانسيس : « يا يمامتى الصغيرة ! .. عندما يخاطر رجل بحياته ، لانقاذ حياة امرأة ، الا يحتم عليها النوق أن

تناسط در حياته ومتاعبها ؟ .. فالتقينا بنفسها بين أحضانها
قائلة : « يا حبيبى ! .. عندما تدين امرأة لرجل وسيم شجاع
بحياتها ، فأقل ما تستطيعه هو أن تشكره أربعاً وعشرين ساعة
فى اليوم ، فى كل يوم من أيام عمرها ! »

وراحا - كفلمان المدارس - يضعان الخطط للمستقبل
القريب . وكانت نينا تحس بأنها مقدمة على دخول عالم
عجيب ، غير عادى .. عالم جديد عليها ، وهى التى لم تعرف
الا عالم المعابد والهيكل والاصنام النحاسية والحجرية التى
تمثل « بوذا » البدين الباسم . والبساتين المسورة بالجدران
العالية . وحقول الارز المتشابهة ، والاعياد الدينية التى يحوطها
جو السحر والظلام ! .. وشاعت فى نفسها سعادة أدفأت
قلبها ، وهى تضغط كف فرانسيس بين كفيها ، وتهمس فى
أذنه بصوت ضعيف الهيام : « يا حبيبى المعبود ! كم أنا
سعيدة .. الى درجة الجنون ! »

وتناول فرانسيس اليد التى كانت تضغط على أصابعه
برفق . وغغم مغنونا : « يا يمامتى الجميلة ، اننى اسعد
رجل فى العالم ! »

ودوت صافرة الباخرة ايدانا بالرحيل . فرددت الجبال
القريبة صدى ذلك الصفر ، وكأنها تودع الراحلين بصوت
نائح النبرات . ثم تصاعدت أعمدة البخار من السفينة الى
السماء ، فخیل الى فرانسيس انها توجه وداعا ساخرا الى
الجنرال كيانيك تاو !

« تمت »



في متناول
كل مواطن

سندات

فرض الانتاج

تبدأ بفئات من ١٠ جنيهات

مضمون من الدولة

معفى من الضرائب

سهل التداول

فائدة مرتفعة ٣٪ سنوياً ترفع كل ٦ أشهر



الاستاد من ٣ الى ٦ نوفمبر
في البنك الاهلى ومجمع البنوك الاخرى وفروعها



شركة الاعلانات المصرية

سَفِينَةُ الْمَلذَّاتِ

إن سفن الزهور من أعجب الطرائف في الصين .. فعلى نهر (اللولو) في (كانتون) ، ترسو سفن عائمة مازجة بأبنيع نماذج الجمال الصيني .. وفي هذه العائمات ، يحظى الزائر بجوشاعى ، وبألوان من اللهب والملاذبة ، لا قبل له بها في أى مكان آخر من العالم .. ولكن الأطماع السياسية ، والحرب الباردة التى تجتاح العالم فى هذه الأيام ، انعكست على هذه "العائمات الحاملة" ، فأصبحت أوكارا للجاسوسية والمخابرات التى تكتنف الصراع الدائر بين (فرنوزا) و (الصين الشعبية) .. ومن هذا الجو الفريد ، الحافل بالملاذبة وبالفحش وبأعنف المفاربات ، استمد الروائى الفرنسى ذو الصيت العالمى "موريس دي كوبرا" - الذى قضى عشرين عاما فى إيراد القارة الآسيوية ، من قناة السويس حتى شمال اليابان - أهدان هذه القصة المشوقة .. واستطاع بألموس البارع أن يتيح للقارئ ساعات يعيشها بين أعنف مفاربات الحب الشاعرية ، وأعنف مخاطر الجاسوسية والمخابرات !



طبوعات كتابي

الترجمة الكاملة الأمانة تشوامخ الكتب العالمية

Bibliotheca Alexandrina



0559105